مجلة الباحث

في العلوم الإنسانية و الاجتماعية

دورية فصلية أكاديمية محكّمة تُعنى بالدراسات والبحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية

في هذا العدد:

- مجازر 8 ماي 1945 وانعكاساتها على وادي سوف
  د.موسى بن موسى (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)
- المناضل التونسي حافظ ابراهيم ودوره في دعم الثورة الجزائرية
  د.عبدالله مقلاتي (جامعة المسيلة)
- قراءة في انقلاب الصخيرات بالمغرب عام 1971
  د.سلوان رشيدرمضان(جامعة تكريت– العراق) ، د. م.م أحمد عبد السلام فاضل (جامعة سامراء–العراق)
- نشأة حقوق الانسان في بلاد العرب قديما
  د.عمر روينة (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)
- الخطاب والممارسة الدينية في الجزائر قراءة في بندول التأرجح والتعدد
  د.بووشمة الهادي (جامعة سيدي بلعباس)
- الإغتراب الوظيفي في ضوء بعض المتغيرات – دراسة ميدانية بمصنع الاسمنت المسيلة –
  د.نصيرة لمين (جامعة المسيلة)
- البعد المقاصدي في فكر المجتهد وأثره في الفتوى
  أ.احمد خويلدي (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)
- درجة تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مراكز تدريب مهني اربد وعلاقتها ببعض المتغيرات
  د.بلال محمد المومني ،أ.محمد عمر المومني (جامعة البلقاء التطبيقية – الاردن)

العدد السادس (6) / صفر 1437هـ - ديسمبر2015

ISSN 2170-0370

جامعة الشهيد حمّه لخضر بالوادي
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

جامعة الشهيد حمّه لخضر - الوادي
Université Echahid Hamma Lakhdar - El-Oued

مجلة الباحث

في العلوم الإنسانية و الاجتماعية

دورية أكاديمية فصلية محكّمة تُعنى بالدراسات والبحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية

العدد السادس (6) صفر 1437هـ / ديسمبر 2015

توجه جميع المراسلات الى:
رئيس تحرير مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية
كلية العلوم الاجتماعية والانسانية- جامعة الوادي، طريق الشط 39000- الوادي/ الجزائر
Tél/fax: 032210731 /B.P 789
Courriel : elbaheth@univ-eloued.dz

ISSN 2170-0370

ادارة المجلة

المدير الشرفي

أ.د/ عمر فرحاتي
مدير جامعة الشهيد حمّه لخضر بالوادي

مدير المجلة

د/ عبد الرحمان تركي
عميد كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

رئيس التحرير

د/ رضوان شافو
نائب رئيس قسم العلوم الانسانية لما بعد التدرج والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

اعضاء هيئة التحرير

د/ سلاف مشري

أ.معاذ عمراني

أ.اسمهان جبالي

بريد المجلّة الإلكتروني

elbaheth@univ-eloued.dz

*** ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبة ولا يعبر عن رأي المجلة.**
*** يخضع ترتيب الموضوعات بالمجلة لاعتبارات فنية لا ترتبط برتبة الباحث ولا بمكانته العلمية.**

الهيئة العلمية الاستشارية

من داخل الجزائر

أ.د/ بوبكر لشهب (جامعة الوادي)
أ.د/ الطاهر سعدالله (جامعة الوادي)
أ.د/ ابراهيم رحماني (جامعة الوادي)
أ.د/ اسماعيل العيس (جامعة الوادي)
أ.د/ علي آجقو (جامعة بسكرة)
أ.د/ مبخوت بودواية (جامعة تلمسان)
أ.د/ الشايب قدادرة (جامعة قالمة)
د/ عبد الفتاح ابي ميلود (جامعة ورقلة)
د/ محمد السعيد عقيب (جامعة الوادي)
د/ محمد الطاهر طعبلي (جامعة الجزائر2)
د/ محمد رشدي جراية (جامعة الوادي)
د/ قمعون عاشوري (جامعة الوادي)
د/ علي غنابزية (جامعة الوادي)
د/ جمال بلفردي (جامعة الوادي)
د/ السعيد شلالقة (جامعة الوادي)
د/ شوقي ممادي (جامعة الوادي)
د/ لامية بوبيدي (جامعة الوادي)
د/ لزهر ضيف (جامعة الوادي)
د/ بوبكر منصور (جامعة الوادي)
د/ الطاهر بالنوي (جامعة الوادي)
د/ عبد الكامل عطية (جامعة الوادي)
د/ موسى بن موسى (جامعة الوادي)
د/ محمد عبد الرؤوف ثامر (جامعة الوادي)

من خارج الجزائر

أ.د/ عبد الكريم الماجري (جامعة منوبة- تونس)
أ.د/ اشرف صالح محمد سيد (جامعة ابن رشد - هولند)
د/ محمد الامين ولد آن (جامعة نواقشط - موريطانيا)
د/عمر زعل السعودي (جامعة الاردنية - الاردن)
د/ ساعد ساعد (جامعة الملك خالد-السعودية)

شروط و قواعد النشر بمجلّة الباحث
في العلوم الإنسانية و الاجتماعية

- المجلّة متفتّحة على جميع البحوث في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المؤلّفة باللغات الثلاث العربية و الفرنسية و الإنجليزية.
- أن يكون الباحث حاصلا على درجة الماجستير على الأقل، أو مسجّلا في الدكتوراه، ويُرفق مشروع مقاله ببيان سيرته الذاتية وصورة فوتوغرافية شخصيّة.
- يُعبّر المقال عن رأي صاحبه الذي يتحمّل المسؤولية المدنية المترتّبة عنه، ولا يُعبّر بالضرورة عن رأي المجلّة.
- ألاّ يكون المقال تلخيصا لمذكرة أو أطروحة جامعية.
- أن يكون مشروع المقال أصيلا وجديدا لم يعرض ولم ينشر سابقا.
- يتألّف مجموع المقال من 4000 إلى 8000 كلمة، على ألاّ يتجاوز بجميع مكوناته العشرين صفحة
- يُزوّد المؤلّف مقاله بملخصين أوّلهما بلغة المقال والثاني بلغة أخرى من المذكورة أعلاه، وعلى أن يكون أحدهما بالعربية، وألاّ يتجاوز الملخّص 100 كلمة.
- ويُزوّد المقال كذلك بخمسة كلمات مفتاحية بلغة المقال، وبترجمتها إلى العربية إن كان المقال بلغة أجنبية.
- أن لا يقل عدد صفحات البحث عن 10 صفحات ولا يزيد عن 15 صفحة مكتوبة بخط Traditional Arabic مقاس 14 وتباعد 1سم. وتكتب الهوامش بطريقة عادية في نهاية البحث، وبمقاس 10 وتباعد 1سم
- تخضع جميع المشاريع المقترحة لفحص علمي دقيق من قبل هيئة خبراء استشارية وقرارها غير قابل للنقض، ولا يمكن إجراء أي خطوة لنشر المقال قبل صدور قرار إيجابي.
- يتحمّل مؤلّف المقال مسؤولية إجراء كافّة التعديلات المطلوبة من هيئة الخبراء أو من فريق التحرير وذلك للسماح بنشر المقال.
- تتمّ مراسلات تأهيل المقال للنشر بين المجلّة والمؤلّف بالبريد الإلكتروني.
- يُلغى المشروع في حال عدم ردّ المؤلّف في أجل 30 يوما من تاريخ آخر مراسلة إلكترونية له من المجلّة
- لا تنشر المجلّة إلاّ المقال الذي تكتمل فيه جميع الشروط، ولفريق التحرير الحقّ في تأجيل نشره إلى عدد لاحق عند الضرورة.
- لا ترد الدراسات والبحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- لا يترتّب أي تعويض مادّي للمؤلّف في حال نشر المجلّة لمقاله.

ترسل جميع البحوث والدراسات إلى العنوان الإلكتروني للمجلة: elbaheth@univ-eloued.dz

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين :

ها هو العدد السادس من مجلة "الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية" يخرج الى النور بحلة جديدة في الشكل والمضمون، وبمواضيع ودراسات متنوعة ومتخصصة في عدة مجالات معرفية، مواكبة للتطورات والمتغيرات على الساحة الوطنية والعالمية.

إن مجلة "الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية" في عددها (ال 6) تكون قد جددت بصمتها وسمعتها العلمية على الساحة الثقافية والاكاديمية، وأكدت مكانتها كمرجع أساسي للكثير من الاساتذة والطلبة، وهي بذلك تحقق إحدى اهدافها الاساسية، وهو ترقية البحث العلمي على مستوى جامعة الوادي خصوصا، والجامعات الوطنية والدولية عموما.

ومن مميزات هذا العدد أنه تناول مجموعة من القضايا والاشكالات لازال يعاني منها المجتمع ،لما لها من انعكاسات سلبية واثار جانبية على المجتمعات العربية،خصوصا ونحن نودع سنة ماضية ونستقبل سنة جديدة على وقع تفكك المنظومة الثقافية والمعرفية للدول العربية نتيجة ما يسمى " ثورات الربيع العربي"، واصبحت غير قادرة على انتاج المعرفة الثقافية في ظل عدم إيجاء فضاء حقيقي لتبادل الحوار والافكار بحرية تامة، وعليه فالقضايا والاشكالات التي درست في هذا العدد بيّنت لنا الاسهامات الفكرية لبعض الشخصيات في سنوات سابقة، واعطت مجموعة من الحلول والمقترحات لمعالجة بعض الظواهر الانسانية والاجتماعية التي باتت تنخر القيم والمبادئ في المجتمع.

وبصفتي رئيس تحرير هذه المجلة أجدد ندائي لكل الاساتذة الباحثين في العلوم الانسانية والاجتماعية على دعمهم لهذه المجلة في الاعداد اللاحقة بأبحاثهم ودراساتهم من أجل الترقية المعرفية وضمان استمرار صدور المجلة بصفة دورية ومنتظمة،خدمة للبحث للبحث العلمي وللمجتمع.

والله ولي التوفيق

رئيس التحرير

د. رضـــوان شافو

قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
❖ كلمة العدد	05
❖ نشاة حقوق الانسان في بلاد العرب قديما	08
د.عمر روينة (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)	
❖ المناضل التونسي حافظ ابراهيم ودوره في دعم الثورة الجزائرية	22
د.عبدالله مقلاتي (جامعة المسيلة)	
❖ قراءة في انقلاب الصخيرات بالمغرب عام 1971	32
د.سلوان رشيدرمضان(جامعة تكريت– العراق) ، د. م.م أحمد عبد السلام فاضل (جامعة سامراء–العراق)	
❖ هنري علاق والثورة الجزائرية:النضال والمواقف	49
أ.موسى لوصيف (جامعة قسنطينة 2)	
❖ جامعة الزوايا للشمال الإفريقي 15 مارس 1948 م تركيبتها الإدارية ومشاريعها	57
د.مصطفى عبيد (جامعة المسيلة)	
❖ مجازر 8 ماي 1945 وانعكاساتها على وادي سوف	66
د.موسى بن موسى (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)	
❖ قراءة في النضال النقابي والسياسي للإتحاد العام للعمال الجزائريين على المستويين الداخلي والخارجي إبان الثورة التحريرية 1954-1962	73
د.غلاني السيتي (جامعة باتنة-1)	
❖ التنمية المهنية للعلم كإحدى متطلبات الإصلاح دراسة ميدانية على عينة من معلمي المدارس الابتدائية	85
أ.فاتحي عبد النبي (جامعة بسكرة)	
❖ الخطاب والممارسة الدينية في الجزائر قراءة في بندول التأرجح والتعدد	94
د.بووشمة الهادي (جامعة سيدي بلعباس)	
❖ درجة تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مراكز تدريب مهني اربد وعلاقتها ببعض المتغيرات	110
د.بلال محمد المومني ،أ.محمد عمر المومني (جامعة البلقاء التطبيقية – الاردن)	
❖ الإغتراب الوظيفي في ضوء بعض المتغيرات – دراسة ميدانية بمصنع الاسمنت المسيلة –	125
د.نصيرة لمين (جامعة المسيلة)	
❖ مشكلة الهوية بين تيارات الفكر العربي الحديث والمعاصر	134

أ.حوري بديع الزمان (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)

❖ البدانة ونمط الحياة:دراسة فارقية بين البدينين وغير البدينين من المراهقين.....148

أ.كريمة مقاوسي (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)

❖ البعد المقاصدي في فكر المجتهد وأثره في الفتوى.....162

أ.احمد خويلدي (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)

نشأة حقوق الإنسان في بلاد العرب قديما

د.عمر روينة

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص البحث :

تناولت الدراسة دور العرب الذين استوطنوا بلاد ما بين النهرين (العراق) النازحين من الجزيرة العربية وهو ما عرف بالهجرات السامية ابتداء من الألف الرابعة قبل الميلاد في وضع المدونات القانونية في الوقت الذي لم يعرف المجتمع الإنساني كله فكرة تدوين القانون ، وهو ما اعتبره المهتمون بتاريخ القانون أمرا مبهرا للغاية ، كما تناولت الدراسة اهتمام العرب المبكر غير المسبوق بحقوق الإنسان وأساليب حمايتها عن طريق القوانين، واقتصرت الدراسة على تناول أهم المدونات القانونية في هذه المنطقة كقانون"أوروكاجينا"، وقانون "أورنمو"، وقانون"ألبت عشتار"، وقانون"مملكة أشنونا"، وقانون "حمورابي"، وتوصلنا إلى أن اهتمام الممالك العربية في هذه الفترة المبكرة لحقوق الإنسان كان اهتماما مبهرا حقا .

Résumé :

L'étude a porté sur le rôle des Arabes qui se sont installés en Mésopotamie (Irak), déplacées de la péninsule arabique, qui est connu comme migrations antisémitisme (sumériens), à partir du quatrième millénaire (4000 avant J.C) dans la composition et le développement de codes juridiques, le temps ou toute la société humaine ne connaissait pas l'idée de codifier le droit, ce qui a été considéré des Intéressés de l'histoire du droit comme une question très impressionnante, l'étude a examiné aussi l'attention des Arabes prématuré et sans précédent sur les droits de l'homme, et les méthodes de sa protection par les lois, et a limité l'étude se limite a traiter les codes juridiques les plus importants dans cette région comme le code "d'Urukagina" , et le code " d'Ur-Nammu", et le code " de Lipit-Ishtar ", et le code "Eshnunna", et le code " Hammourabi", et nous somme arrive que la préoccupation et le souci l'intérêt des royaumes arabes dans cette première période précoce l'attention au droits de l'homme était vraiment impressionnant.

مقدمة :

تعتبر الجزيرة العربية هي مهد الجنس السامي، وقد عرفت ابتـداء من الألف الرابعة عشر قبل الميلاد بهجرة سكانها في حقب متتالية ومتباعـدة ،وهذا بسب ظاهرة التغير المنـاخي الذي طرأ على بلاد الجزيرة ، و ما حل بها من جفاف ، بعد أن كان جوها معتدلا و إمطارها غزيرة و أشجارها كثيرة ، و هو ما يشير إليه المستشرق الايطالي " كبتاني" بقوله (أن الجفـاف الذي حل ببلاد العرب فحول أكثر أراضيها إلى صحاري كان العامل الأول في الهجرات التي عرفتها بلاد العرب)[1] ، وهناك من يعتقد بأن سبب الهجرة من الجزيرة العربية هو تجاوز عدد سكانها الطاقة التي تحتملها ، حيث ضاقت إمكانياتها بأهلها فطلبوا غيرها من الأوطان.

و المقصود ببلاد العرب قديما كما يذكر المؤرخون (جميع البلاد العربية بأسماء اليمن، الحجاز، نجد، قطر، البحرين، الكويت، الشـام، العراق، مصر، السـودان، ليبيا، تونس، الجزائر ، مراكش)[2] ، ولما دخل الإسلام إلى كثير من الأقطار ظلت هذه الأقطـار تحتفظ بعروبتها في حين الأقطار الأخرى كإيران أو تركيا و أفغانستان و . . ظلت تعرف بأنها أقطار إسلامية و ليس عربية و هو ما يؤكد تجذر العرق العربي في هذه الأقطار قبل الإسلام بآلاف السنين . و تعود الهجرات العربية إلى بلاد الرافدين و الهـلال الخصيب إلى ألف الرابعة قبل الميلاد وهي الهجرات الأكادية و الكنعانية و الأشورية و العمورية و الأرامية و المصرية ..

و من الضروري أن نشير إلى ا ن أول حضارة ظهرت في بلاد مابين النهريين في ألف الخامسة قبل الميـلاد (4600 ق م) أسسها السومريون الذين لم يعرف .من أي الشعوب انحدروا وقيل من أصل أسيوي وقيل أنهم من أصل فارسي وقيل أنهم من أصل أناضولي، وقيل أنهم من بقايا قوم نوح[3] ، جاءوا إلى ضفاف النهريين– دجلـة و الفرات(وقد أسسـوا أول حضارة في بلاد ما بين النهريين وكان عملهم تأسيسا استفاد منه من حكم البلاد بعدهم)[4] .

– الهجرات العربية إ لى بلاد مابين النهرين

يعود ظهور الحضارات في بلاد العرب الى الآلف الخامسة قبل الميلادي، وأقدمها حضارة الشمال: وهي حضارة الدول السومرية والأكادية والبابلية و الآشورية والكلدانية والفنيقية....ثم حضارة الوسط :وهي حضارة الدول النبطية والحجازية والتهامية...وحضارة الجنوب: وهي حضارة دول معين وسبأ وحضر موت..[5]

وفي هذا البحث سنقتصر على دراسة أهم المدونات القانونية المتعلقة بحقوق الإنسان في بلاد مابين النهرين مما يضطرنا إلى التطرق ولو بإيجاز للهجرات المتتالية من الجزيرة العربية نحو بلاد الرافدين ، في مابين الألف الرابعة والأولى قبل الميلاد حيث عرفت بلاد العرب موجات من الهجرة عرفت في التاريخ بالموجات السامية، إلى الشمال والجنوب لعل أقدمها ما كان نحو وادي النيل وبلاد اليمن ثم تلتها هجرة الأكاديين والكنعانيين والأشوريين إلى بلاد مابين النهرين والشام ما بين منتصف الألف الرابعة والثالثة قبل الميلاد ثم هجرة الهكسوس(الرعاة) ويلقبون بأمراء الصحراء أو العمالقة استوطنوا جزيرة سيناء حوالي(2200ق. م) ودام حكمهم في مصر حوالي خمسة قرون، ثم هجرة الأراميين والعبرانيين إلى أرض الشام وفلسطين في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد ثم هجرة الغساسنة و المناذرة إلى بلاد الشام والعراق في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد... وسأقتصر على عرض أهم الهجرات خاصة تلك التي كتب لها أن تؤسس دولا في بلاد مابين النهرين ذات نفوذ ومكانة في التاريخ الإنساني ومنها:

1–هجرة الأكاديين : هاجر الأكاديون من الجزيرة العربية إلى بلاد مابين النهرين في وقت مبكر نسبيا (الأكاديون من الشعوب السامية التي سكنت بلاد الرافدين والهلال الخصيب، ونزحت من شبه الجزيرة العربية ودخل الأكاديون شمال بلاد بابل من بلاد الشـام في وقت مبكر حوالي (3000ق م) [6]، ثم هاجروا شمالا إلى العراق وعاشوا مع السومريين ، وقد عاشوا في بداية عهدهم إلى جانب السومريين وأخذوا منهم الحضارة والثقافة، وراحوا يتكتلون حتى بلغوا من القوة والنفوذ ما مكنهم من التغلب على السومريين وآلت إليهم السلطة نحو 2350 ق. م بقيادة زعيمهم سرجون الأول مؤسس الدولة الأكادية الذي تغلب على الدويلات السومرية و وحد بلاد العراق كلها (ثم توسع في ملكه حتى غدا ملكه إمبراطورية واسعة كانت أول إمبراطورية في تاريخ حضارة الإنسان) [7].

2– هجرة الأشوريين: قدم الأشوريون إلى وادي الرافدين في الألف الثالث قبل الميلاد من قلب الجزيرة العربية،(استوطن الأشوريون شمال بلاد الرافدين وجزء من شرق سورية حاليا والأرجح أنهم إحدى الهجرات السامية القديمة التي انطلقت من جزيرة العرب في الألف الثالث قبل الميلاد)[8]، وتمكنوا من تأسيس الدولة ، حوالي(2100 ق. م) و يقسم بعض المؤرخين الحكم الأشوري إلى فترتين الأولى تمتد من(2100 ، إلى900 ق.م) ،هو العهد الذي سبق تأسيس الإمبراطورية حيث اهتم الأشوريون ببناء القوة العسكرية لمواجهة خصومهم من الحيثيين والميتانيين و الأكاديين والأموريين، وأما العهد الثاني فيبدأ من(900 الى632 ق.م) ، وتسمى مرحلة الإمبراطورية تبدأ بعهد الملك (سرجون الثاني) الملقب بالملك الصالح .الذي دام حكمه سبعة عشر سنة(722– 705ق.م) أحكم فيها السيطرة على بلاد بابل كلها .

3 – هجرة الأموريين: وهم قبائل بدوية كنعانية الأصل هاجروا من الجزيرة العربية نحو بلاد الشام و فلسطين في حوالي2350ق.م وانتزعوا الحكم من الأكاديين و ظل نفوذهم يتوسع إلى أن تمركزت سلطتهم في مدينة بابل في سنة2050ق.م، (وشملت هجرة الأموريين من جزيرة العرب شعبا اتجه نحو القسم الغربي من سورية وأطلق على نفسه اسم الكنعانيين وقسم آخر منهم اجتاح بلاد مابين النهرين في نهاية الألف الثالثة ومطلع الألف الثانية ق. م)[9] ، احتلوا بابل وكانت قرية لطيفة أعجبتهم بحسن موقعها و طيب مناخها فاعتنوا بها و جعلوها عاصمة مملكتهم، وكان من أشهر ملوك بابل وأعظمهم سادسهم وهو الملك حمورابي (1810-1792ق.م)، و في هذه الفترة ظهر اسم البابليين نسبة إلى المدينة التي اتخذوها عاصمة و اختفى اسم الأموريين واشتهرت الدولة و الحضارة بهذا الاسم ويفسر المؤرخ (سبتينوموسكاني) هذا التحول في التسمية بقوله (أن إحدى الدول الأمورية التي قامت في بلاد مابين النهرين قد سميت الدولة البابلية الأولى ودامت من سنة(1830إلى1530ق. م)[10].

4–هجرة الكنعانيين :هاجروا من شبه الجزيرة العربية ومن الخليج العربي نحو بلاد الشام فلسطين وسوريا والأردن، وكانت لهم مدن تحمل نفس أسماء المدن التي أسسوها في بلاد الشام كصور وصيدا، واتخذوا من المدينة القديمة الكنعانية (شكيم) في فلسطين عاصمة لهم، (الكنعانيون من الشعوب السامية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية إثر الجفاف الذي حل بها وذلك في حوالي(2500 ق. م) ، وهم فرع من العموريين (الأموريين)[11]، وقد عرف الكنعانيون باسم الفينيقيين وهو الاسم الذي أطلقه عليهم اليونانيون نسبة إلى التجارة التي اشتهروا بها ، والكلمة تعني عند الإغريق الصباغ الأرجواني الأحمر، ومنذ حوالي(1200ق.م)، وكلمة فينيقي مرادفة لكلمة كنعاني[12]، و استمرت سيادة الكنعانيين على فلسطين حوالي خمسة عشر قرنا ، وفي هذه الفترة هاجر سيدنا **إبراهيم** ـ عليه السلام ـ من العراق إلى الشام واستقر بعاصمة الكنعانيين (شكيم) ثم انتقل إلى بئر السبع وهناك ولد له **إسماعيل** ـ عليه السلام ـ .

– مدونات حقوق الإنسان في بلاد العرب قديما

إن سكان بلاد مابين النهرين هم في جلهم نازحون من الجزيرة العربية، هاجروا واستوطنوا هذه الأرض ، وصار لهم من القوة والنفوذ ما مكنهم من الوصول إلى السلطة و بناء دول كان لها شأن كبير في بلاد مابين النهرين كالأكاديين والبابليين والأشوريين ، وكان لهذه الدول اهتمام مبكر بالقانون وتدوينه وبحقوق الإنسان وهو مجال بحثنا،.ولا شك أن ظهور القوانين والنظم في المجتمعات القديمة يعد مؤشرا ومقياسا على تطور هذه المجتمعات.

إن الاهتمام بحقوق الإنسان، اهتمام يمتد في عمق التاريخ الإنساني وهو اهتمام أصيل في الفطرة الإنسانية ، تتشابك فيه تأثيرات الديانات والحضارات والفلسفات على مر التاريخ، وهو إرث ثقافي مشترك ، ولعل الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي خاصة ما تعلق بالتمييز الطبقي، والتهميش الفئوي، كان لهما الأثر البارز في تاريخ وتطور فكرة حقوق الإنسان، وهو تاريخ يلخص تدافع الشعوب المقهورة مدفوعة بما آمنت به من قيم أخلاقية وفلسفية تعلي من شأن كرامة الإنسان وحريته وحقه في الحياة، مع أنظمة الطغيان و الاستبداد، فهذه القيم أسست لمقاومة الإنسان للطغيان بكل أشكاله، الثقافية ،الاجتماعية والدينية...

ولا تزال هذه القيم تتصدر القيم الإنسانية التي تحركه ، وهو ينافح عن إنسانيته ويدفع عنها كل أشكال الهدر والطغيان، و من نتائج هذا النضال والتدافع ظهور المدونات القانونية أو ما يعرف في عصرنا بإعلانات حقوق الإنسان، وقد كانت بلاد العرب قديما سباقة للاعتراف بحقوق الإنسان والتقنين لها، و كان ملوكهم يحرصون على رعاية حقوق المواطنين ويفاخرون بها، (لقد ادعى كثير من ملوك الألف الثالثة قبل الميلاد ، أنهم كانوا حماة القانون والعدالة وليس لدينا أي شك في ذلك)[13] .

حازت بلاد العرب في التاريخ القديم شرف السبق في مجال الإعتراف بحقوق الإنسان بشهادة علماء الشرق والغرب ، فبعد ظهور المستوطنات البشرية والتي يعود تاريخها إلى مائة ألف سنة حسب الاكتشافات الأثرية، وبالموازاة مع ذلك نشأت القوانين التي ظهرت في بداية الأمر على شكل أعراف وتقاليد ملزمة لجميع أفراد المجتمع تحت طائلة سلطة المجتمع التي لا تسمح بالتحلل منها، ولعل من السوابق المبهرة في مجال حقوق الإنسان ما جاء في المراجع التاريخية أن أقدم المدونات القانونية ظهرت في بلاد العرب، (يعد القانون أحد أهم أوجه الحضارة عند الشعوب، وقد برعت حضارتنا القديمة في هذا المجال مما دعا علماء الغرب إلى الاعتراف بدين الحضارة العربية لبلادنا في عدة مجالات وبشكل خاص في أمرين هما الكتابة والقانون)[14]، وتعود أقدم المدونات القانونية على الإطلاق التي اكتشفها علماء الآثار إلى بلاد مابين النهرين، (إن أقدم القوانين المكتوبة التي توصل لها علماء الآثار هي القوانين العراقية القديمة، ولذلك أعتبر المجتمع العراقي القديم أول مجتمع إنساني عاش في ظل القانون وترك لنا بعض معالم ذلك القانون)[15] وهذه المدونات عثر عليها علماء الآثار في مدينة (نفر) ومدينة (أور) بالعراق ... و لعل أبرز الشرائع القديمة المعروفة ما صدر عن الممالك التالية:

1- **مدونة مملكة و أوركاجينا :**

وهو أحد ملوك مدينة (لجش) والذي حكمها في حدود 2350ق.م، والذي اشتهر بإصلاحاته الاجتماعية والاقتصادية لصالح الضعفاء بتخفيف الضرائب عنهم، و لم يطل حكمه بسبب التآمر الثلاثي ضده (الأثرياء والكهنة وحاكم مدينة "أوما")، ولذا لم يعمر حكمه سوى بضعة أعوام، (ولم يدم حكم أوروكاجينا أكثر من ثماني سنوات بعد تواطئ طبقة الأغنياء والكهنة مع حاكم مدينة أوما (لوجال زاجيزي)[16]، وسمي هذا القانون بقانون الإصلاح لأنه تضمن إصلاح أحوال الطبقة المتضررة، وقد تناول(مجالات مختلفة اجتماعية، كمنع تسلط الأغنياء على الفقراء ، وخاصة الأغنياء المرابين" الرباويين، كما توجد نصوص أخرى تتعلق بالعقوبات)[17].

2 . مدونة الملك أور– نمو:

في القسم الجنوبي من بلاد العراق وفي حوالي (3500 ق.م نشأت دويلات المدن السومرية والتي تحولت فيما بعد إلى دولة مركزية ثم جاء الملك " أور. نمو" فأسس الدولة السومرية الثانية التي حكمها في حدود(2050 ق.م) وبفضله خضعت كثير من المدن السومرية والأكادية لأ،ور، وقد عرف كيف يحقق التوازن العادل بين السومريين والأكاديين ،وقد جاء في مقدمة هذا النص القانوني التاريخي الذي أشتهر بإسمه، (أن الهدف من الشريعة توطيد العدالة ، وإزالة البغضاء، والظلم والعداوة ، وتوفير الحرية في البلاد) [18].

وهذا ما يخول للملك ويمنحه السلطة لوضع القوانين والتي من مقاصدها توفير الحرية والعدالة وإزالة الظلم، كما بينت مقدمة النص،(ويتضمن هذا القانون مقدمة وعدة مواد حوالي (31 مادة)، هي بإيجاز تدور حول شؤون الأسرة، و استئجار الأرض الزراعية ، وحماية المالكين ،وحالات التعويض عند الإهمال، وحالات شهادة الزور الكاذبة، والدية والإجراءات القانونية التعويضية للضحايا ، وكذا المتعلقة بالعقوبات وحالات الاعتداء على الغير، ومن القضايا التي أولاها العناية هروب العبيد وتمردهم عن سلطة أسيادهم والإجراءات القانونية وهي قضايا العصر حينذاك ،لقد احتوت المقدمة على نظرية التفويض الإلهي للسلطة حيث يرى "أور- نمو" مشرع هذا القانون في مقدمته(أن الآلهة هي التي فوضت له السلطات ، وأما المواد القانونية المتعلقة بالعقوبات فتقوم على مبدأ التعويض دون مبدأ القصاص) [19] وقد سبق هذا القانون شريعة حمورابي بثلاثة قرون)[20]، حيث تقوم فلسفة هذا القانون على تقديم مبدأ التعويض على مبدأ القصاص ، وهذا على خلاف أكثر القوانين القديمة والتي تنزع إلى الشدة في العقوبة ، كالقوانين الأشورية .

وقد جاء في المادة(15) ما يتعلق بالاعتداءات وحق الإنسان في أن يعيش في مجتمع أمن وعادل (إذا قطع رجل رجل آخر عليه أن يدفع غرامة عشرة شقيلات من الفضة) [21].

كما تضمنت بعض بنود هذا القانون مبادئ هامة تتصل بحقوق الإنسان أيضا، (كمنع المساس بجسم الإنسان، وتجريم شهادة الزور، والمعاقبة على الاتهام الكاذب، وحماية الملكية...)[22] ، وفي اهتمامه بالعلاقات الخاصة ، وما يتعلق بالأرض و استئجارها حسب نص القانون (لو أن رجلا استأجر أرضا لزراعتها و أهملها بحيث صارت غير قابلة للزراعة فعليه أن يعوض صاحب الأرض بثلاثة كور من الشعير على إيكو من الأرض)[23]، وهذه النصوص تعكس اهتمامات و مشاكل الناس ومصالحهم في ذلك الزمان، ومدار تدافعهم ، وتأتي القوانين لتنظم الحقوق وتقرر الإجراءات العقابية .

3. قانون الملك ألبت عشتار: (1934-1924ق،م)

وهو خامس ملوك "أيسن" كبرى عواصم الأموريين.(2017-1794ق،م) والذين هاجروا من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام وتحتوي هذه المدونة القانونية في أصلها على(أكثر من مائة مادة ، بينما أظهرت بقايا الرقم الطينية ثمانية وثلاثين مادة مكتوبة باللغة السومرية)[24] ، وهو من النصوص الشاهدة على سبق بلاد العرب في مجال التقنين لحماية حقوق الإنسان، ومما جاء في المادة(24) من قانون الملك "ألبت عشتار" (منع الإساءة إلى طبقة العبيد، و أوجب إنصافهم، ومنع تعذيب الإنسان للإنسان، وضمن حقوق الطفولة، ومنع المساس بجسم الحيوان)[25].

والملفت في هذا النص إهتمامه في هذا العصر المتقدم بحقوق العبيد ومنع تعذيب الإنسان ،والإهتمام بحقوق الطفولة وإهتمامه حتى بحقوق الحيوان وهي اهتمامات لم تعرفها الحضارة الغربية إلا في العصور المتأخرة من خلال بعض الإتفاقيات، كاتفاقية فينا سنة 1815م، والتي تعد خطوة هامة في تحريم التجارة بالرقيق، و كالاتفاقية الأوروبية لحماية حقوق الإنسان سنة 1950 م، والتي نصت على حماية أهم الحقوق منها(الحق في الحياة، تحريم التعذيب، تحريم الرق والعبودية، الحق في الحرية والسلامة الجسمانية، والحق في محاكمة عادلة)[26]، وكالاتفاقية الأوروبية بشأن ممارسة حقوق الأطفال1959م، والاتفاقية الأوروبية لمنع التعذيب أو العقوبة أللإنسانية أو المهينة ، 1993م، وقد سبقتها الاتفاقية الأمريكية لمنع التعذيب والعقاب عليه، 1987م .

والحقيقة التاريخية أن المجتمع الدولي لم يهتم بوضع مرجعية قانونية دولية لحقوق الإنسان إلا بعد الدمار الذي حل بالمجتمع الدولي خلال الحرب العالمية الثانية ، فحينها أصدر المجتمع الدولي ما عرف بالشرعة الدولية لحقوق الإنسان والمتكونة من الاتفاقية الدولية للحقوق المدنية والسياسية، والاتفاقية الدولية للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بالإضافة إلى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الدول المنضمة إلى هيئة الأمم سنة 1948م.

4 . مدونة مملكة أشنونا :(2000ـ1761ق،م)

و أشنونا مدينة تسمى حاليا(تل أسمر) و واضع هذه المدونة هوأحد ملوكها ويدعى(بيلا لاما حوالي1950ق.م) [27] ، الذي ينسب إليه وضع هذه المدونة، ومن النصوص البارزة في هذه المدونة الدالة على الاهتمام المبكر بالتقنين لحقوق الإنسان والسلامة الجسدية ما جاء في المادة:(42) منها،(إذا عض إنسان أنف إنسان آخر وقضمه فعليه أن يدفع "مينة" واحدة من الفضة، ويدفع للعين "مينة" واحدة، ونصف "مينة" للسن، ونصف "مينة" للأذن،وعشرة "شيكل" من الفضة للطمة)[28] ومن النصوص التي تحمل الإنسان مسؤولية ما تسببه حيواناته من أضرار تلزمه بأن يتخذ كل الإجراءات الوقائية ما جاء في المادة(54) منها: (إذا عرف عن ثور عادة المناطحة ووصل إلى السلطات نبأ معرفة صاحبه بذلك ولم يشذب قرنيه ، ثم نطح الثور رجلا فقتله، هكذا على صاحب الثور أن يدفع 3/2 "مينة" فضية)[29] وكذالك المادة (56) (إذا كان هناك كلب مسعور فوصل إ لى السلطات نبأ معرفة صاحبه بذالك ولم يحتجزه ثم حدث أن عض إنسانا وقاد ذالك إلى وفاته هكذا على صاحب الكلب أن يدفع 3/2مينة من الفضة)[30] ، وأيضا من النصوص التي تحفظ حقوق المتعاقدين وترعى العهود والمواثيق بين الناس في مجال الأحوال الشخصية،(اشترطت قوانين "أشنونا" رضا الوالدين على زواج ابنتيهما، وقرر أن من يعاشر فتاة دون عقد لن تصبح زوجة له حتى وإن بقيت عنده عاما كاملا ...، وفي حالة إذا ما تعاقد رجل مع شاب على تزويجه ابنته ثم زوجها لغيره يجب على والد الفتاة أن يرد له ضعف ما أخذ منه)[31] .

وهناك بعض النصوص تتعلق بحقوق المرأة المطلقة التي أقرها قانون مملكة "أشنونا" منذ أربعة ألاف سنة، في حين لم تتبناها بعض القوانين المعاصرة إلا في العقد الأول من القرن الواحد والعشرين منها الجزائر ، وذلك بموجب الأمر رقم(2005/02م) المؤرخ في محرم1426هـ الموافق لـ 27 فيفري2005م وفقا للمادة(78) منه .

كما جاء أيضا في المدونة ما يفيد ضرورة تبرير امتلاك الثروة بما يثبت شرعية التملك وهذا بالنسبة للحائزين على الثروات ذات الأهمية في ذلك العصر كالثيران والعبيد ، فإن القانون يطالبهم بتبرير ملكيتهم ويلزمهم(بوجود سند، موجود يثبت أنه اشترى تلك الأموال من بائع معين، فإن عجز عن تقديم ذلك وادعى شخص أخر ملكية تلك الأموال وأثبت ذلك فإن الأموال تعتبر مسروقة وتؤول للآخر)[32]، وهذا اهتمام متميز ومتقدم ، ولم تعهده الإنسانية و لم تلتفت إليه القوانين الإقليمية والدولية إلا في العصور المتأخرة حين أصبحت سرقة الأموال وتبييضها من الجرائم المدمرة للاقتصاد والعابرة للقارات ، كما عالجت المواد الأولى من المدونة قضايا كثيرة مرتبطة بالأوضاع الاقتصادية (حيث حددت أسعار بعض المواد، وجعلت من "الشيقل" الواحد من الفضة كوحدة أساسية للمبادلات، كما سمح المشرع في نفس الوقت بالتعامل بالمقايضة بدفع الشعير كمادة غذائية أساسية معادلة للفضة، فواحد(كور) من الشعير تساوي قيمته واحد "شيقل"من الفضة ، وحدد سعر واحد (كا) يساوي (1) من الزيت الصافي أو اثنين (كور) من الملح بـ"شقيل" من الفضة، وحدد أجرة العامل لمدة شهر

بـ "شقيلن"، يتقاضى مقابل ذلك ثلاث مائة لتر من الشعير)[33] ، وللإشارة فإن (مينة) تساوي نصف كيلوغرام، أما (الشيقل) فيساوي 60/1 من (مينة) في حين الكور يساوي 120 لتر، و (الكا) يساوي 300/1 من (الكور).

و حسب المعلومات المتوفرة حول قوانين هذه المملكة فإن اهتمامها بتقنين حقوق المواطنين كان له طابع اقتصادي على اعتبار أن الحاجة إلى تقنين الحقوق الاقتصادية بسبب المشاكل المعاشة الناجمة عن الفيضانات والحروب، يحظى بالأهمية نظرا لما انجر عن هذه الاضطرابات من تأثير سلبي عن الأسعار(ونظر هذا القانون إلى حقوق الإنسان من زاوية الاستغلال الاقتصادي و وجد أن رفع المعاناة الاقتصادية هو الضمان لحقوق الإنسان ، واصطبغ هذا القانون بصبغة اشتراكية)[34]، و لعل من أهم الحقوق أن يرفع الغبن الاقتصادي على الإنسان، لأنه كما يقال إن البطون الجائعة لا تعرف المعاني السامية ، ولم تنضج فكرة اهتمام المجتمع الدولي بالحقوق الإنسانية إلا في النصف الثاني من القرن العشرين بعد الحرب العلمية الثانية رغم أن المجتمعات الإقليمية سبقت إلى ذلك بقرون وسبقها العرب في بلاد مابين النهرين بالآلاف السنين كما سنوضح ذلك، وهو ما جسده المجتمع الدولي حديثا في الاتفاقيات الدولية التي مست أكثر شرائح المجتمع كحقوق الطفل، وحقوق المرأة، وحقوق الأقليات، وحقوق السجناء ، وحقوق اللاجئين، وحقوق العمال، وغيرها، ثم مضى المجتمع الدولي في تأمين هذه الحقوق بإنشاء منظمات و مجالس ومحاكم متخصصة دولية وإقليمية لحماية حقوق الإنسان .

5. القوانين الأشورية:

وأصل الأشوريين قبائل عربية هاجرت من الجزيرة العربية إلى بلاد مابين النهرين مرورا ببلاد الشام في الحقبة مابين(2500ـ2000ق.م) ـ كما وثقنا لذلك في بداية البحث ـ حيث كان الأشوريون يعيشون في ظل الإمبراطورية الأكادية (...بلاد أشور كانت تدار من قبل حكام تابعين للدولة الأكادية، و لعل أوثق تأثير تركه العهد الأكادي في بلاد أشور هو ما تركته اللهجة الأكادية في اللغة الأشورية القديمة)[35].

ومن النصوص الأشورية والتي أولت عناية خاصة للمرأة التي توفي زوجها وكفالتها وتخييرها بين العيش في بيت زوجها المتوفى أو مغادرته، كما يحمل القانون الأشوري مسؤولية التكفل بحاجياتها لأبنائها وأبناء زوجها، و هذا ما يستفاد من المادة (46) من القانون الأشوري والتي تنص (إذا لم ترغب إمرة توفي زوجها مغادرة بيتها بعد وفاة زوجها فإنه يحق لها، إذا لم يكن زوجها كتب لها وثيقة بشيء ، أن تعيش في بيت أحد أبنائها الذي تختاره ، وعلى أبناء زوجها أن يتعهدوها، وعليهم أن يبرموا عقدا معها ينص على أن يسلموها طعامها وشرابها كالعروس التي يحبونها، فإذا كانت هذه امرأة ثانية أي تزوجها رجلها بعد المرأة الأولى وليس لها أبناء، فإنه بإمكانها أن تعيش عند أحد أبناء زوجها، وعليهم مجتمعين أن يتكفلوا بمعيشتها ...)[36] ، وهذه حقوق لم تبلغها المرأة حتى في عصرنا ،بل المرأة لم تحلم أن يمنحها القانون هذه المكانة من الحب والرفعة بين أبنائها وأبناء زوجها كما نص القانون الأشوري في الفقرة السابقة.

ومن النصوص القوانين الأشورية المتعلقة بالحجاب وستر المرأة نفسها باللباس ، والذي اعتبر شارة وميزة للحرائر دون العاهرات والإماء (ومن الأحكام التي انفرد بها القانون الآشوري، عن غيره من القوانين العراقية القديمة، منع ارتداء الحجاب على الإماء والعاهرات ،لأنه كان من شارات نساء الطبقة العليا، إلا إذا كن بصحبة سيداتهن، وإذا خالفن ذلك، وحاولن التشبه بالحرائر عوقبن بتجريدهن من الثياب وصب القار(الزفت) على الرأس)[37].

رغم أن الملوك الأشوريين كان اهتمامهم الأول التوسع والأعمال العسكرية فقد شكلوا إمبراطورية ضمت شعوبا متباينة الثقافات ، ومع هذا كان للقوانين نصيبها من الاهتمام، ومن المواضيع التي حظيت باهتمامهم ، كما مر معنا (شؤون الأسرة ، وأمور البيع، والفرض ، والاعتداء على الغير)[38].

6 . مدونة الملك حمورابي

من أهم المدونات القانونية القديمة المعروفة وأشملها على الإطلاق في هذه الفترة مدونة الملك حمورابي الذي استلم الحكم بعد وفاة والده "سين ميلط" (1810-1792ق.م) ويمثل عصره العصر الذهبي لبابل، والمتأمل في مضمون بنوده هذه المدونة يدرك مدى المكانة و الشأو الذي بلغته بلاد العرب حينذاك في تأمين حقوق الإنسان عن طريق المدونات القانونية الصادرة عن أعلى سلطة ،وهو ما يكشف على أن الملوك رغم سلطتهم المطلقة كانوا على درجة كبيرة من الوعي التشريعي المتقدم بأهمية حقوق الإنسان، وكان حرصهم شديد على تضمين هذه الحقوق في التشريعات الرسمية للدولة ، وأبرز دليل هو قانون الملك حمورابي، و هو سادس ملوك الدولة البابلية الأولى(1950.1530ق.م) ، وقد كان قائدا سياسيا مقتدرا فذا ، فعندما تولى الحكم وآل إليه سلطان الدولة شرع قي تقوية أركان الدولة معتمدا على سياسة التحالفات والمعاهدات لتأمين الدولة من الخارج(فأقام في بداية حكمه اتحادا وطيدا مع دويلة "ماري" الغنية فأمن بذالك حدوده الغربية)[39] .

وبعد ست سنوات من حكمه ضم "أروك" و" أيسن" ثم لمدة تقارب عشرين سنة اهتم فيها ببناء المعابد وتحصين المدن وإعداد الجيش ، وبعد هذه الفترة قام بحملات واسعة تمكن من خلالها من تأسيس إمبراطورية ضمت العديد من الإمارات المجاورة منها:" ماري" و" توتول" في الغرب، و "أشور" و"نينوي" في الشمال و"أور" و" أريد" في الجنوب، أما عن سياسة حمورابي الداخلية فقد عمل على تثبيت دعائم الوحدة السياسية على أساس المركزية المطلقة التي تربط حكام كل المدن التابعة له بالعاصمة بابل، وقلص من سلطة الكهنة، بحيث أصبح الحاكم في النظام الجديد مدنيا بحتا يستمد أوامره من الملك)[40]

وبعد ذلك التفت إلى الجانب التشريعي بعد أن أسس إمبراطورية مترامية الأطراف وأقام الدولة البابلية الأولى ، وضع لها قانونه المشهور باسمه بعد أربعين سنة من حكمه على الأرجح (فقد سن قانونه العادل في السنة الأربعون من حكمه)[41]، والذي كان من أهدافه تدعيم الوحدة السياسية وزيادة التماسك بين أطراف الإمبراطورية ، وذلك بخضوعها لنفس التشريعات، وتتكون شريعة حمورابي من (282) بندا قانونيا، وقيل أكثر من (300بندا) [42].

و تدور محاور متن النص حول بعض المسائل منها، تقسيم المجتمع إلى أربع طبقات وهي:

1 ـ طبقة الأحرار.

2 ـ طبقة والكهنة.

3 ـ طبقة الأتباع وهم العمال والصناع و المعتقين .

4 ـ طبقة العبيد ويتكونون من أسرى الحرب والذين استرقوا بسبب عجزهم عن تسديد الديون.

بالإضافة إلى تنظيم حقوق أفراد الأسرة بوجوب العقد ومنع التعدد إلا لسبب قاهر كالعقم، كما خفف من نفوذ السلطة الأبوية، و نظم الحقوق الإرثية ، وأجاز التبني، و أوجب على المتبني أن يرعى من تبناه ويعلمه صنعة معينة، كما عني قانون حمورابي بتنظيم العقود من بيع وإيجار ومداينات، كما نظم عقد الشراكة والعارية والوديعة[43]، وقد كتب قانون

حمورابي باللغة البابلية وبالخط المسماري ويميل بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن شريعة حمورابي صدرت بعد ثلاثين سنة أو أكثر من حكمه، ونظرا لأهمية هذه الوثيقة التاريخية في مجال حقوق الإنسان والتي سنكتفي بدراسة بعض بنودها للاستدلال بها على الرقي غير المسبوق في تاريخ الإنسانية المعروف، من خلال ما عثر عليه علماء الآثار في بلاد العرب قديما إلى حد الآن على الأقل .

. نص قانون حمورابي :

يتكون نص القانون من مقدمة ومواد النص وخاتمة.

تضمنت مقدمة المدونة القانونية ديباجة تؤكيد على أن الغرَض من وضع شريعة حمورابي هو تحقيق العدالة ونشر الخير لينقطع دابر الفساد والطغيان وبذالك يعم ويتحقق الخير والعدل لشعب بلده وهذا بإيعاز من الآلهة(وقد جاء في المقدمة إشارة الآلهة للملك حمورابي لوضع هدا القانون ليجعل العدل يشرق على البلاد، وليهلك الفاسد والشرير و حتى لا يطغى القوي على الضعيف) [44]، ومما جاء فيها أيضا قول حمورابي (بأنه جاء لينشر العدل،وأنه وضع القوانين لتحقيق الخير لشعب بلادة) [45] .

فقد سجل حمورابي شريعته على مسلة كبيرة من حجر "الديوريت" طولها (225 سم) وقطرها (60 سم)، وهي أسطوانة الشكل عثر عليها في مدينة "سوسة" عاصمة "عيلام" أثناء البعثة التقنية الفرنسية (1901-1902م)، وموجود الآن في متحف "اللوفر" ـ بباريس ـ ، وهو التشريع الوحيد الذي وصلنا نصه الأصلي مدونا على نصب حجري [46] .

ويعرض بعض[47] الباحثين مجموع مواد شريعة حمورابي في ثلاثة عشر قسما ويشير إلى أن المواد من(67 إلى100) تالفة وغير موجودة في النص ، و قد وجدت (16مادة) من النص الأصلي فرتبت حسب الحروف بالتسلسل من(أ ـ إلى ـ ع) وهي: ما يتعلق بالقضاء و الشهود المواد من(1إلى5)، وما يتعلق بالسرقة والنهب المواد من(6إلى26)، وما يتعلق بشؤون الجيش المواد من (26إلى41)، وما يتعلق بشؤون الحقول والبساتين والبيوت المواد من(42إلى ز)، ما يتعلق بالقروض ونسبة الفائدة والتعامل مع صغار التجار وكبارهم المواد من(ح إلى 107) وما يتعلق بسقاية الخمر المواد من(108إلى111)، وما يتعلق بالائتمان والديون المواد (112إلى 126)، وما يتعلق بالشؤون العائلية المواد من (127 إلى194)، وما يتعلق بعقوبة القصاص والغرامات المفروضة على الأضرار التي يحدثها بعضهم ضد بعض عند التجار المواد من(195 إلى 214)، وما يتعلق بالطب والطبيب البيطري المواد من (214 إلى227) وما يتعلق بالأسعار وتعيين أجور بناء البيوت والقوارب والصناع والتجار المواد من (228 إلى 240)، وما يتعلق بأجور الحيوانات و الأجراء المواد من(241إلى277)، وأخيرا ما يتعلق بشراء العبيد وعلاقاتهم بأسيادهم المواد من(278إلى282).

وتتميز شريعة حمورابي عن غيرها من الشرائع التي سبقتها بشمولها لكل مناحي الحياة بتنوعها من دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية متجاوزة بذلك شرائع سومر وأكاد و ببلبل... والتي كانت سائدة، كما انفردت بالصرامة في تطبيق القانون وعدم التسامح مع المتلاعبين بالقوانين ولو تعلق الأمر بالحكام والقضاة ومثال ذالك ما تشير إليه المادة(5) التي تنص على عقوبة القاضي الذي يدان أو يثبت في حقه التلاعب بالأحكام (فإذا ثبت أن القاضي قد غير حكمه في القضية التي نظر فيها ، فعليه أن يتحمل عقوبة تلك الدعوى ويدفع اثني عشر مثلها، وزيادة على ذالك عليهم أن يطردوه بلا رحمة من مجلس القضاء

ومن على كرسيه، ولا يحق له أن يجلس مع القضاة للنظر في دعوى)، وهذا حرصا من المشرع لتحقيق أعلى مستوى من الحيادية والنزاهة لدى القضاة ، ولضمان العدالة و حماية حقوق المواطنين و لا ربما كثيرا من التشريعات الحديثة لم تبلغ هذا المستوى من الإجراءات الردعية والاحترازية، لأنه لا يمكن تصور وجود حقوق للإنسان دون قانون يحدد هده الحقوق إلى جانبه هيأة قضائية عادلة تضمن تطبيقه، ولذا قيل عن شريعة حمورابي (تعد شريعة حمورابي من أكثر الشرائع الوضعية التي اهتمت بحقوق الإنسان قبل الإسلام) [48]، وسنستل من نص قانون حمورابي بعض المواد لنستدل بها على أهمية هده المدونة القانونية شكلا ومضمونا إستادا إلى ما أوجزه أحد الدارسين[49] لمتن النص مستنبطا منها أهم قواعد حقوق الإنسان.

1 . مسؤولية حاكم المدينة على الأمن والاستقرار وحماية أموال المواطنين:

استنادا إلى المادة (23)(إذا سرقت أموال شخص فإن على المدينة وحاكمها تعويضه عن الأموال التي سرقت منه)، ومفهوم النص يفيد أن مسؤولية الحاكم إلى جانب مسؤولية سكان المدينة سيان حيث لا مجال لإعفاء أي فرد في مجتمع المدينة، لأن الأمن مسؤولية الجميع وليس بالمفهوم النظري بل العملي لأنه مطالب بالمشاركة ودفع نصيب من المال.

للشخص الذي سرق هذا إلى جانب ما يدفعه الحاكم، وهذا هو المعنى الذي تتطلع إليه المجتمعات المعاصرة ولم تبلغه، وقد ازداد الشعور بأهمية هذا المفهوم للمسؤولية بعد استفحال بعض الظواهر كالإرهاب والسرقة والمخدرات...، و لا شك أن الأمن والاستقرار من أهم ما يطلبه الإنسان و هو على رأس ما ينشده من حقوق.

2 . إذا فقد شخص في المدينة فالمسؤولية تقع عن الجميع :

طبقا للمادة (24) جاء في متنها (إذا فقد شخص من المدينة فعلى المدينة وحاكمها تعويض أهله) ويستفاد من مفهوم النص التأكيد على المسؤولية الفردية للمواطنين إلى جانب مسؤولية الحاكم عن أمن المجتمع وحمايته من كل ما يتهدده ، وكل شخص يتعرض للأذى فإن ذلك يعبر عن تقاعس الجميع حكاما ومحكومين وعليه يحملهم القانون دفع نصيب من المال لأهل الضحية فهدا المفهوم التضامني للمسؤولية والذي يكرس مفهوم المواطنة الحقيقي والعملي هو ما تسعى المجتمعات المعاصرة إلى تحقيقه والتي تلقي باللائمة وبالمسؤولية الكاملة على عاتق الدولة دون تحميل المجتمع مسؤولية الأمن إلى جانبها .

3 . ضمان الرعاية الصحية للمواطنين:

استنادا إلى المادة(219) التي أفادت بأنه (يجب أن تتوفر الرعاية الصحية لكل الناس ويتحمل الطبيب المسؤولية عن الأخطاء التي يحدثها للمريض)، ويفهم من نص المادة أن القانون يضمن العلاج لكل مواطن وهذا الضمان مشفوع بنصوص قانونية تحذر الأطباء من كل تهاون، لأن الإجراءات القانونية المترتبة عنها قاسية (منها العقوبة التي تفرض على الطبيب في حالة إجراء عملية جراحية فإذا كان المريض عبدا فعلى الطبيب أن يدفع له غرامة مالية تزيد كثيرا عن الأجر المتواضع الذي كان من المفروض أن يقبضه وإذا كان المريض من طبقة الأشراف ومات أو فقد بصره تقطع يد الطبيب)[50].

هذا إن دل على شيء فإنما يدل على العناية الكبيرة التي يوليها القانون لرعاية الصحة و أن الخطأ من الطبيب غير متسامح فيه لأنها قضية حياة أو موت.

5. جريمة سرقة الأطفال:

استنادا إلى المادة(14) و التي تنص على أنه(إذا سرق طفل فإن السارق يعدم)[51] سابق، ص 18. ، وهذا التشديد دليل على عناية قانون حمورابي بالأطفال ،وتشديد العقوبة على سارق الأطفال دليل على المكانة التي كان يحظى بها الأطفال في المجتمع العربي القديم، و قد أدرك المشرع العربي مند أربعة ألاف سنة شناعة هده الجريمة وأعد لها ما يناسبها من جزاء

5. المحافظة على أموال العائلة :

استنادا إلى المادة(37)، و التي تنص إذا اشترى رجل حقلا أو بستانا أو بيتا لجندي أو لسماك أو لمزارع ، فيجب إبطال عقد البيع ويعود المال للعائلة ويفقد المشتري نقوده، ذلك لأن بيع البستان يعني بيع مصدر معيشتهم ، فهنا قد نظر المشرع إلى المصلحة الكبرى وهي مصلحة العائلة فقدمها على مصلحة فرد ولذا رد القانون هذا البيع لأن البستان مصدر معيشة كل أفراد العائلة و ذلك دفعا لأعظم الضررين، حيث لا يعقل تشريد أسرة لمصلحة فرد ولو كان أبا، وكأن المشرع في هذه الحالة عمل بمبدأ الموازنة بين المصالح.

6. إثبات نسب الولد:

استنادا إلى المادة(128) من قانون حمورابي والتي تمنع العلاقات غير الشرعية ومنعت الزواج غير المدون من أجل المحافظة على النسب فالزواج غير المدون غير شرعي، و يبدو من النص أن المشرع نظر إلى عقد الزواج الموثق على أنه حماية للعلاقة الزوجية وما دام الزواج غير الموثق لا يحميه القانون فإن الطرف الضعيف هو المتضرر وهو الطفل لأن توثيق عقد الزواج هو توثيق للنسب.

7. العلاقات غير الشرعية بين المرأة والرجل:

جاء في قانون حمورابي في المادة(129) إذا قامت المرأة علاقة غير شرعية مع رجل فإنها تربط مع الرجل وترمى في الماء وقد تبدو العقوبة قاسية لكن القسوة جاءت اعتبارا لما ينجر عن هده العلاقة من أبناء غير شرعيين ومن اختلاط الأنساب و لا شك أن هده الشدة في العقوبة قد تساهم في التقليل من هدا النوع من الجرائم.

8. حقوق الأطفال: جاء في المواد(،129،168،175،177)من قانون حمورابي يضمن حقوق الأطفال وهي:

أ) ـ عدم جواز حرمان الأب ابنه من الميراث: ليس للوالد حق حرمان ابنه من الميراث، وإذا طلب الأب من القاضي حرمان ابنه من التركة، ولم يرتكب الابن إثما فليس للقاضي حرمانه من التركة، وهذا ما نصت عليه المادة(129).

ب) ـ حرية الأطفال: ليس للمرأة الحرة أو لأطفالها الإدعاء بعبودية الأطفال من الأمة، فبمجرد موت أبيهم يمنحون حريتهم ،ولهم العيش في بيته وهدا ما نصت عليه المادة(168).

ج) ـ أطفال العبد المتزوج من حرة أحرار: تنص المادة(175) إذا تزوج عبد يعمل في قصر شخص من ابنة حر وأنجبت أطفالا فلا يحق لصاحب العبد أن يدعي بعبودية الأطفال والملاحظ أن حق العبد في أن يتزوج بحرة لم يكن مسموحا به حتى في الحضارات المتأخرة كالإغريقية وهدا سبق آخر يسجله التاريخ لبلاد العرب قديما

د) ـ القضاء يتولى رعاية اليتامى: تنص المادة(177) إذا قررت أرملة لا يزال أطفالها صغار الزواج من رجل ثان،فعلى القضاة أن يدرسوا وضع بيت زوجها السابق، و يعهدون بمسؤولية زوجها السابق إلى تلك المرأة أو إلى زوجها الثاني و يطلبوا منه أن يتعهد كتابيا بتربيتهم..

وإذا نظرنا إلى زمن هذا التفكير والذي يعود إلى أربعة ألاف سنة تيقنا أن الإنسان في تلك الفترة بلغ مبلغا كبيرا من التطور والرقي في الجانب التشريعي ،وليس في مجال التشريع ووضع المدونات القانونية فحسب بل في المجال الاجتماعي ورعاية حقوق الإنسان أيضا

و) ـ رعاية أموال اليتامى: يشدد القانون على حماية أموال اليتامى، وعدم بيع ممتلكاتهم جاء في الفقرة الثانية من المادة(177)، وكل مشتر يشتري أموال الأطفال، يعد الشراء باطلا ويفقد المشتري نقوده، والملاحظ أن المشرع لم يكتف بمنع بيع أموال اليتامى بل ضمن نص المنع عقوبة من يتجرأ على شراء ممتلكات اليتامى، وهي مصادرة المبلغ المدفوع وهذا زاجر و رادع.

9 . تحريم الإجهاض:

إسقاط الحمل في شريعة حمورابي غير مسموح وهو ما تضمنته المواد(209،211،213) من قانون حمورابي إذا ضرب رجل امرأة وسبب لها إسقاط جنينها فعليه أن يدفع عشر "شيقلات" من الفضة ،المادة (209) وإذا أسقطت امرأة بسبب ضربة وسقط جنينها فعلى الجاني أن يدفع خمسة "شيقلات" من الفضة ،المادة(211)، وإذا كانت المرأة امة وسقط جنينها فعلى الجاني أن يدفع "شيقلين" من الفضة ،المادة(213)ويحاول المشرع أن يلم بكل الحالات الممكنة ومن هده الصورة الموجزة والدراسة المقتضبة يمكن أن نصل إلى النتائج التالية:

ـ أولا : إن أول ظهور للقانونيين كان في بلاد مابين النهريين على يد العرب الذين استوطنوا هذه المنطقة ابتداء من الألف الرابعة ق.م، و هي فكرة مبتكرة ورائدة في ذالك العصر، لم يسبق إليها العرب، بشهادة علماء الآثار والتاريخ.

ـ ثانيا: إن أول من اهتدى للتقنين لحقوق الإنسان وذالك بوضع المدونات القانونية ولعل أهمها على الإطلاق وأنضجها واشملها مدونة الملك البابلي العربي حمورا بي.

ـ ثالثا: لا تزال بعض الحقوق التي أقرتها المنظومات القانونية العربية في بلاد مابين النهرين في الألف الثالثة والثانية قبل الميلاد محل تفوق وسبق، ومنها: حقوق المرأة المتوفى زوجها، وحقوق اليتامى:وحق المجتمع في حماية أطفاله،وحقوق الجنين ، وحق العبد في أن يتزوج بحرة... و هو ما أوضحناه في صلب البحث

هـوامش المقـال:

(1) . محمد أسعد طلس، تاريخ العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر، د.ت ، ص ،10.

(2) . محمد أسعد طلس، تاريخ العرب ، مرجع سابق ص،91.

(3) . محمد سهيل طقوش ، وآخرون، موسوعة ، الحضارات القديم الميسرة، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،2011م ، ص، 245.

(4) . محمد سهيل طقوش وآخرون، موسوعة الحضارات القديمة ، المرجع السابق ، ص،81 .

(5) . محمد أسعد طلس، تاريخ العرب، مرجع سابق ،ص،14 .

(6) . محمد سهيل طقوش ، موسوعة الحضارات القديمة الميسرة، مرجع سابق، ص ، 59

(7) . محمد أسعد طلس، تاريخ العرب،مرجع ص سابق، ص ،18 .

(8). محمد أسعد طلس، تاريخ العرب، مرجع سابق، ص31،

(9). محمد سهيل طقوش ، موسوعة الحضارات القديمة، مرجع سابق، ص،69.

(10). محمد أسعد طلس، تاريخ العرب، مرجع سابق، ص،82 .

(11). محمد أسعد طلس، تاريخ العرب، مرجع سابق، ص 363 .

(12). محمد أسعد طلس، تاريخ العرب، مرجع سابق ،363.

(13). هنري ساغر، عظمة بابل ، مؤسسة ودار رسلان، ط ،2011م ، دمشق، 117 .

(14). مجلة الحقوق ، مجلة علمية محكمة ، جامعة الكويت ،العدد،3 السنة33، ص،316 .

(15). هاشم الحافظ ، تاريخ القانون ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، 1980م ، ص41.

(16). عبد الوهاب حميد رشيد، حضارة وادي الرافدين، ط،1، دار الهدى، دمشق ، 2004م، ص، 192.

(17). .صلاح الدين جبار، المدخل إلى تاريخ القانون، دار بلقيس للنشر والتوزيع، الدر البيضاء، الجزائر، ص17.

(19). هاشم الحافظ ، تاريخ القانون ، مرجع سابق ، ص41.

(20). عباس العبودي، تاريخ القانون، نشر وطبع وتوزيع، دار الكتب،الموصل ، العراق، 1988م ، ص، 85 .

(21). عباس العبودي تاريخ القانون مصطفى كريم الخفجي،مجلة مركز بابل للدراسات، المجلد، 3،العدد، 2،ص288 .

(22). سهيل حسين الفتلاوي، موسوعة القانون الدولي،درا الثقافة للنشر، عمان ،ط3 سنة 2010 ص15 .

(23). البريشت جونز وآخرون، شريعة حمورابي وأصل التشريع في العراق القديم،ترجمة، أسامة سراس. ط 3 ، دار علاء الدين، دمشق ، 2003م ، ص،138.

(24). عبد الوهاب حميد رشيد ، حضارة واد الرافدين، مرجع سابق، ص،122 .

(25). سهيل حسين الفتلاوي، موسوعة القانون الدولي، حقوق الإنسان ، مرجع سابق، ص،16.

(26). غازي حسن صباريني ، الوجيز في حقوق الإنسان وحرياته الأساسية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع (الأردن)، ط 2011م، ص،61.

(27). توفيق سليمان، دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة، ط1، 1985م، دار 1دمشق، ص،75.

(28). توفيق سليمان، دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة، ط1 ،1985م ، دار 1 دمشق، ص،181.

(29). توفيق سليمان، المرجع السابق 182.

(30). توفيق سليمان، مرجع السابق ص 182.

(31). محمد بيومي مهران ، حضارة الشرق الأدنى القديم، الحياة السياسية والاقتصادية والتشريعية دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999 م، ص 429.

(32). صلاح الدين الناهي، تعليقات على قوانين العراق القديم، مجلة سومر، ج1، م5، كانون الثاني، 1949م.ص،45.

(33). سعدي سليم ،القانون والأحوال الشخصية في كل من العراق ومصر،مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة ،2009. 2010 م ص،21.

(34). سهيل حسين الفتلاوي، موسوعة القانون الدولي، مرجع سابق ،ص 16.

(35)، طه باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ط،1973،1م،ص،195.

(36). محمد أسعد طلس، تاريخ العرب،مرجع ص سابق، ص229،228 .

(37). ثلماستيان عقراوي، المرأة ودورها ومكانتها،في حضارة وادي الرافدين،دار الحرية للطباعة والنشر،،بغداد،ص148 .

(38). عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ج1ط،1، 1971م، مكتبة الأنجلو المصرية ص،504.

(39). نعيم فرج، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم،دار الفكر،دمشق 1972م ،ص،132.

(40). حسن محيي الدين السعدي،تاريخ الشرق الأدنى القديم،ج2 ،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، 2005م، ص،134.

(41). عامر سليمان،القانون في العراق القديم،جامعة الموصل العراق ،1977م، ج2، ص.

(42). أنظر:فاضل إدريس،المدخل إلى تاريخ النظم،ص -67وايضا أنظر:،محمد بيومي مهران، حضارات الشرق الأدنى القديم،ص،433.

(43). د، محمود سلام زناتي،قانون حمورابي، مطبعة عين شمس،القاهرة،1971م ،ص،11.

(44). د ،عباس العبودي، شريعة حمورابي، نشر وتوزيع مديرية دار الكتاب، الموصل، 1988م، ص، 32.

(45). د، محمود سلام زناتي،قانون حمورابي، المرجع السابق،ص،43.

(46). فون زودن ،مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ترجمة فاروق إسماعيل، ط1دار الهدى، دمشق، 2003م، ص، 152.

(47). رشيد فوزي، الشرائع العراقية القديمة، مرجع سابق، ص، 108،109 .

(48). فاضل عبد الواحد علي،من ألواح سومر إلى التوراة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م، ص،67 .

(49). سهيل حسين الفتلاوي،موسوعة القانون الدولي، مرجع سابق ،ص 16.

(50). فون زودن . مرجع سابق،ص،153.

(51). سهيل حسين الفتلاوي،موسوعة القانون الدولي، مرجع سابق ،ص 18.

.

المناضل التونسي حافظ ابراهيم ودوره في دعم الثورة الجزائرية

د.عبدالله مقلاتي

جامعة المسيلة

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخص:

هذا المقال يتناول جهود واسهامات المناضل التونسي حافظ ابراهيم في دعم الثورة الجزائرية، ومنها توفير السلاح وربط الاتصالات وكسب الموقف المغربي والاسباني لصالح الثورة، وسوف نتعرف على مساهمات فعالة مفيدة للثورة الجزائرية ومع ذلك ظلت هذه الشخصية مغمورة، وظلت هذه الصفحة الحافلة مغيبة في تاريخ الثورة الجزائرية .

الكلمات المفتاحية: تونس، النضال التونسي، حافظ ابراهيم، الجزائر، الثورة التحريرية

Abstract

This article examines the efforts and contributions of the Tunisian activist Hafez Ibrahim in support of the Algerian revolution, including the provision of arms and communication link and earn Moroccan position and Spanish for the benefit of the revolution, and will recognize the effective contributions useful to the Algerian revolution However this personal submersible remained, and remained this page absent the bus in the history of the Algerian Revolution .

المقدمة:

من بين الشخصيات العربية والإسلامية التي خدمت الثورة الجزائرية بإخلاص حافظ إبراهيم، وهو مناضل تونسي دستوري آمن بوحدة القضية المغاربية، وكرس حياته انطلاقا من تواجده في اسبانيا لدعم حركة تحرير ووحدة المغرب العربي، ناضل من أجل القضية التونسية، واكتشف خدماته المناضلون المغربيون أولا وتحول الى صديق حميم لقادة جبهة التحرير الجزائرية وخادم لهم في اسبانيا، وعلى الرغم من تعدد الأدوار التي نهض بها فانه يظل شخصية مجهولة لم ينصفه التاريخ، ولم تستحضر فضائله وأدواره، وهذا ما يطرح على الباحثين أكثر من سؤال، فما هي خصوصيات شخصية هذا الرجل وتوجهاته السياسية والفكرية، وكيف ارتبط بحركتي التحرير المغربية والجزائرية، وما هي الأدوار التي قدمها لدعم الثورة الجزائرية؟ أسئلة نحاول الإجابة عنها على ضوء ما توافر لدينا من مصادر ومراجع، وأهمها شهادته الشخصية التي سجلها الصحفيين المغربيين محمد خليدي وحميد خباش ونشراها مع شهادة الخطيب في مؤلف "جهاد من أجل التحرير"، وشهادة المناضلين الذين عملوا معه وأشادوا بأدواره.

أولا: حافظ ابراهيم النشأة والنضال المستمر.

ينتسب حافظ ابراهيم إلى عائلة محافظة ومناضلة بمنطقة الساحل التونسي، شارك والد جده في حرب القرم إلى جانب الأتراك واستشهد في إحدى المعارك، وشارك أفراد من أسرته خلال الحرب العالمية الأولى إلى جانب الأتراك، أما والده فكان شيخا زيتونيا، تخرج من الزيتونة على رأس الدفعة التي كان من خريجيها كذلك الشيخ عبد الحميد ابن باديس، اشتهر الوالد بالعلم والاستقامة وكان يلقب بمنارة الساحل التونسي، شارك في تأسيس خلايا الحزب الدستوري القديم الذي أسسه عبد العزيز الثعالبي الجزائري الأصل، والذي ترك بصماته في مسار الحركة الوطنية من خلال نشاطه السياسي وكتاباته ومواقفه الصارمة تجاه الاحتلال1

ولد محمد حافظ يوم 15 ماي 1916 بقرية أكودية الساحلية، تلقى تعليمه في الكتاب القرآني، ودخل المدرسة الابتدائية الفرنسية، وقد رسخت في ذهن محمد حافظ صور التمييز بين الأهالي والفرنسيين ومظاهر التبشير التي كانت على أشدها، ومن بين أساتذته شخص يسمى عميروش، وهو مثقف من منطقة القبائل الجزائرية كان يذهب كل يوم أحد إلى القداس، ويذكر حافظ أنه ارتبط بالجزائر وجوها السياسي منذ الصغر، فهو يذكر أنه وبمناسبة الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر سنة 1930 شن رفقة التلاميذ إضرابا عاما، ووجهت له الإدارة شخصيا تهمة التحريض[2]

تحصل في سنة 1934 على شهادة البكالوريا في شعبة الفلسفة ودخل جامعة السربون ليدرس الطب، وفي باريس واكب نشاط الحركة الطلابية والوطنية الشمال افريقية، ورسخت في ذهنه أفكار التحرر والتضامن المشترك مع الإخوان الجزائريين والمراكشيين من أجل تحرير الشمال الإفريقي.

وخلال الحرب العالمية الثانية قرر استغلال الظرفية الملائمة للثورة على فرنسا وحل بالجزائر اعتقادا منه ان الجزائريين كانوا مستعدين للحرب أكثر من غيرهم، ويذكر حافظ في شهادته أن ذلك تم بتنسيق مع مناضلي حزب الشعب الذين تعرف عليهم في فرنسا، وذكر منهم محمد خيضر ومحمد الجيلالي، وقد أكد أن هدفه كان إعلان ثورة عارمة على الفرنسيين وانه اجتهد في البحث عن الأسلحة وتحصل على بعض القطع منها بواسطة ضابط جزائري اسمه" الدواني"، وانه حصل اتصال مع السلطات الألمانية لطلب مساعدتها، ولكن مصالي الحاج رفض مشروع ثورة بدعم من الألمان، ويبدوا أن اتصالات حافظ كانت حثيثة، حيث أورد أنه اتصل شخصيا بخمسين مناضلا كانوا مستعدين جميعهم للثورة، وانه تعرف في الجزائر على عبدالكبير الفاسي والمهدي بن بركة الطالبين المغربيين في كلية العلوم، وبعد ثلاث أشهر شعر حافظ بتفطن الفرنسيين لنشاطه فخرج من الجزائر بأعجوبة سنة 1940 وقد رافقه ابن بركة الى الباخرة التي أقلته الى فرنسا[3]، وتفصح هذه الشهادة عن جرأة وإخلاص حافظ للعمل الثوري، وارتباطه المبكر مع الجزائر من خلال اختياره للجزائر بدل تونس لتجسيد مشروعه الثوري، وتبقى كثير من القضايا غير معروفة عن مشروع هذه الثورة، خاصة وأن المناضلين الجزائريين لا يشيرون الى دور حافظ في مشروع انتفاضتهم، في حين تشيد بالأدوار التي نهض بها عبدالرحمان ياسين رفيق حافظ [4]

وقد ارتبط حافظ بمجموعة ثامر والرويسي والتريكي التي تعاونت مع الألمان بهدف المساعدة في تحرير تونس، كما كانت له ارتباطات وثيقة مع الطلاب العرب وخاصة المغاربة الذين يدرسون بفرنسا وينشطون في حركات التحرر (عبدالكبير الفاسي، أحمد الديوري، احمد العلوي، شوقي مصطفاي...الخ)، تولى في مطلع سنة 1944 رئاسة جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين، وكان قد انتخب عام 1936 كاتبا عاما للجمعية، وشارك في تعميق روابط التضامن المغاربية بين الطلاب والمهاجرين، مستغلا في ذلك ظروف هزيمة فرنسا ورغبة الألمان في مساعدة العرب على التحرر، وبنزول الحلفاء في فرنسا اضطر لترك فرنسا واللجوء الى اسبانيا[5].

استقر في مدينة "سان سيباستيان" ثم بمدينة "فونتارابي"، وتكفل بمهمة استقدام الوطنيين التونسيين الى اسبانيا، وكانت الشرطة الفرنسية ترصد تحركاته[6]، وانتقل الى مدريد وتلم اللغة الاسبانية، وفتح مكتبا سريا لاستقبال زملائه المناضلين التونسيين الذين فروا الى هناك هروبا من انتقام الفرنسيين، وكان ينوي ممارسة مهنة الطب للتغطية على نشاطه لكن القانون الاسباني لم يكن يسمح لحاملي الشهادات الأجنبية بممارسة هذه المهنة، واضطر لفتح مخبر لصناعة الأدوية، وحقق نجاحا باهرا في ذلك، وأوجد حافظ علاقات مفيدة في الأوساط السياسية والعسكرية الاسبانية تمهيد لمساعدة المناضلين المغاربة، وخطط رفقة عبدالرحمان ياسين لجل اسبانيا قاعدة خلفية لدعم حركات التحرر المغاربية، واثر انتقال مجموعة ثامر الى القاهرة وإنشائها لمكتب المغرب العربي عام 1947 أسس بجهده الخاص "لجنة الدفاع عن قضايا المغرب العربي"[7]، وهي لجنة قد تكون امتدادا لمكتب مدريد المؤسس من قبل المناضلين الدستوريين التونسيين، ولكننا لا نعرف الكثير عن توجهاتها وارتباطاتها، وكانت أهدافها بالأساس تحرير المغرب العربي وتوحيده.

وقد بذل حافظ جهودا معتبرة في التعريف بقضايا المغرب العربي في اسبانيا، وربط علاقات وثيقة مع المناضلين المغاربيين، وخاصة المغربيين الذين كان له حضور متميز في اسبانيا. وقد تعرف منذ بداية الخمسينيات على كثير من قادة حزب الاستقلال المغربي، وسوف يكون له شأن في دعم حركة المقاومة المغربية والثورة الجزائرية وتوحيد حركات التحرر المغاربية[8].

ثانيا : حافظ ابراهيم ودعم حركات التحرر المغاربية:

استكمالا لنشاطه الطلابي والسياسي الذي توقف اضطراريا في فرنسا واصل حافظ نشاطه الوطني في اسبانيا بعزيمة وحيوية، وان كان ظل متمسكا باستراتيجية العمل المغاربي الموحد فقد اهتم بالقضايا الوطنية لأقطار المغرب العربي الثلاث، وكان ثوريا مؤمنا بخيار العمل المسلح سبيلا لتخليص هذه الأقطار من ربقة الاحتلال وأن الاستعمار الذي دخل البلاد بالقوة لا يمكن أن يخرج منها إلا بالقوة، ولتحقيق هذا الهدف اقتنع حافظ بضرورة تغيير العقليات باتجاه العمل الثوري، واعتماد كل السبل الممكنة لتسهيل الوصول للهدف، وتوفير وسائل العمل وهي الأسلحة[9]، ولهذا وجدناه ثوريا مختلفا عن توجهات الأحزاب السياسية، ومهتما بالبحث عن أي طرف يساعد على تحرير المغرب العربي (ألمانيا، اسبانيا، مصر... الخ)، ومسخرا كل جهده لتوفير الأسلحة.

1. دعم حركة التحرر التونسية:

بعد طول انتظار استبشر حافظ خيرا بانطلاق رصاصات المقاومة الأولى في تونس عام 1952، وخلال هذه السنة قام حافظ بجولة طويلة استغرقت سنة بحالها، وسخرها للدعاية لقضايا تحرير المغرب العربي وقضية بلاده خاصة، بدأها بالقاهرة والتقى هناك صالح بن يوسف، وعرض عليه إمكانية تزويد المقاومة بالأسلحة، لكنه رفض التعامل معه لأسباب مجهولة، قد تكون بسبب ماضي الرجل وأفكاره وطريقة عمله، وقد اغتاظ حافظ من تنكر الوطنيين التونسيين له ورغم ذلك واصل جهده في الدفاع عن قضية بلاده سواء في اسبانيا أو في الأقطار العربية والإسلامية التي زارها، ولم ييأس حافظ من جواب ابن يوسف، فكانت له مراسلات واتصالات مع قادة الحزب الدستوري، ومنهم الباهي لدغم ممثل الحزب بنيويورك، والذي يؤكد انه كانت له مراسلات مع حافظ منذ أفريل 1952، وقد اشتكى له حافظ في رسالة مؤرخة في 6 سبتمبر 1952 من موقف الدستوريين الذين التقاهم في القاهرة، حيث جاء في الرسالة ما يلي: " ... ولقد ذهبت الى الشرق في الحقيقة لا للتجارة والاطلاع ولكن قبل كل شيئ لمد يد المساعدة لإخواني ناسيا الماضي بما فيه من ضغن وإحن، إذ كنت أظن أن الدماء التي قدمها الشعب بدون تردد ومساومة كانت ختما مقدسا للوحدة والتضامن لكل التونسيين الذين ساعدتهم الظروف بأن يكونوا يدا وصوتا لبلدهم في أرض الله الواسعة. ولكن يا للأسف إذ وجدت غير ذلك ورجعت بحزن يعقوب على يوسف يوم كاد يقتله إخوته..."[10].

وقد زار حافظ العراق وسوريا ولبنان، كما مكث شهرا في ايران في ضيافة أبي القاسم الكاشاني، وصام رمضان في تركيا، حيث التقى "مندريس" الرئيس التركي صاحب التوجه الإسلامي، وقد سعى حافظ ليعرض عليه إقامة مؤتمر إسلامي[11]، وقد عمقت هذه الزيارات من اطلاعه على أوضاع العالم الإسلامي وساعدته في كسب صداقات جديدة، استغلها في التعريف بالقضية التونسية دون أي توجيه من الحزب.

2 . دعم المقاومة المغربية:

في أوت 1953 تمت تنحية الملك محمد الخامس من عرشه ونفيه، وبدأت أعمال المقاومة السياسية والعسكرية، وشاهد حافظ بالصدفة الخبر المصور لهجوم علال بن عبدالله على السلطان المزيف ابن عرفة، فعقد العزم على أن يكون جنديا في صف المقاومة المغربية[12]، وكان قد اتصل قبل ايام بممثلي حزب الاستقلال باسبانيا عبدالكبير الفاسي وعبدالرحمان اليوسفي، كما اتصل به السفير الأردني بمدريد عيسى البندق ليطلب منه الاتصال بعلال الفاسي ليستحثه على القدوم الى مدريد لإقامة جنازة رمزية للملك محمد الخامس عرفانا بوطنيته[13].

وقد تجند حافظ لدعم المقاومة المغربية بكل ما يملك من قوة، فأخذ بيد عبدالكبير الفاسي الذي حل بمدريد ليكون رابط اتصال بين قادة حزب الاستقلال في الداخل والخارج، وليشرع في البحث عن الأسلحة استعدادا لتنظيم المقاومة المسلحة، وقد ذكر حافظ أن عبدالكبير كان يمر بظروف مادية صعبة وانه كان يقدم له يد المساعدة :" كان عبدالكبير ينشط في اسبانيا

بصفته ممثلا للحزب، وكنت دائما أنصحه بالاتصال بالأوساط النافذة واجتناب المغامرين والسفسطائيين كالمدعو سكورتزيري مثلا"[14]، وهكذا يبدوا ان اللقاء مع عبدالكبير الفاسي شكل بداية انخراط حافظ في دعم المقاومة المغربية.

وقد كانت الأراضي الاسبانية بمثابة قاعدة خلفية للمقاومة وحلقة اتصال بين المغرب وأوربا خاصة في مجال تنقل الأشخاص وشراء الأسلحة من السوق السوداء، وكان حافظ مؤهلا ليكون موجها وداعما لهذا النشاط بحكم معرفته للميدان وصداقته لعدد من المسؤولين والمهربين الاسبان، كما أن مخبره الصيدلي كان بمثابة خزان أسلحة ومواد كيمياوية وقنابل..الخ[15]. وعن بداية نشاطه في مد المقاومة بالسلاح يقول حافظ في شهادته:" ...حضر أحمد الدغموني من المغرب، كانت له سيارة أجرة قديمة من نوع شفروليه، فأرسلته مع أحد الكيمياويين الذين يشتغلون معي الى الأشخاص الذين اشتريت منهم السلاح، كما أهدى لي صديق حميم اسباني اسمه انتونيو بعض القطع... وجمعت بذلك سبعة عشر قطعة أرسلتها مع أحمد الدغموني في شهر شتنبر 1953 ... ولما اشتد الطلب على السلاح أضاف الإخوان سيارتين، واحدة لعبدالسلام الكيداني وثانية لمحمد الشاوني، واستمر حمل السلاح من الشبكات التي أعددتها في مدريد وبرشلونة الى غاية دجنبر 1957"[16].

وقد كانت هذه المساعدة مهمة وتبعث الأمل على إمكانية التزود بالسلاح، ويشير محمد البجاوي الذي سجل شهادات قادة حزب الاستقلال والمقاومة رواية حافظ السابقة ويؤكد إن دفعة السلاح الأولى التي أرسلها كانت من ماله الخاص، " ...في يوم 27 أوت (1953) اتصل أحد قيادي حزب الاستقلال، الكبير الفاسي بمدريد بالسيد حافظ ابراهيم قبل أن يقوم بجولة واسعة في أوربا: اسبانيا، ألمانيا، بلجيكا، سويسرا وايطاليا قصد شراء وتسريب الأسلحة نحو المغرب، وكانت مبالغ الصفقة الأولى من تمويل حافظ ابراهيم ثم تلاحقت مساعدات الأقطار وتبرعات الشعوب العربية..."[17].

وهكذا وبعد نجاح مهمة شراء وتمرير الأسلحة الى المقاومة المغربية اشتد عضد المقاومة، التي نفذت عمليات جريئة في عدة مدن مغربية، وأمام تزايد الحاجة الى الأسلحة عظمت مسؤوليات حافظ الذي سخر إمكانياته للبحث عن الأسلحة في اسبانيا وخارجها والتخطيط لتهريبها الى المغرب بالاستعانة مع بعض أعوان الشرطة والجمارك، وأصبحت لحافظ شبكة شراء وتهريب أسلحة واسعة تمد المقاومة بكل ما تحتاجه من أنواع الأسلحة، وفي عام 1954 اقترحت حركة المقاومة على حافظ المساعدة في نقل العمل المسلح الى فرنسا، فاصطحب معه حسن العرائشي الى برشلونة وقدمه لأصدقائه من أجل تسهيل إدخاله للتراب الفرنسي، ولما اتصل بالإخوان المغربيين هناك وجدهم غير مستعدين، وقد وجهه حافظ الى أصهاره تحسبا لأية مساعدة، وفي بداية عام 1955 كرر حافظ المحاولة لكنه لم يوفق في ذلك[18]، وقد استبشر حافظ خيرا بتعيين عبدالكريم الخطيب قائدا لجيش التحرير المغربي، وربط معه علاقات وثيقة، وفي أفريل 1955 طلب عبدالكبير الفاسي وعبدالكريم الخطيب إدخال حقيبة من الأسلحة وكتب خاصة بصناعة القنابل جمعها هذا الأخير من فرنسا، فتولى حافظ بمساعدة أحد أصدقائه الأسبان إدخالها الى تطوان بنجاح[19]، ويذكر حافظ أنه أرسل كذلك قطع أسلحة مع المقاوم حسن صفي الدين عام 1954، وزود عباس المسيعدي بقطعة سلاح دخل بها الى المغرب، ورافق الغالي العراقي الى ايطاليا لشراء باخرة أتوس وكمية كبيرة من الأسلحة[20]. كما تكفل حافظ بتحضير أقراص السم للمقاومين الذين يضطرون لأخذها عند الضرورة، حيث أفتى علال الفاسي بجواز ذلك[21]، وقد شهد أحد قادة المقاومة الغالي العراقي بفضل حافظ ودوره في اعزاز المقاومة المغربية، حيث قال عنه ما يلي: "شخصية مناضلة مكافحة، شخصية لا يعرفها الكثيرون ولا يعرفون دور هذا الوطني العربي الإسلامي، ويتعلق الأمر بالدكتور حافظ ابراهيم، وهو تونسي الجنسية، تجمعت فيه كل مكارم الأخلاق وحسن السيرة وعمق الوفاء ودماثة المعاشرة، واضح في أفكاره صادق في كلامه أمين في التزاماته مؤمن بالمبادئ السامية التي جعلت منه القدوة والمثل لمن يريد ولوج ميدان الكفاح والجهاد بقيم التضحية ونكران الذات لقد وقف هذا المناضل في صف الحركة التحريرية المغربية وتقدم صفوف جبهة التحرير الجزائرية، ساندهما معا وزكاهما وأيدهما بكل ما في الكلمات من معاني وذلك بأشكال شتى، بالفعل لا بالقول، بالدعم

لا بالتمويه، بالمساندة وبالمساعدة بكل ما يستطيع، ولم يبخل ولم يدخر من الدعم كيفما كان لونه ونوعه، الشيء الذي لا يقتضي فحسب الاعتراف له بالجميل، بل يجب الإقرار له أنه كان ركنا أساسيا للحركتين التحريريتين المغربية والجزائرية اللتين فتح الدكتور حافظ أمامهما أبواب العمل النضالي داخل التراب الاسباني وتطويره وتأطيره والدفع به إلى الأمام"[22].

ويبدو واضحا أن تجربة حافظ في دعم المقاومة المغربية كانت ثرية ومفيدة، وقد استثمرت بعد استقلال المغرب في دعم الثورة الجزائرية، وقد حافظ على علاقات وثيقة مع رموز المقاومة الذين تولوا مناصب حكومية في المغرب المستقل ومع محمد الخامس والأمير الحسن سخرها في خدمة دعم الثورة الجزائرية والتضامن المغاربي.

3 . دعم مشروع جيش تحرير المغرب العربي:

ناضل حافظ ابراهيم مطولا من اجل تجسيد وحدة المغرب العربي في الكفاح، وقد توفرت في عام 1954 ظروف أفضل لتوحيد المعركة، خاصة بعد اندلا ع الثورة الجزائرية واستعداد مصر لدعم المعركة المشتركة، وقد كان سعي جبهة التحرير الجزائرية والسلطات المصرية حثيثا لتوحيد جيوش تحرير المغرب العربي الثلاث، واشترطت المخابرات المصرية لتقديم دعمها من الأسلحة توحيد كفاح الجبهتين الجزائرية والمغربية، لكن علال الفاسي لم يستسغ المشروع، واختلف مع فتحي الديب، مما جعل هذا الأخير يقترح إقصاء علال الفاسي كشرط لتقديم المساعدة لجيش التحرير المغربي، وعندما ابلغ عبدالكبير الفاسي حافظ ابراهيم بهذا الأمر استنكره، وأكد على ضرورة التمسك بعلال الفاسي زعيما للحزب والمقاومة والحرص على عدم تدخل المصريين في شؤون المغرب الخاصة، وأعرب عن ثقته في إمكانية إيجاد ممول لجيش تحرير المغرب العربي في حجم الحكومة المصرية، وبسبب هذا الموقف وغيره اتخذت السلطات المصرية موقفا معاديا لحافظ[23].

وقد تراجعت المخابرات المصرية عن شرطها هذا، وقبلت بمساعدة جيش تحرير المغرب العربي الذي يلتزم بمواصلة المعركة الى غاية تحرير الأقطار الثلاث تونس والجزائر والمغرب، وتم التحضير لإنشاء جيش تحرير المغرب العربي بالناظور في جوان 1955، ولاندلا ع الثورة المشتركة في المغرب والجزائر بداية اكتوبر 1955. وقد تطلب الوصول الى هذين الانجازين جهودا جبارة بذلها المخلصون لفكرة وحدة المغرب العربي، ومنهم حافظ ابراهيم الذي كان يمثل لوحدة جبهة تكاد توازي الجبهة المصرية[24]، حيث كان خير ناصح للقادة المغاربيين الذين يلتقي بهم في مدريد وتطوان، واستمر في دعم هذا الجيش بالأسلحة والمعدات بواسطة شبكته النشيطة في التهريب، كما كان ينهض بالمهمات الصعبة.

فمن أجل حث الوطنيين التونسيين على الانضمام لجيش تحرير المغرب العربي وتفويت الفرصة على فرنسا كلف حافظ في فيفري 1955 بإقناع صالح بن يوسف المتواجد بجنيف بإيقاف المفاوضات مع فرنسا وتعميم المعركة في المغرب العربي، وأكد لابن يوسف ضرورة إقناع بورقيبة بالتراجع عن المفاوضات والانضمام للجبهة المغربية الجزائرية التي ستنتفض قريبا، وكانت إجابة ابن يوسف حسب شهادة حافظ مستخفة بهذا المشروع[25]، ولم تمض ثلاث أشهر حتى تحول صالح بن يوسف عن موقفه لصالح جبهة التحالف المغاربية.

وقد حقق جيش تحرير المغرب العربي أهدافا إستراتيجية، فبعد أسبوع من اندلا ع ثورة 2 اكتوبر 1955 اضطرت فرنسا لإعادة الملك محمد الخامس الى عرشه والدخول في مفاوضات الاستقلال، كما لجأت الى منح تونس الاستقلال التام، وذلك خوفا من وحدة المعركة في الأقطار الثلاث التي كانت بلا شك تعصف بالوجود الفرنسي في كامل الشمال الافريقي.

وقد اعتقد حافظ أن استقلال تونس والمغرب سيكون مكسبا مهما للثورة الجزائرية، ولم يبد موقفا مناوئا لاستقلال المغرب وتونس بحجة اتفاقية العمل المشترك، بل سعى لتمكين الثورة الجزائرية من الاستفادة من استقلالهما، "كنت ضد الاتفاقية الذاتية لتونس، لكني لم أكن أحب الفتنة، وقدرت أن العمل من أجل فتح جبهة جديدة في جبال الريف والأطلس أجدى، وعندما يستقل المغرب تطالب تونس باستقلالها، وإذا استقل الجناحان سيرفرفان على الجزائر."[26] ، وكانت وجهة نظره هذه

مطابقة لوجهة نظر مؤتمر الصومام، في حين أن قادة الوفد الخارجي والسلطات المصرية كانوا معارضين لاستقلال المغرب وتونس ويبحثان عن تسوية مشتركة مع الجزائر، وقد بذل حافظ من اجل ذلك مساع حثيثة جعلت منه جنديا مخلصا لنصرة الجزائر.

4 . صِلاتُه بالثورة الجزائرية :

تردد اسم حافظ بين أوساط المناضلين الجزائريين من خلال دوره في دعم المقاومة المغربية، وقد تناهى إلى مسامع حافظ إبراهيم موعد اندلا ع ثورة الفاتح نوفمبر عندما أعلمه بذلك عبد الكبير الفاسي الذي أبلغه بحاجة المقاومة الجزائرية للسلاح[27]. وكان ابن بلة وابن بوالعيد قد اجتمعا بعبدالكبير الفاسي في بيرن السويسرية عشية اندلا ع الثورة، وطلبا منه شراء الأسلحة وتوحيد المقاومة في المغرب العربي.

وكان اتصال الدكتور حافظ بالقادة الجزائريين حدثا بارزا في حياته ما زال يذكر تفاصيله الى اليوم: "في إحدى الليالي اتصل بي عبد الكبير الفاسي، أيقضني من النوم، وقال لي : لا بد أن أراك حالا، لما سألته عن سبب هذه الطوارئ والأوامر الاستعجالين، أجابني بقوله: لقد أتيتك بشخصين في منتهى الجرأة، ذهبت إلى مكان تواجده بمقهى قرب ضواحي مدريد، فوجدته مع شخصين عرفت أنهما محمد بوضياف (علي الدريدي) وأحمد بن بلة، كان بوضياف يلبس معطفا ويبدوا عليه المرض، أما بن بلة فقد كانت صحته جيدة، كان قد حصل على وسام عظيم في الحرب العالمية الثانية، بدأت الثورة في جبال الأوراس بإمكانيات هزيلة، فقد باع مصطفى بن بولعيد حافلته ببلدة أريس القريبة من باتنة..."[28].

وان كان حافظ لم يحدد تاريخ اللقاء فالمرجح انه كان في بداية عام 1955، حيث كان ابن بلة وبوضياف مشغولين بمهام نقل الأسلحة عبر الجبهة الغربية وتوحيد الجبهة مع المقاومة المغربية، كان ابن بلة في رحلاته المتكررة الى مدريد يلتقي بحافظ لدراسة التطورات وطلب الاستشارة، وكان بوضياف ينسق معه مهام جيش تحرير المغرب العربي، ويوكل أحيانا الشهيد ابن مهيدي لأداء هذه المهمة، كما كان حافظ يتنقل الى تطوان ويعاين تجسيد وحدة المقاومتين المغربية والجزائرية ميدانيا فيحس بنشوة الانتصار والسعادة لتحقق أمله في وحدة المغرب العربي.

وقد تحدث حافظ في شهادته عن إسهاماته في دعم الثورة الجزائرية وعلاقاته بقادة الثورة، وخاصة منهم ابن بلة وبوضياف، وقد أعجب كثير بحيوية وصبر ابن بلة، الذي كان ينهض بمسؤوليات الثورة الكبرى ويدير ملف العلاقة مع المصريين، "كان أحمد بن بلة هو همزة الوصل بيننا وبين المصريين، كان يتمتع بفضيلة الصبر، وقد برهن على ذلك عندما أوقف المصريون باخرة السلاح الثانية في أواخر سنة 1956 بدعوى هيجان البحر، في حين كانت المفاوضات بين مصر وحكومة قي مولي الفرنسية جارية لتحسين العلاقات"[29]، وقد يكون حافظ هو الذي رسخ في ذهن ابن امهيدي صورة مصر البراغماتية، وحقيقة الوضع بالمغرب العربي، وكان ينزل ببيته أثناء تنقله الى مصر، وقد أعجب حافظ كثيرا بشخصية الشهيد ابن مهيدي وقال عنه: "العربي بالمهيدي طلب الشهادة فرزقها، لم يتخلف يوما عن صلاة الصبح، كان هادئا لا يرفع صوته"[30]. وهكذا فقد ارتبط حافظ بعلاقات وثيقة مع قادة الثورة الجزائرية وتجند لدعمهم بكل ما يملك من قوة، وتحول بعد استقلال المغرب الى خدمة الثورة الجزائرية، حيث قدم لها ظروب مختلفة من المساعدة انطلاقا من خبرته وموقعه في اسبانيا، وهو ما نوضحه فيما يلي.

ثالثا : جهود حافظ ابراهيم في مساعدة الثورة الجزائرية:

خلال المرحلة الأولى من اندلا ع الثورة تعرف حافظ على محمد بوضياف وأحمد بن بلة وعرض استعداده لتقديم المساعدة للثورة الجزائرية.

وبذل حافظ منذ اتصاله الأول بالقادة الجزائريين جهودا معتبرة في البحث عن الأسلحة، واقتنائها وإرسالها عبر المغرب للثورة الجزائرية، وسخر شبكاته لدعم الثورة الجزائرية والمقاومة المغربية، وتأكيدا على استمراره في دعم الثورة الجزائرية كان يعرض

خدماته بسخاء ويستقبل المسؤولين الجزائريين في بيته وينتقل إليهم في ساحة المعركة بالريف المغربي حيث ينشط ابن امهيدي، ففي اليوم الموالي لعودة محمد الخامس الى المغرب في 15 نوفمبر 1955 "التقى حافظ ابراهيم بالسيد العربي بن مهيدي بحضور الدكتور الخطيب الذي قدم خصيصا من الريف لحضور اجتماعات حركة المقاومة المغربية وأعرب حافظ عن وضع كامل شبكات المقاومة المغربية على ذمة جبهة التحرير الجزائرية، وإثر هذا اللقاء تحول العربي بن مهيدي إلى مدريد حيث بقي قرابة عشرة أيام في ضيافة حافظ ابراهيم قبل أن يتوجه إلى القاهرة"[31].

واثر حصول المغرب على استقلاله واصل حافظ ابراهيم صحبة الدكتور الخطيب تجنده لمساعدة المقاومة الجزائرية، وهذا ما تؤكده شهادة حافظ بالقول : "ولما استقل المغرب واصلت مع الدكتور الخطيب مساعدة الجزائريين وتزويدهم بالسلاح، ومررنا لهم الشبكات التي نظمناها في أوروبا، كما تخلينا لهم عن الباخرة الثانية التي بقيت في مرسى مطروح إلى غاية شهر ماي 1956، وفي يوم أخذ عبد الكريم في سيارته أحمد بن بلة ولمين الدباغين، وذهبوا لزيارة محمد الخامس الذي أبدى استعداده الكامل لدعم الثورة الجزائرية"[32].

ويذكر الغالي العراقي أن الملك طلب الاجتماع بت رفقة الخطيب وحافظ يوم 12 ماي 1956، واستمع مطولا لحديث حافظ الشيق، وقد هنأه الملك على الجهود التي بذلها في سبيل المغرب، وخاطبه وهو يودعه عطفا على طلبه بمساعدة الجزائريين :"بلغ يا حافظ ... بلغ الجزائريين بأن المغرب ملكا وحكومة وشعبا باقون على العهد الى أن تتحرر الجزائر، وأن نحتفل جميعا بيوم استقلالها وحريتها..."[33] ، وهذه الشهادة التي سمعناه مشافهة من العراقي تدل على حرص حافظ على خدمة الثورة الجزائرية[34].

وقد عين بن بلة محمد يوسفي مسؤولا عن شبكة جبهة التحرير الوطني باسبانيا وطلب منه الاستفادة من خدمات حافظ، حيث اتصل به وطلب منه تقديم المساعدة اللوجستيكية للتنقل بين المغرب واسبانيا، وكانت مساعدته ثمينة في الاتصال بالشخصيات التي يعول عليها في شراء وتهريب الأسلحة، وفي إنشاء شبكة تموين لصالح الجبهة، كانت تتشكل من مجموعتين: الأولى برية تعتمد السيارات وتسلك طريق: برشلونة . مدريد . طنجة . الناظور. وجدة. والثانية بحرية تعتمد المراكب وتحمل الأسلحة في براميل الزيت، تنطلق من برشلونة لتنزل حمولتها بمليلية أو الناظور[35]. وقد تلقى يوسفي من الخطيب وحافظ جوازا مغربيا باسم مصطفى مالك يحمل هذه الملاحظة" في خدمة صاحب السعادة سفير المغرب في اسبانيا"[36].

وقد شجع حافظ محمد الخامس على زيارة تونس وعقد ندوة المغرب العربي بمشاركة جبهة التحرير الجزائرية، وكان يعتقد أن في هذا الاجتماع خير للقضية الجزائرية، وذكر حافظ أن محمد الخامس عرض عليه تمثيل الجزائريين[37]، وقد يكون ذلك تقديرا لمكانة حافظ لدى القادة الجزائريين أو احتراز احتياطي من عدم حضورهم، والمعروف أن القادة الجزائريين أقنعوا بحضور مؤتمر تونس، وكان حافظا مشجعا لحضورهم هذا المؤتمر، وحادث في هذا الشأن ابن بلة ورفاقه في مدريد، حيث يورد لبجاوي أن ابن بلة حل يوم 20 أكتوبر 1956 بمدريد، والتقى بحافظ ابراهيم وعبد الرحمان اليوسفي ومحمد بوضياف الذي أعلمه برغبة محمد الخامس في مقابلة قيادة الثورة الجزائرية[38]، وقد حل حافظ بالمغرب، ولكنه لم يحضر اجتماع القادة الجزائريين التمهيدي بالأمير الحسن في تطوان، في حين حضر اجتماعهم بالملك محمد الخامس بالرباط رفقة عبدالرحمان اليوسفي[39]، ولا نعرف ما إذا رافق حافظ الوفد المغربي إلى تونس أم لا.

وقد واصل حافظ مهمة تواصله ودعمه للثورة الجزائرية طوال سنواتها المتعاقبة، وكشف بوصوف خليفة ابن امهيدي على منطقة وهران اتصالاته بحافظ ابراهيم والدكتور الخطيب خاصة في مجال شراء الأسلحة، حيث سلم محمد الخامس للخطيب وحافظ ابراهيم مبلغ 250 مليون فرنك اقتنيت به 2750 بندقية مع ذخيرتها، وقد أشرف حافظ على إفراغ هذه الشحنة في فيفري

1957 وسلمها لبوصوف وبعدها بفترة أمد حافظ ابراهيم كريم بلقاسم بمبلغ 100000 دولار فيما مكن السيد الشريف (مستشار الملك) محمد اليوسفي من مبلغ 117 مليون فرنك إضافي لإعادة تنظيم شبكة تسليح الثورة انطلاقا من مدريد[40].

وفي نفس الفترة ربط حافظ ابراهيم علاقة متينة بوزير الدفاع الاسباني "مونوسوانتش"، الذي أعرب له عن استعداده لتقديم تسهيلات كبيرة لشراء السلاح لثوار الجزائر شريطة أن يكون ذلك بواسطة إحدى الدول، ولكن تخوف المسؤولين الاسبان فيما بعد حال دون ذلك. وهذا الموقف كان في رأينا معزولا وفرديا، ولم يكن موقف السلطات الاسبانية التي كانت تشدد رقابتها على نشاط جبهة التحرير الجزائرية، وقد تعرض منزل حافظ للتفتيش مرات عدة، ووصف بأنه غار جبهة التحرير الجزائرية[41].

ومن المهام التي تكفل بها حافظ كذلك المساعدة في نقل العمل المسلح الى فرنسا، حيث كانت اسبانيا حلقة الوصل والمرور من المغرب الى فرنسا والعكس، وفي هذا الشأن يورد حافظ:" طالما فكرت في هذا المنهج رفقة الأخوين أحمد بن بلة والعربي بلمهيدي وبعض الإخوان المغاربة، حاولنا مرارا، لكننا لم نوفق لأسباب كثيرة، أهمها أن حزب مصالي الحاج كان قويا في فرنسا، ومصالي كان ضد الكفاح المسلح أينما كان"[42]. وذكر حافظ أنه بعث بالتنسيق مع ابن بلة الأخ ابراهيم المانوزي للاتصال بالإخوان الجزائريين وتجنيدهم في فرنسا[43]، ويبدوا أن الوفد الخارجي للجبهة ممثلا في ابن بلة حاول استغلال الإمكانيات التي وضعها حافظ في الاتصال بفدرالية الجبهة بفرنسا وتجنيد المهاجرين الجزائريين تمهيدا لنقل العمل المسلح الى فرنسا، وقد تم تأجيل بدأ لعمل المسلح في فرنسا الى عام 1958، حيث تمت الاستفادة من مختلف الشبكات اللوجستيكية التي وضعت خصيصا لمهمة نقل الأشخاص والأسلحة الى فرنسا عبر اسبانيا.

وتأكيدا على دور حافظ في دعم الثورة الجزائرية نورد شهادة الغالي العراقي، حيث يقول: "في البداية كنت أضن أن روابط الدكتور حافظ إبراهيم تنحصر مع المجاهدين المغاربة فقط، فإذا بي أكتشف أن علاقته بجبهة التحرير الجزائرية كانت متينة وعميقة لأنها كانت بمثابة العمود الفقري للثورة الجزائرية فوق التراب الاسباني"[44]. وهكذا فقد نال حافظ شرف المشاركة في دعم الثورة الجزائرية، وخاصة في المرحلة الأولى التي كانت في حاجة ماسة الى مناصر من حجم حافظ ابراهيم. وقد ظل حافظ يرتبط بعلاقات وثيقة مع قادة الثورة، وخاصة مع بوصوف وكريم بلقاسم وابن طوبال، واستمر في تأدية خدماته اللوجستيكية لصالح الثورة، وان كان بوتيرة أخف، حيث تسكت شهادة الرجل ومصادرنا المعتمدة عن توضيح دوره وارتباطاته، فهل يعود ذلك إلى تطور قدرات الثورة واعتمادها على وسائلها الخاصة، أم أن هناك تقصرا غفلت عنه الشهادة والمصادر التي رجعنا إليها، نعتقد أن محاولتنا هذه ستظل تمهيدية للكشف عن جوانب من انجازات المناضل المغاربي الذي قدم الكثير لكنه ظل مجهولا، وتوفي مؤخرا باسبانيا في صمت.

الخاتمة:

ومن خلال ما سبق فقد كان حافظ مناضلا مغاربيا، خدم قضايا تحرير المغرب العربي بتفان وإخلاص، وكان يؤمن بفكرة وحدة المغرب العربي، وبالعمل المسلح كسبيل للتحرر، وقد أسهم في دعم حركات تحرر المغرب العربي، بدء بالقضية التونسية وانتهاء بالثورة الجزائرية مرورا بدعم حركة المقاومة المغربية، وبذل جهودا جبارة في دعم الثورة الجزائرية، وذلك بتقديم الدعم العسكري واللوجستيكي والمعنوي، وكسب مختلف الأطراف لخيار دعم الكفاح الجزائري وخاصة الأوساط المغربية والاسبانية.

الهوامش:

[1] خليدي محمد وخباش حميد: جهاد من أجل التحرر ، الدكتور عبدالكريم الخطيب والدكتور حافظ ابراهيم ، ط1، منشورات افريقيا ، الرباط 1999. ص 58

2 المصدر نفسه، ص . ص 58. 59.

[3] محمد خليدي وحميد خباش: المصدر السابق، ص . ص 61. 62

4 عبد الرحمان ياسين من مواليد سنة 1910 بالجزائر من عائلة سورية الأصل، استقرت عائلته بتونس منذ الحرب العالمية الأولى ، حيث زاول عبد الرحمان تعليمه الابتدائي والثانوي، وإثر وفاة والده اضطر للانقطاع عن الدراسة، انخرط في الحزب الدستوري، وفي بداية 1934 انتقل إلى "تولوز" لمواصلة تعليمه العالي، ولأسباب مادية انقطع عن الدراسة وتوجه إلى الجزائر التي بقي بها إلى نهاية عام 1938، ثم انتقل الى فرنسا ودرس الآداب بباريس بين 1938 و1939، وخلال إقامته هناك نشط في حزب الشعب

الجزائري وعمل بصحيفة "الأمة"، وفي سبتمبر 1939 انتقل إلى ألمانيا واتصل رفقة أمين الحسيني بالضباط الألمان لطلب المساعدة، وقد عمل مذيعا بمحطة "زيسان" وتزوج من ألمانية، وعاد مع القوات الألمانية إلى باريس في جوان 1940، كان كثير التنقل بين برلين وباريس وطنجة من اجل إنجاح مشروع ثورة المغاربة، غادر باريس اثر دخول الحلفاء اليها ليستقر صحبة حافظ ابراهيم في اسبانيا، وفي مدريد أسس بالتعاون مع المخابرات الاسبانية "مكتب الاستعلامات للعالم العربي"، وواصل نشاطه المعادي لفرنسا، فكان يبث عبر راديو مدريد حصة يومية باللغة العربية معادية لفرنسا موجهة إلى سكان شمال افريقيا، وكثير الاتصال بالمناضلين المغاربة، توفي بمدريد سنة 1948 ودفن بمقبرة "كرينيون" الخاصة بالجنود المسلمين المحاربين مع فرانكو. ومثل ياسين نموذج فريد من نوعه في تجسيد النضال المشترك التونسي الجزائري بإعتباره مناضلا في الحزب الدستوري التونسي وفي حزب الشعب الجزائري، انظر عادل بن يوسف: المناضل الدكتور حافظ ابراهيم، المجلة الصادقية، تونس، الجزء الأول، عدد 21 (جانفي 2001) ، ص 37

[5] عادل بن يوسف: المرجع السابق، ص . ص 32 . 33

6 أرشيف الإقامة العامة، المودع بالمعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية التونسية، شريط R52 ، صندوق، ملف 1، تقرير بتاريخ 25 اكتوبر 1944 وأخر بتاريخ 6 سبتمبر 1944.

[7] عادل بن يوسف: المرجع نفسه، ص 34. 35

[8] شهادة الغالي العراقي، مقابلة شخصية، الدار البيضاء، 26 ديسمبر 2004

[9] عادل بن يوسف: المرجع نفسه، ص . ص 31. 32

[10] Bahi Ladgham ، **Correspondonces 1952 – 1955، les années décisives**، Cérès productions، Tunis p 96 ، 1990،

[11] شهادة حافظ ابراهيم ، المصدر نفسه ، ص .65

[12] المصدر نفسه، ص . ص 67 . 68

[13] المصدر نفسه، ص . ص 65 . 66

[14] المصدر نفسه، ص . ص 65 . 66

[15] شهادة عبدالكبير الفاسي، القيادي في حزب الاستقلال، شهادة مسجلة عام 1987، ومحفوظة بالمتحف الوطني للجهاد، رقم 329/2

[16] شهادة حافظ ابراهيم ، المصدر نفسه، ص . ص 68. 69

[17] L'EBJAOUI Mohammed; **Verité sur le révolution Algerienne** ،ed; Gallimar، Paris، 1970 ، p126

[18] شهادة حافظ ابراهيم، محمد خليدي وحميد خباش: المصدر نفسه، ص 76

[19] المصدر نفسه، ص . ص 71. 72

[20] المصدر نفسه، ص 77

[21] المصدر نفسه، ص 75

[22] الغالي العراقي : ذاكرة نضال وجهاد، حديث عن سنوات التحريروالجمر والغبار، حوار مع أحمد نشاطي، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2002 ، ص . ص 106. 107

[23] المصدر نفسه، ص . ص 72. 73

[24] انظر بتفصيل عن جيش تحرير المغرب العربي ، مقلاتي عبدالله : العلاقات الجزائرية المغاربية والافريقية، ط1، دار السبيل، الجزائر، 2009، مج1، ص . ص 142. 199

[25] محمد خليدي وحميد خباش : المصدر نفسه، ص . ص 70. 71

[26] المصدر نفسه، ص 87

[27] شهادة عبدالكبير الفاسي ، المصدر السابق

[28] محمد خليدي وحميد خباش المصدر نفسه، ص 70

[29] المصدر نفسه، ص 74

[30] المصدر نفسه، ص 70

[31] L'EBJAOUI Mohammed **Verité sur le révolution Algerienne** ،ed; Gallimar، Paris، 1970. p35

[32] شهادة حافظ ابراهيم: المصدر نفسه، ص 70

[33] الغالي العراقي: المصدر السابق، ص، ص 190، 215

[34] مقابلة شخصية، مع الغالي العراقي، سبق ذكرها

[35] BENATIA Farouk ;**Si Mohammed KHATAB précurseur du maghreb** OPU، Alger ،1991،pp75 - 76 انظر شهادة محمد يوسفي: مجلة الجيش، يصدرها الجيش الوطني الشعبي، الجزائر، عدد خاص بالتسليح ، ص . ص 21. 26 و

[36] L'EBJAOUI Mohammed **op cit**، p 135

[37] محمد خليدي وحميد خباش : المصدر نفسه، ص، ص 82، 84

[38] L'EBJAOUI Mohammed **op cit**، pp 135 -136

[39] Ibid ; p137

[40] Ibid , p p 137 - 138

[41] محمد خليدي وحميد خباش : المصدر نفسه، ص 78

[42] المصدر نفسه، ص 75. 76

[43] شهادة حافظ ابراهيم: المصدر نفسه، ص 76

[44] الغالي العراقي : المصدر السابق، ص107

قراءة في انقلاب الصخيرات بالمغرب عام 1971

د. سلوان رشيد رمضان (جامعة تكريت– العراق)
د.م.م أحمد عبد السلام فاضل (جامعة سامراء– العراق)

الملخص

أفرزت الأحداث السياسية التي أعقبت الاستقلال المغربي عام 1956 صعوبات كبيرة في التنسيق بين الأحزاب لقيادة الحكومة المغربية وبناء الدولة الجديدة، واستمرت حتى عام 1965، إذ أعلن الملك الحسن الثاني حالة الاستثناء وأمسك بزمام الأمور بيده، لذلك استشرى الفساد في مفاصل المملكة، الأمر الذي خرج عن السيطرة مع تغاضي الملك عن أغلب تلك الأمور، لذلك خطط عدد من قادة الجيش للقيام بانقلاب أبيض لإنقاذ البلاد مما كانت تمر به وإعادة الأمور إلى نصابها على غرار الانقلاب الذي جرى في ليبيا عام 1969 ضد الملك السنوسي.

جرى تنفيذ الانقلاب يوم 10 تموز 1971 في قصر الصخيرات في أثناء احتفال الملك الحسن الثاني بميلاده وبحضور حشد كبير من المدعوين، إلاّ أن اختلاف القادة فيما بينهم وقتل قائد الانقلاب محمد المذبوح، أربك العملية مع عدم السيطرة على الملك وقادته الموجودين في القصر، أدى إلى استعادة الملك السيطرة على مقاليد الحكم وإلقاء القبض على القائمين بالانقلاب وإعدامهم .

Abstract

Produced the political Events that followed the Moroccan independence in 1956 great difficulties in coordination between the parties to the leadership of the Moroccan government and state buildings new and continued unti 1965 with king hussan II declard state of exception and grabbed the reins of things in his hand so rampant corruption in the joins of the kingdom which go out of control with charging king for most of those things that anumber of military Commenders plans

to save the country which was passing by and to put matters right along the lines of the coup that took place in Libya in 1969 against king Senussi Implementation of the coup on 10 July 1971 at the king hassan II palace his birth and the presence of alarge crowed of invitees but the difference leader among themselves and killed the coup leader Muhammad almathbouh befuddled process with the lack of control over the king and the leaders

المقدمة:

أنَّ المتتبع للتاريخ المغربي يلحظ ارتباك المشهد السياسي فيه منذ استقلاله عام 1956 والصراع على تشكيل الحكومة، وقد زاد ذلك الارتباك في عام 1958 بعد أن تسلم أحمد بلافريج رئاسة الوزارة، إذ شهدت تلك المرحلة صراعات داخلية بين الأحزاب نفسها، ولاسيما حزب الاستقلال الذي عانى من انقسام واضح وصراع على رئاسة الحكومة، وبالتالي انشقاق عدد من الأعضاء عن الحزب عام 1959، وبقي الوضع السياسي مرتبكاً ومضطرباً مما دعا الملك محمد الخامس إلى رئاسة الوزارة بنفسه عام 1961، وبعد وفاته وتولي الملك الحسن الثاني الحكم ورئاسة الوزراء بدأت الأحزاب تعترض على تولي الملك رئاسة الوزراء، ولاسيما حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية الحزب اليساري الذي تكون نتيجة الانشقاق عن حزب الاستقلال وعرف ذلك الحزب بالتحفظ والاعتراض على سياسة الملك، ولاسيما بعد إعلانه حالة الاستثناء وحلّ البرلمان عام 1965، وحكم المغرب حكماً ملكياً مطلقاً، لذلك بدأت تستشري الرشوة والفساد في جميع مفاصل الدولة واضطربت الأوضاع الاقتصادية وتغاضي الملك عن محاسبة الفاسدين الأمر الذي دفع العسكريين للقيام بانقلاب على غرار الانقلاب الذي قام به معمر القذافي في ليبيا على الملك محمد إدريس السنوسي وألغى الملكية وأعلن الجمهورية عام 1969، لذلك أراد القادة العسكريون بقيادة اللواء محمد المذبوح القيام بالانقلاب من أجل تخليص البلاد من الملكية والفساد والرشوة والأزمات الاقتصادية نتيجةً لإسراف الملك وبلاطه.

احتوى البحث على مقدمة وخمسة محاور وخاتمة تضمن المحور الأول الأسباب غير المباشرة والمباشرة للانقلاب، وتطرقنا في المحور الثاني للإعداد للانقلاب، أما المحور الثالث فقد وَضَّحَ ساعة الصفر للقيام بالانقلاب أي لحظة تنفيذ الانقلاب وفشله،

وجاء المحور الرابع ليكشف عن الموقف الشعبي والدولي من الانقلاب، وركّز المحور الخامس والأخير على إعدام قادة الانقلاب، وجاءت الخاتمة استنتاجيه لما توصل إليه البحث من نتائج.

أولاً: الأسباب غير المباشرة والمباشرة للانقلاب

بعد إعلان الملك الحسن الثاني[1] في الثاني من حزيران 1965 حالة الاستثناء وحلّ البرلمان، أصبحت السلطتان التنفيذية والتشريعية بيده وأخذ يحكم المغرب حكماً ملكياً مطلقاً ومباشراً، إذ قام بجمع المسؤوليات بوصفه رئيساً للدولة ومراقباً لأعمال الوزارة، وبذلك صارت الحكومة المغربية تتلقى الأوامر والإرشادات والخطط التي أراد الملك نهجها من دون مراقبة ممثلو الشعب لها[2]، فضلاً عن تدهور الحالة الاقتصادية في عام 1966، إذ كانت الاحتياطات النقدية ضئيلة، وكانت الميزانية العامة السنوية تعاني من عجز نصف مبلغها الكامل، لذا أصدرت الحكومة قراراً عاجلاً حاسماً لوضع حد لذلك التدهور عن طريق وضع ميزانية تساند الوزارات المنتجة كوزارة الصناعة وزارة السياحة وتقنن الواردات وتنقص من نفقات الدولة الباهظة وترفع من عدد الضرائب والجبايات والأسعار العمومية[3]، ونتيجةً لعدم وجود رقابة برلمانية على الحكومة المغربية وتدهور الحالة الاقتصادية وإتباع الحكومة لحالة التقشف، سرى الفساد في أغلب مفاصل الحكومة المغربية، وانتشر في الأجهزة السياسية والإدارية، غير أنه كان بدرجات متفاوتة إلى درجة استعمال الرشوة من أجل تحقيق أغراض سياسية، إذ برزت في المغرب ظاهرة بيع الوظائف بقدر معين من المال من أجل شراء المناصب، لذلك أصبح الموظفون الكبار في الدولة همهم الأول والأخير هو الحفاظ على وظائفهم وترقياتهم، وكما أورد أحد الموظفين المغاربة:" **إننا نعرف بأنه بإمكاننا أن نسرق وأن ننهب وأن نستغل نفوذنا ما دمنا لا نتدخل في الأمور السياسية**"[4].

انتشر الفساد بصورة تدريجية إلى أن وصل ذروته في عام 1970 إلى درجة أنه لا يمكن القيام بأية معاملة مهما بلغت درجتها، إلاّ بعد تقديم الرشوة، وقد أصبح الفساد في المغرب المنهج الذي تتبعه الحكومة وأصبح جزءاً من طريقة الحكم إلى درجة أن الملك رفع موظفاً اشتهر باستقامته إلى مرتبة وزير، وأعلن الملك لحاشيته قائلاً:"**سأصرفه عندما يسرق خمسة وعشرين مليوناً**"[5]، وبذلك أعطى المثال والقدوة السيئة، فهو أول ملاك عقاري في البلاد وهو من وَظَّفَ أمواله في منتجات الألبان ومزارع الأزهار ونباتات الزينة وتجارتها وودائعه في البلدان الأجنبية لا حصر لها، وكان الملك حين يسير في أحد الطرقات ويكتشف ملكية تعجبه يعلن استيلائه عليها، ويجبر مالكها على التنازل والابتسامة على شفتيه وسيطرته كذلك على ممتلكات عدد من الوزراء، وذلك ما حصل في عام 1971، إذ قام أحد الوزراء باحتفالية بعد الانتهاء من بناء (فيلته) وكان الملك من بين المدعوين، وبعد أن قام بجولة في السكن، التفت إلى الوزير قائلاً:" **شيء رائع كم كلفتك وكان الجواب محرجاً للوزير فكيف بالإمكان موازنة ثمن الدار مع راتب الوزير وبحذر قَدَّمَ الوزير رقماً أقل من نصف القيمة الحقيقية، فأجابه الملك إنها صفقة رائعة يا عزيزي سأعطيك حالاً شيكا بالقدر المذكور، وبعد أن اشترى السكن من الوزير قدَّمه هدية لبلد صديق كمقر لسفارتهم**"[6].

كان الأسلوب الذي اتبعه الملك في معاملته للموظفين في البلاط الملكي وقادة الجيش كذلك معاملة السيد للعبد، إذ إنه عاملهم كمرتزقة وفي كثير من الأحيان كان يستخف بنصائح قادة الجيش وكانت الأغلبية العظمى منهم منزعجين جداً إزاء الترف المتباهي المنحط الذي يبديه البلاط، على الرغم من الأزمات الاقتصادية التي كانت تعيشها البلاد، تلك كانت الحالة التي تعيشها المغرب قبيل القيام بالانقلاب ولعل تلك هي الأسباب غير المباشرة لانقلاب الصخيرات[7].

أما الأسباب المباشرة لانقلاب الصخيرات عام 1971 فهي تتعلق بقادة الانقلاب الاثني عشر[8]، وكل شخص منهم لديه الدافع أو السبب المباشر لمشاركته بالانقلاب، وسوف نذكر أبرز الأشخاص المخططين للانقلاب وكل بحسب دوافعه، ومن أبرز الشخصيات الرئيسة في الانقلاب والمخطط الأول للانقلاب هو اللواء محمد المذبوح[9] الذي كان يشغل منصب قائد

الحرس ورئيس الديوان الملكي، اتصف بنزاهته وصرامته واتزانه، ويكره الترف ويأبى الانسياق إلى منهج الفساد الذي يتبعه الملك ليسيطر فيه على حاشيته وأعضاء حكومته، وكان المذبوح أكثر الشخصيات استقامةً في حاشية الملك، وحين سافر المذبوح إلى الولايات المتحدة الأمريكية في نيسان 1971 ليقوم بالإعداد لزيارة الملك الرسمية، اكتشف قضية فساد متورط فيها كثير من المسؤولين وأفراد من العائلة المالكة، إذ التقى بسيناتور أمريكي وأخبره بالفساد المستشري في المغرب وأطلعه على تقرير يخص شركة (بانام) الأمريكية التي أرادت بناء فندق في الدار البيضاء، إلا أنها تعرضت إلى محاولة ابتزاز من عمر بن مسعود الملحق في الديوان الملكي الذي كتب رسالة إلى الشركة اقترح عليها أن تودع مبالغ معينة في المصارف الأجنبية لعدد من الوزراء وأفراد العائلة المالكة، إذ أرادت إنهاء قضيتها بسرعة إلا أن شركة انسحبت من المشروع[10]، بعد ذلك عاد اللواء محمد المذبوح ومعه صورة من رسالة مسعود وكان مقتنعاً بأن على الملك وضع حد لذلك الفساد وأخذ التدابير اللازمة حفاظاً على كرامة المغرب فإن الملك قام بدوره بتوقيف عمر بن مسعود الذي أفادت اعترافاته ضلوع أربعة وزراء[11] في الفساد مما دفع الملك إلى إبعاد الوزراء بسبب قضية الرشوة من دون اتخاذ أية إجراءات بحقهم، وكان المذبوح ينتظر من الملك رداً حازماً، لكنه لم يفعل شيء وعاود المذبوح الكرة مرة ثانية وذهب للملك ووعده بأنه سيفعل اللازم، إلا أنه لم يفعل شيئاً، وهنا أدرك اللواء أنه إذا لم يصفِ الملك فإن الملك سوف يصفيه، لأن الملك استشعر خطورة المذبوح بحيث أصبح بالحجم الذي يحاسب الملك، لذلك ينبغي إن يصفى مما دفع المذبوح للتفكير بالانقلاب[12].

أما الشخص الثاني البارز في الانقلاب فهو العقيد احمد عبابو[13] الذي يعدَّ محوراً رئيساً للانقلاب لأنه كان مدير مدرسة اهرمومو العسكرية[14] التي كانت تضم عدداً من الضباط والتلاميذ الذين استخدمهم في الانقلاب، وكان عبابو شخصية طموحة جداً تسعى إلى المجد وكان معجب بالانقلاب الذي قام به العقيد معمر القذافي[15]، في ليبيا على الملك محمد إدريس السنوسي[16]، فضلاً عن أنه كان ناقماً على الملك منذ عام 1958 حين قيام الأخير بقمع الاضطرابات التي قامت في الريف بصفته القائد العام للقوات المسلحة الملكية في عهد والده الملك محمد الخامس، ولاسيما في قرية بودير مسقط رأس عبابو المنطقة الفقيرة والمتمردة التي قصفتها الطائرات وهاجمتها الدبابات وسحقتها عشر كتائب من الجيش عام 1958 إبان تمردها على حكومة أحمد بلافريج[17]، آنذاك[18]، وهو ما لم ينساه احمد عبابو أبداً[19].

كان عبابو شجاعاً إلى حد التهور ومتسلطاً إلى حد الطغيان، وكان ذكياً وماكراً ومحتالاً إلى درجة كبيرة، إذ إنه تمكن من جمع ثروة كبيرة قياساً إلى مرتبه اليسير، فقد كان يمتلك فيلتين ومزرعة وعدد من الممتلكات الأخرى، إذ استغل إدارته لمدرسة اهرمومو العسكرية فاقتطع من مخصصات أرزاق التلاميذ النصيب الأكبر وألزمهم بدفع ثمن الكتب الدراسية ليستردها في نهاية الدورة من دون التعويض ليبيعها مرة أخرى للوافدين من الدورة التالية، وقام كذلك بإرسال عدد من الضباط والتلاميذ من أجل نهب المشاغل والورش المجاورة لمصلحته، وأراد عبابو تملك المزرعة المجاورة للمدرسة بالقوة، إلاَّ أن صاحب المزرعة اشتكى فقام الملك باستدعاء احمد عبابو وقال له:" **لماذا لم تخبرني لأدبر لك الأمر ومنحه شيكاً بقيمة المزرعة**"[20].

أما الشخصية الثالثة البارزة في الانقلاب فهو العقيد الشلواطي[21] الذي كان يشغل منصب رئيس المكتب الثالث وقائد العمليات اللوجستية في قيادة الأركان العامة للجيش وبحكم ذلك المنصب عدَّ الشلواطي من الشخصيات المهمة في الانقلاب لأن اعتماد الانقلاب كان عليه في تزويد الانقلابيين بالاعتدة والذخائر، وامتاز العقيد الشلواطي بذكائه واستغلال نفوذه حين كان عاملاً على وجده، للحصول على أراضي الملاكين واختلاس عدد من أموالهم لذلك انتهت وظيفته الإدارية تلك[22]، فضلاً عن أن العقيد كان يحقد ويكره الملك لأن الأخير في إحدى زيارته لمدينة وجدة وقبيل وصوله بيوم واحد أرسل ولي عهده الأمير محمد السادس[23] إلى المدينة وحين نزل الأمير الصغير في القاعدة العسكرية لمدينة وجدة أدى العقيد الشلواطي التحية العسكرية من حرس الشرف وهو إجراء بروتوكولي طبيعي، وقد أغاظ ذلك التصرف الملك الذي بدوره وبخ الشلواطي كأسوأ

السيئين بحضور ضباطه وقال له:" **قدمت تحية الشرف لطفل، أعلم أن بعضاً من أمثالك يريد أن ينصبه في مكاني**"[24]، ومنذ ذلك الحين كلما ذُكِّرَ الشلواطي بالحادثة اقسم لأصدقائه المقربين أنه لو كان مسلحاً في ذلك اليوم لقتل الملك انتقاماً لكرامته المهانة[25].

تلك هي أبرز الشخصيات المؤثرة في سير الانقلاب، فضلاً عن عدد آخر منهم شاركت في الانقلاب سواء في بداية التحضير له أم أنهم شاركوا تبعاً في أثناء سير مجرى الأحداث، ومن الجدير بالذكر أن اغلب قادة الانقلاب والمشاركين فيه هم من البربر[26].

يتضح مما سبق، أنَّ اختيار اللواء محمد المذبوح، للعقيد امحمد عبابو والعقيد الشلواطي للمشاركة في الانقلاب، على الرغم من أنهم لم يكونا نزيهين، لأن عبابو كان مدير مدرسة اهرمومو العسكرية، فضلاً عن أن المذبوح وعبابو من القبيلة نفسها مما سهل عملية الاتصال فيما بينهم، أما الشلواطي فقد كانت مشاركته مهمة في الانقلاب بحكم موقعه من أجل تزويدهم بالذخيرة والاعتدة، فضلاً عن أن المذبوح اعتقد أن هؤلاء الضباط مجرد أداة لتنفيذ الانقلاب، ولاسيما امحمد عبابو منفذ العملية المسلحة لأنه لم يكن له تأثير أو قرار في البرنامج وبمجرد نجاح الانقلاب سيعود بكل هدوء إلى ثكنته من دون طموح وتأثير في سلسلة الأحداث.

ثانياً: التحضير للانقلاب:

حاول محمد المذبوح إقناع عدد من الضباط من ذوي الرتب الرفيعة بضرورة القيام بعمل لإنقاذ البلاد مما هي عليه، وأكد المذبوح أنه إذا لم يتصرف قادة الجيش في الوقت المناسب فسوف تتعرض البلاد لثورة يقوم بها ضباط من جيل جديد، لذلك ينبغي القيام بالانقلاب لإصلاح البلاد، وأكد المذبوح للضباط أن حياة الملك ستحفظ بعد تنازله عن العرش لابنه الأمير محمد السادس البالغ من العمر آنذاك ثمانية أعوام، وسيشكل مجلس وصاية يضم جميع الضباط المشاركين في الانقلاب وبذلك أقنع المذبوح الضباط بالقيام بالانقلاب[27].

بدأ قادة الانقلاب بعقد الاجتماعات السرية من أجل الترتيب للانقلاب، واستثمروا مناسبة الاحتفال بعيد العرش في الثالث من آذار 1971 للقيام بعدد من الاتصالات السرية والاجتماع بكوادر الجيش في الرباط، إذ زار امحمد عبابو، اللواء المذبوح الذي كان مريضاً وناقش الاثنان لمدة قصيرة بشأن استكمال عدد من الإجراءات المناسبة للقيام بالعملية، وأبلغ اللواء المذبوح العقيد عبابو بأن توقيت العملية حدد في الرابع عشر من أيار 1971 بمناسبة الذكرى السنوية للاحتفال بعيد الجيش، إذ تنظم سنوياً مناورات عسكرية في مدينة الحاجب[28]، يترأسها الملك، وكان من المقرر أن يسلك موكب الملك طريقاً جبلياً يمر في أسواق اللحم، لذلك أمر المذبوح عبابو بالاستعداد في أثناء مشاركة مدرسة اهرمومو في مناورات الحاجب للقيام بالانقلاب، ووضع الخطة المناسبة التي كانت تنص على تدخل العقيد عبابو مع سرية من المقاتلين وإخفاء تلك السرية في أسواق اللحم المنتشرة على خط سير الموكب الملكي، وبذلك يكون للكمين موقع مثالي لإطلاق النار على موكب الملك وإيقاف الموكب الملكي وتجنب إطلاق النار على سيارة الملك ثم القبض عليه حياً وعزله مع الحفاظ عليه محترماً مقدراً[29].

الغيت العملية في اللحظة الأخيرة لأن الملك طلب من اللواء محمد المذبوح الذي كان ينظم ويسهر على الاستعدادات الأمنية وهو الوحيد الذي كان يكلفه بالترتيبات الأمنية كلما كانت هناك زيارة ما، بإرسال طائرتين مروحيتين في مقدمة الموكب لرصد أي تحرك غير عادي، وكذلك مراقبة الطريق وجوانبه، لذلك اتصل المذبوح بعبابو وأخبره بتأجيل العملية، وفي أثر ذلك قام عبابو بإرسال السرايا إلى مدينة الحاجب من أجل المناورات حتى لا يثير شكوك أحد[30]

أمر اللواء المذبوح العقيد امحمد عبابو بأن يكون متأهباً في كل لحظة، وكان يترقب اللحظة المناسبة من أجل القيام بالانقلاب، وكانت نيته القيام به في حزيران عام 1971 مستثمراً مناسبة عيد ميلاد ابن الملك الأمير رشيد[31]، إذ سيقيم

الملك الحفلة في مسبح محاط بغابة من الصنوبر، وكانت الخطة تطويق المكان بتلاميذ مدرسة اهرمومو في الليل ومن ثم تطويق المسبح الذي تجرى فيه الحفلة، إلا أن حين عرض اللواء محمد المذبوح الأمر على العقيد الشلواطي حذره تحذيراً شديداً من أن بالإمكان حدوث خطأ فادحاً حين يكون الهجوم ليلاً في مكان مفتوح يجتمع فيه المئات من المدعوين فإذا ما أطلقت أية إطلاقه ستؤدي إلى حالة ذعر شديدة يؤدي إلى عواقب وخيمة، فضلاً عن إمكانية استثمار الملك للفوضى والهروب، وحين رأى المذبوح أن العملية قد تفشل ارتئ تأجيلها مرة أخرى[32].

جاءت الفرصة مناسبة أخرى وهي احتفال الملك بعيد ميلاده الرابع والأربعون، إلا أن المذبوح تردد في القيام بالانقلاب في تلك المناسبة لأنه سوف يكون هناك حشد غفير في ذلك اليوم، ولاسيما من الرعايا الأجانب، لذلك خشي حدوث انحراف في مسار العملية، إلا أنَّ عبابو لفت نظر المذبوح إلى أن الوقت يداهمهم وأن تلك الفرصة لن تتوافر في وقت قريب، فضلاً عن أن دورة الضباط (التلاميذ) الذين دربهم قد بلغت مراحلها الأخيرة وأن هؤلاء العناصر سيغادرون المدرسة بعد الصيف، وبالتالي سيكون عليه تدريب دورة جديدة من المجندين وأصر عبابو على التصرف قبل أن يتفرق الجنود المدربون في مختلف قطعات الجيش[33]، بعد ذلك استثمر محمد عبابو مرض اللواء محمد المذبوح بمشاكل في الشرايين ليلتقي به في بيته بشكل سري في السابع من تموز 1971 ليثبتا توقيت الانقلاب بشكل نهائي في العاشر من تموز1971 في أثناء الاحتفالات بعيد ميلاد الملك، وعرض المذبوح لعبابو خطة الانقلاب التي نصت على مشاركة مدرسة اهرمومو في مناورات تتزامن مع الاحتفالات الملكية، وستكون تلك المناورات بالذخيرة الحية في منطقة بن سليمان[34]، واستغل المذبوح وبقية القادة المشاركين في الانقلاب نفوذهم في هيئة الأركان لكي تجري تلك المناورات في الوقت نفسه الذي سيقام فيه الحفل الملكي في قصر الصخيرات، فضلاً عن إرسال هيئة الأركان كل المعدات الضرورية للعملية، وبذلك أصبح تحت تصرف عبابو ورجاله ترسانة حربية حقيقية، إذ إن كمية المعدات والأسلحة ومدافع الهاون والذخائر المتفق على إرسالها كانت كافية للاستيلاء على مدينة كاملة[35].

بعد أنَّ غادر محمد عبابو منزل المذبوح التقى في المساء بشقيقه الأكبر محمد عبابو الذي أخبره بساعة الصفر مؤكداً له أن لا تأجيل هذه المرة وعليه الاستعداد لأنه سيحتاجه وأمره أن يغادر إلى القنيطرة وأخبره بأن لا يترك مكانه تحت أي ظرف، أما عبابو فقد بقي في الرباط لأنه كان عليه ان يلتقي في اليوم التالي باللواء المذبوح لوضع التفاصيل النهائية للانقلاب[36].

جاءت الأخبار إلى مدرسة اهرمومو بالاستعداد لوجود مناورة عسكرية في منطقة بن سليمان، ووصلت في الثامن من تموز 1971 قافلة من الشاحنات تبلغ نحو عشرين شاحنة مرسلة من مقر فوج المعدات العسكرية لغرض نقل التلاميذ والضباط إلى مكان المناورة، وأرسلت هيئة الأركان عن طريق المكتب الثالث الذي كان يقوده العقيد الشلواطي خمس عشرة شاحنة محملة بالأعتدة والذخائر[37].

وصل محمد عبابو إلى مدرسة اهرمومو في السادسة والنصف من مساء يوم الجمعة التاسع من تموز 1971 بعد مقابلة اللواء محمد المذبوح في الرباط، وقد قسم عبابو المدرسة على خمسٍ وعشرين سرية كل سرية تكونت من أربعة وأربعين شخصاً شكلوا من تلاميذ السنة الأولى والثانية والثالثة يرأسهم ضابط مسؤول عن السرية ويساعده ضابط صف (مساعد ضابط)، وشكلت كذلك فصيلة أخرى سميت بالفصيلة الخاصة تكونت من الضباط وضباط الصف وكانت مهمة تلك الفصيلة هي حمل الأسلحة الثقيلة وأن تكون في مقدمة القافلة، فضلاً عن سيارات العتاد التي سترافق تلك السرية التي بلغت خمس عشرة شاحنة[38]، وبعد ذلك اجتمعت المدرسة برمتها في ساحة المدرسة واجتمعت كل سرية بجنب رئيسها ونائبه، أما الفصيلة الخاصة فقد اصطفت على جنب بمحاذاة سيارات الجيب المحملة بالمدافع والرشاشات الثقيلة المضادة للطائرات، وكان ذلك التجمع

بمثابة تجربة للجنود وإعطائهم الأمر للركوب في الشاحنات، وبلغ عدد الأشخاص الذين سوف يشاركون في الانقلاب نحو ألف وأربعمئة شخص من مدرسة اهرمومو، بعد ذلك أمر عبابو رؤساء السرايا من الضباط بصرف الجنود والالتحاق به[39].

اجتمع عبابو بالضباط في قاعة الشرف وقال لهم:" **أيها السادة لقد جمعتكم اليوم لكي أعرب لكم عن تشكراتي الخالصة وتهاني الحارة للمجهودات التي بذلتموها معي في المدرسة، لقد اشتغلنا دائما في جو يسوده الاحترام المتبادل والتفاهم المطلق، واليوم آن الأوان لكي تبرهنوا لي على إنكم في مستوى المهمة التي سنتشرف بإنجازها غداً، سنرحل فجر غد إلى مدينة بن سليمان للقيام بمناورة تدوم يومين، وقد كان من المفروض بإنجاز تلك المهمة لواء من أجود الألوية في القوات المسلحة الملكية، ولكني تدخلت لدى الجنرالات وأقنعتهم لكي يكون شرف تنفيذها لمدرستنا، لهذا فإنا انتظر منكم أن تكونوا في أرقى مستوياتكم حتى لا تخيبوا ظني فيكم وتخونوا بالتالي الثقة الكبيرة التي أضعها فيكم، فإن كان من يرى نفسه غير قادر أو غير راغب في انجاز تلك العملية، فليصرح بذلك الآن، وتيقنوا بأني سأعفيه بدون أدنى مؤاخذة، هل من سؤال**"[40]، ثم ساد الهدوء وسأل أحد الضباط:" **مون كولونيل ماهي مهمتنا بكل تدقيق، وأجاب عبابو بهدوء لا أعلم أكثر مما تعلمون أنها قضية جنرالات على كل حال، ستكون في انتظارنا غداً في عرض الطريق قيادة عليا متقدمة لتزويدنا بالمعلومات الكافية**"[41].

بعد أن أعطى العقيد امحمد عبابو مدير مدرسة اهرمومو آخر تعليماته عاد إلى مكناس ليلاً وثبت الموعد مع أخيه محمد وأمره بالحضور في اليوم التالي إلى بيته في الساعة السادسة والنصف صباحاً، ومن ثم انتهى اللقاء بعودة محمد إلى القنيطرة، ثم ذهب امحمد عبابو إلى إحدى فيلاته قرب الرباط[42].

ثالثاً: ساعة الصفر للقيام بالانقلاب

غادرت قافلة الشاحنات في الساعة الرابعة صباحاً من يوم السبت العاشر من تموز 1971 محملة بالجنود والضباط وضباط الصف، وهي تسير ببطءٍ حتى وصلت إلى مدينة فاس، ثم اتجهت نحو مدينة القنيطرة[43]، وفي تلك الأثناء كان عبابو قد تلقى مكالمة هاتفية من اللواء محمد أمره فيها بمقابلته في بداية مدينة الرباط، وبالفعل اتجها إلى المكان المتفق عليه وأخبره عبابو بأن قافلة الضباط والتلاميذ قد تجاوزت فاس، وأمر المذبوح عبابو بمحاصرة القصر في الوقت الذي سيكون فيه الملك يلعب الغولف، وعدم اللجوء إلى السلاح، إلاَّ في الحالات القصوى، إذ كان الملك سيلعب الغولف في الساعة الثانية عشرة وخمسين دقيقة تقريباً، وفي تلك الأثناء سوف يكون بمعزل عن ضيوفه بالملعب، وحين يصبح الملك بالملعب سيعطى الضوء الأخضر لعبابو لتطويق الملعب من دون الدخول للقصر وإلقاء القبض على الملك[44]، والجدير بالذكر أن اللواء المذبوح قام بدوره بتخفيف إجراءات الأمن في القصر، وأخبر عبابو أنه بعد القبض على الملك ينبغي اقتياده تحت الحراسة المشددة إلى راديو وتلفزيون المغرب وجعله يعلن استسلامه عبر التلفاز، لأنَّ قراراً مكتوباً بالتنحية قد يثير الشكوك، وأكد المذبوح مرة أخرى على عبابو، عدم فتح النار إلاَّ في حالة الخطر الحقيقي وإذا ماقام الحرس بالرد على النيران ينبغي تطويق القصر وسيتكفل المذبوح بالأمر، تظاهر عبابو بالطاعة والموافقة على تنفيذ الأمر، إلا أنه في الحقيقة لم يكن يرغب فقط بتجريد الملك من سلطاته من دون المساس بحياته ولم يكتفِ بدور المنفذ فقط لأن طموحه كان أكبر من ذلك[45].

بعد تلك المقابلة افترق المذبوح وعبابو، وعاد العقيد إلى فيلته والتقى بشقيقه محمد عبابو، وغادراً إلى داخل الرباط وحدد العقيد امحمد عبابو الأهداف التي ينوي السيطرة عليها بعد الانتهاء من الهجوم على قصر الصخيرات وهي: البريد، وهيئة الأركان، وزارة الداخلية، وبعد ذلك اتجه الأخوان إلى مدينة القنيطرة وإلى قرية بو قناديل وتوقفا في غابة تمارة لانتظار وصول قافلة الشاحنات، وقد وصلت القافلة إلى الغابة، وأمر عبابو الجنود بالنزول[46]، ثم استدعى الضباط جمعهم وأخبرهم :" **بناءً على أوامر القيادة العليا تم إلغاء المناورات التي كانت من المفروض أن تجرى في بن سليمان، وقد وجَّه مركز القيادة**

لنا مهمة طارئة وهي محاصرة قصر الصخيرات لأنه قد احتله عناصر انقلابية، ولابد من إغلاق كل المنافذ وإخراج الأجانب من الصفوف ثم اركبوهم في الشاحنات ولا تدعو أحد يفلت وأطلقوا النار على الفارين، وسأتولى أنا قيادة القافلة الأولى التي ستعبر من الجهة الجنوبية للقصر ويتولى أخي محمد قيادة القافلة الثانية التي ستعبر من الجهة الشمالية للقصر، وأعطوا الأوامر لجنودكم لإطلاق النار في الهواء كي يجتمع الجميع في وسط القصر، أيها السادة استعدوا للحرب انصراف[47].

في تلك الأثناء كان اللواء محمد المذبوح بقصر الصخيرات يتفقد الترتيبات الأمنية ويسهلها إلى عبابو، وكذلك تفقد الترتيبات لمباراة الغولف التي ستقام وسيشارك فيها الملك مع الفريق الأخير، ولم يتجاهل اللواء محمد المذبوح إمكانية انسحاب الملك وعدم مشاركته في مباراة الغولف، كما فعل في عام 1970[48]، لذلك فكر في تلك الحالة أن يدع عبابو وجماعته يواصلون طريقهم إلى بن سليمان للمشاركة في المناورات كما هو مقرر، وأن تنفذ الخطة عند العودة من بن سليمان، إذ من المفترض أن التدريبات العسكرية المنظمة في بن سليمان تنتهي في منتصف النهار وسيكون الاحتفال قد شارف على النهاية والمدعوون كانوا قد غادروا القصر، وبقي الملك وحيداً فيه، وأن لم تكن الظروف مناسبة في المساء فسيتم تأجيل الانقلاب إلى اليوم التالي لأن الملك سيوزع الميداليات في أثناء مباراة أخرى للغولف تنظم في الرباط، وفي تلك الحالة لن يشارك في العملية سوى العقيد عبابو وأعضاء الفصيلة الخاصة[49].

قام الملك بجولة وسط الضيوف واطلع على السجل الذهبي للمدعوين، بعد تلك المجاملات انسحب مع عدد من الأصدقاء إلى المربع الملكي حول مسبحه الخاص الذي كان محاطاً بشقيقه الأمير عبد الله ومحمد اوفقير[50]، وفي تلك الأثناء بدأ المذبوح بالقلق لأن وقت الهجوم بدأ يقترب، فقد حدد مسبقاً وقت التنفيذ، ويفترض أن يكون الملك في ملعب الغولف، واقتربت ساعة الهجوم والمذبوح لا يعلم أن كان الملك سيلعب الغولف أم لا، عند ذلك سأل المذبوح الملك قائلاً:" **سيدي إذ كنتم جلالتكم تريدون اللعب مع الفرق الأخيرة للمباراة، فسيكون من المستحيل فعل ذلك قبل الثانية عشرة والنصف تحاشياً للتأخر عن موعد الغداء في الواحدة والنصف، وأجاب الملك بأنه لا يرغب أن يكون متعجلاً من أجل افتتاح اللعب وأنه سيلعب بعد الظهيرة حين يكون الجو أقل حرارة**"[51]، عندها لم يجرؤ المذبوح على تكرار طلبه على الملك خشية إثارة شكوكه، لذلك انحنى أمام الملك باحترام بارد وانسحب ثم عاد مسرعاً إلى ملعب الغولف، كونه كان متخوفاً من تقدم عبابو ورجاله فجأة لذلك قرر تقديم موعد الغداء، وفي أثناء توافد الضيوف على مركز القصر لتناول الغداء انتهز المذبوح فرصة الازدحام على الغداء ليذهب سراً مسرعاً بسيارته للقاء عبابو الذي كان يتمركز ورجاله في غابة تمارة على بعد خمسة أو ستة كيلومترات من القصر، وكان يلزم المذبوح ربع ساعة ذهاباً وإياباً، وقد أخبر المذبوح عبابو الذي كان ينتظره في بداية الطريق، بالتأجيل لأن الملك لن يلعب الغولف وطلب إليه الانتظار قليلاً وأخبره بأنه سيعطيه الإشارة، إذ لعب الملك الغولف بعد الغداء، وعاد المذبوح إلى القصر ولم يلحظ أحد غيابه[52].

تحرك العقيد محمد عبابو وضباطه وتلاميذه إلى قصر الصخيرات ووصل في الساعة الثانية، واقتحمت المجموعة الأولى القصر من بابه الجنوبي واندفعت بسرعة تحطم بطريقها كل الحواجز وأوقف عبابو قافلته عند الباب الرئيس للقصر وقفز من سيارته وأمر رجاله بالنزول وبإطلاق النار مباشرة من دون تحديد هدفٍ أو اتجاه، وفي تلك الأثناء وحينما كان التلاميذ يطلقون النار بصورة عشوائية، قامت مجموعة أخرى منهم بتجريد أفراد من قوات الحرس الملكي من السلاح، عندها ظهر قائد الحرس الملكي عبد القادر لوباريس الذي شهر مسدسه بوجه عبابو قائلاً له بغضب:" **ماذا تفعلون يا مون كولونيل إنكم في القصر ولاحق لكم في الدخول إليه بدون إذن، فرد عبابو مهدداً تنح من هنا فأجاب الضابط لا لن اتركك تمر ابداً**"[53]، وفجأة انطلقت رصاصة من قائد الحرس الملكي أصابت عبابو في ذراعه الأيمن، إلاَّ أن عبابو رَدَّ بسرعة برصاصة أخرى أصابت

قائد الحرس الملكي في أسفل بطنه واردته قتيلاً، بعد ذلك تضاعفت كثافة إطلاق الرصاص من التلاميذ والضباط، أما المجموعة الثانية فقد اقتحمت القصر من بابه الشمالي بقيادة شقيقه محمد عبابو ودخلت الشاحنات ووصلت ملعب الغولف وبدأ الجنود بإطلاق النار فهرب المدعوون نحو الشاطئ وبدا الرعب الشديد ظاهراً عليهم، ظن الضيوف الذين كانوا داخل باحة القصر في بداية الأمر أنها مجرد مناورات أو استعراض عسكري، إلاَّ أن صوت العيارات النارية أصبح كثيفاً وعن قرب وفجأة سقط رجل في باحة القصر صريعاً، عند ذلك نهض الملك وتسائل من أعطى الأمر بإطلاق النار[54]، عند ذلك شوهد عدد من الأفراد يقتربون من باحة القصر ويطلقون العيارات النارية والقنابل اليدوية التي سقطت إحداها قرب الخيمة الملكية فتناولها الحبيب بورقيبة الابن[55]الذي كان ضمن الجالسين في الخيمة الملكية قبل أن تنفجر ورماها بعيداً، عند ذلك اقتيد الملك بسرعة تجاه قاعة العرش ثم نحو ملحقاتها، إذ التجأ هو وعدد من أعضاء الحكومة المغربية إلى المراحيض بما فيهم رئيس الوزراء أحمد العراقي[56]، ومحمد اوفقير وغيرهم للاختباء هناك[57]

أمر عبابو رجاله بالدخول إلى القصر ومحاصرة مداخله واحتجاز الموجودين وإطلاق النار على الفارين عند ذلك أصيب السفير البلجيكي مارسيل دوبريه (Marcel Debray)، وسقط قتيلاً وجرح الأمير عبدالله شقيق الملك في فخذه، واحتجز الجنود عدداً من المدعوين ومن بينهم السفراء وأعضاء السلك الدبلوماسي والقادة الكبار، وكانت لدى امحمد عبابو قائمة بالأشخاص الذين يود القضاء عليهم من أعضاء الحكومة المغربية وغيرهم، فضلاً عن الملك الذي كان يفتش عنه وأمر جنوده بالبحث عنه[58]، عند ذلك حضر المذبوح لرؤية الملك بسرعة فقد اضطرب اللواء بعد إطلاق النار بكثافة وحاول تهدئة الأمر فوصل إلى مكان المراحيض وقرع الباب ففتح له الملك وقال له:" **هذه ضربة عبابو رأيته بين المهاجمين لا تخشى شيئاً سأقودك إليه للتفاوض معه، إلاَّ أن الملك رفض ذلك وقال لن أفاوض، عند ذلك اقترح المذبوح قائلاً، إذ سمحت سأحضره إلى هنا هل ستصفح عنه، أجاب الملك احضره أن أردت، أما الصفح فأمر آخر**"[59]، خرج المذبوح يفتش عن عبابو وحين وجده قال له غاضباً:" **ماذا تفعل يا عبابو أنت لم تحترم اتفاقنا، وأجاب عبابو لا باس يا جنرال وعلى كلٍ لقد أتممت المرحلة الأولى وعليك الآن الانتقال إلى المرحلة الثانية، وأجابه المذبوح أوقف هذه الفانطازيا لقد سبق وأمرتك بألا تطلق أية رصاصة مهما حدث أنا لم أمر أبداً بحمام دم، ماذا دهاك ياعبابو أجاب عبابو أين هو جنرال، أجاب المذبوح انه يوجد في مكان آمن ويريد التحدث معك، ردَّ عبابو هل تنازل يا جنرال رد المذبوح نعم وتنازله في جيبي والآن لنذهب للقائه واحتار عبابو فسأله لكن إذ استسلم لماذا سأذهب لرؤيته من الأفضل الانتقال إلى المرحلة الثالثة، إلا أن المذبوح أصر على اللقاء رأسا لرأس فكان ردّ عبابو سأذهب بمعية رجالي هنا ردّ المذبوح سيبقى رجالك في الخارج**"[60]

تظاهر عبابو بالموافقة وتقدم خطوات نحو الداخل ثم أشار إلى رجاله بأن يتبعوه داخل القصر، دخل المذبوح ومن خلفه عبابو ورجاله، وفجأة استدار المذبوح نحو الجنود وقال لهم:" **ابحثوا في كل مكان واخرجوا الجميع ولا تدعو أحداً في الداخل وسنجده بأي ثمن، فغضب عبابو من سلوك المذبوح وآثار شكوكه أكثر فأكثر فرد عليه في الحال، لكن حسب فهمي لم تقم بتقيده لقد وعدتني بأنني سأجده موثوقاً، إذن هذه المرحلة لم تكتمل وقد خنتني، ردَّ المذبوح لقد خنتني أنت أيضاً لأنك أفسدت خطتي بتغير الأوامر كان عليك إلا تعطي الأمر بإطلاق الرصاص لقد كنت أريد انقلاب أبيض وليس حمام دم**"[61]، وانصرف المذبوح بعد أن أعطى أمراً للجنود بتنظيم أمر الرهائن، إلاَّ أن عبابو شعر بخيانة المذبوح وعلى الفور أمر ضابطين بقتل المذبوح وقد نفذ الضابطان الأمر من دون تردد وانهيا حياة المذبوح[62]

يتضح مما سبق، أن ما قام به المذبوح حين أخبر الجنود بالتفتيش عن الملك هو من أجل دفع الخطر عن الملك لأنه كان يدرك أن دخول عبابو ورجاله إلى مخبئ الملك معناها قتل الملك ومن معه لذلك أراد حضور عبابو بمفرده، إلاَّ أنه حين فشل

باستدراجه بمفرده أدعى أنه لا يعرف مكان الملك لأنه كان يدرك نية عبابو بقتل الملك ومن معه، وذلك ما كان لا يرغب به المذبوح، لأنه أراد انقلاباً أبيض من دون قتل الملك وهو ما كلفه حياته.

بعد مقتل المذبوح أمر عبابو رجاله بالتفتيش عن الملك ووضع الرهائن في طابور وبدأ النظر فيهم وتفحص وجوههم، وكان من بين الرهائن سفراء ووزراء ونواب برلمانيون ونقابيون وضيوف أجانب وفنانون وزعماء أحزاب سياسية أمثال علال الفاسي[63] الذي جرح أثر شظية قنبلة تطايرت، والجدير بالذكر أن الجنود إلى تلك اللحظة كانوا يظنون بأنهم متواجدون هنا من أجل قمع عملية عسكرية ضد الملك، ولاسيما حين كانوا يسمعون عبابو في كل مرة يردد (**عاش الملك اقبضوا على الخونة واقتلوا الجبناء عاش الملك تقدموا**)، وكان ذلك كافياً لإثارة عواطفهم ودفعهم إلى ارتكاب المجازر والكثير منهم كان ينفذ أوامر عبابو معتقداً أنه يخدم الملك[64]

عاد الهدوء بعد أن توقف إطلاق النار ودخل عبابو مرة أخرى للقصر من أجل التفتيش عن الملك وأمر رجاله بذلك وقام بنفسه بالتفتيش والتدقيق بوجوه الموتى، إلاَّ أنه لم يتمكن العثور على الملك وحاشيته وعند ذلك التقى بشقيقه محمد عبابو الذي كان في الجهة الشمالية للقصر وسأله محمد قائلاً:" **ماذا ستفعل بالرهائن أجابه امحمد بهدوء سأطلق سراح كل الأجانب واعدم الآخرين، وردَّ عليه محمد هل أنت أحمق هل نسيت الرأي العام الدولي أجابه لا أنا أريد اصفي كل الخونة وأريد اسحق كل الأحزاب السياسية وسأدوس عليهم بالدبابات إذا اقتضى الأمر، ردَّ عليه محمد اسمع يا امحمد أنا أخوك فأنصت إلى نصائحي أنس الموضوع الآن وسنتناقش غداً في مصير الرهائن الآن دعهم تحت حراسة رجالك واذهب إلى الرباط لتسوية الأمور، أجابه سأقبل الاقتراح شريطة أن تبقى هنا للأشراف على العملية والاستعداد لكل الطوارئ، أجابه اتفقنا**"65، وضع العقيد امحمد عبابو بإمرة شقيقه محمد تسعين جندياً في القصر لمتابعته التفتيش، وأعطى امحمد عبابو الأمر لبقية رجاله لركوب الشاحنات وانسحب من القصر في الساعة الرابعة نحو الرباط واقتحم القيادة العامة بعد مقاومة ضعيفة من جنودها الذين سرعان ما استسلموا وسيطر عبابو عليها بسهولة، وأرسل عدداً من رجاله بقيادة العقيد فيتري للسيطرة على وزارة الداخلية وبالفعل تم السيطرة عليها، وسيطر الشلواطي مع عدد من التلاميذ على مستودع الذخيرة، ثم اتجه عبابو إلى الإذاعة والتلفزيون التي اقتحمها بعد مقاومة طفيفة وقد كانت البناية مزدحمة بالموظفين وعدد من الفنانين من بينهم عبد الحليم حافظ الذي كان بصدد تسجيل أغنية بمناسبة عيد ميلاد الملك[66]، ودخل عبابو الإذاعة وطلب بث الموسيقى العسكرية وطلب من الملحن الضرير عبد السلام عامر[67]، إعلان خبر الانقلاب العسكري للشعب المغربي ففعل الملحن ذلك، ثم دخل إلى التلفزيون وطلب من المذيع محمد بن ددوش إعلان الانقلاب وأن السلطة أصبحت بيد العسكريين وعلى المواطنين الالتزام بالهدوء والحذر، بعد ذلك عاد عبابو إلى القيادة العامة والتقى بعدد من الضباط الذين كانوا معه في الانقلاب وكذلك الذين انضموا حديثاً إلى الانقلاب وأعلنوا عن تشكيل مجلس قيادة الثورة برئاسة العقيد الشلواطي، والتقى عبابو بالجنود كذلك وخطب بهم خطبة حماسية ولكي يواصل عبابو مهماته بعزيمة وقوة أكبر قام أحد الأطباء باستئصال الرصاصة له من دون تخدير[68].

غادر محمد عبابو قصر الصخيرات بعد أن ترك خمسين جندياً تحت إمرة ضابط وتوجه إلى القيادة العامة والتحق بشقيقه امحمد عبابو الذي غضب غضباً شديداً لأنه لم يلتزم بأوامره وترك قصر الصخيرات، وفي أثر ذلك اجتمع امحمد عبابو بقادة الانقلاب للمرة الثانية لتوزيع المهمات عليهم من أجل مسك زمام الأمور، إذ كلف اللواء بوغرين للالتحاق بالمنطقة العسكرية بمكناس، وأسند إلى اللواء مصطفى، الإشراف على مقر القيادة العامة إلى جانب عضويته في مجلس قيادة الثورة، وكلف اللواء حبيبي بمهمة العودة إلى القصر للإفراج عن الأجانب، ولاسيما السفراء وإعفاء أعضاء الحكومة من مهماتهم وتنحية زعماء الأحزاب السياسية وعدد من الشخصيات المدنية والعسكرية، وكل من ورد اسمه في لائحة طويلة سلمها إليه عبابو، وأمره

كذلك بمحاصرة القصر ومواصلة البحث عن الملك ومحمد اوفقير ورئيس الوزراء أحمد العراقي، إلاَّ أن الأمور سرعان ما تغيرت في قصر الصخيرات نحو الساعة الخامسة[69]، إذ وجد الجنود الملك وحاشيته في المراحيض إلاَّ أنهم لم يتعرفوا على أي شخص بمن فيهم الملك وأمروا الجميع بالخروج مع رفع الأيادي في الهواء واقتادوهم إلى خارج القصر بعد تفتيشهم وأجلسوهم على الأرض، وبعد مرور ربع ساعة وصل عدد من الجنود وضابط وبدأوا بالتدقيق في الرهائن وفجأة اتجه أحدهم نحو الملك وامسك به وأجبره على النهوض وأحاط به ستة جنود وذهب الملك ويداه مرفوعتان ومعهم أحد الضباط وسرعان ما سمعت إطلاق عيارات نارية ظن الجميع أنَّ الملك قد قتل[70]، إلاَّ أن الملك تدارك الموقف حين رأى الضابط متوتراً ويداه تهتزان مما أدى إلى إطلاق النار من الرشاش الذي يحمله، وفي أثر ذلك تدارك الملك الموقف وقال للضابط" **لماذا لا تقبل يدي هل غدوتم كلكم مجانين انتم جنود الجيش الملكي أولادي**"[71]، بدا الضابط قلقاً وقال:" **مولاي أتوسل إليك لا تتكلم بذلك الصوت العالي يوجد هنا كثيرون من الأشخاص يريدون لك الشر**"[72]، وبدأ الضابط بتقبيل قدم وعنق وكتف الملك وأحاط الجنود بالملك وبدأوا بتقبيل يديه وبدأ الملك والجنود والحضور بقراءة سورة الفاتحة، إذ قتل في القصر أكثر من مئة قتيل وجرح نحو مئتين، ثم بعد ذلك وَجَّهَ الملك الأمر إلى محمد اوفقير بإنهاء تلك القضية وعهد إليه بجميع السلطات المدنية والعسكرية، وبدأ اوفقير بقمع تلك العملية، وفي تلك الأثناء وصل حبيبي إلى القصر ووجد الملك ممسكاً بزمام الأمور، لذلك تظاهر كأن شيئاً لم يكن وتقدم نحو الملك وقبل يده متمنياً له طول العمر وأمره الملك بالالتحاق الفوري بمراكش[73]، وأمر الملك البشير البوهالي[74]القائد العام للقوات المسلحة الملكية بالتحرك لقمع الانقلاب وتوجه البوهالي إلى بن سليمان من أجل إحضار قوات الدعم وثم التوجه إلى الرباط لمواجهة الانقلابيين، ووصل إلى مقر القيادة العليا مع وحدة التدخل السريع في حين أمر عدداً من الضباط بالتوجه إلى الإذاعة والتلفزيون لتطهيرها، وخرج امحمد عبابو مع مساعده عقا[75]، لمقابلة البوهالي عند مدخل القيادة العامة عند ذلك قال: البوهالي لعبابو" **ماذا تفعل هنا أيها الحقير اخرج من القيادة العامة أجابه عبابو أنا في مكاني أنت من عليه الخروج أيها الغبي ردَّ عليه البوهالي لقد خسرت استسلم أيها الحقير أجابه عبابو أريد التحدث إليك ولا شك اننا سنصل إلى حل مناسب رفض البوهالي وقال استسلم أولاً وأعط الأوامر لرجالك بوضع أسلحتهم والاستسلام، إذا كنتم تريدون البقاء على قيد الحياة**"[76]، وفجأة أطلق كلا الطرفين النار على بعضهما وسقط كلاهما على الأرض ومات البوهالي في الحال، أما عبابو فقد أصيب إصابة بالغة، إلاَّ أنها لم تجهز عليه فرفع رأسه بصعوبة نحو مساعد عقا وطلب منه قتله، إلا أن عقا تردد في بداية الأمر، ولكن امحمد عبابو أصر ليقتله، ونفذ عقا الأمر وأرداه قتيلاً، وبعد مقتل امحمد عبابو أصيب الانقلابيون بحالة من الذعر والفوضى العارمة وانحل مجلس قيادة الثورة وبدأ أعضاؤه بالهرب، وهرب كذلك عدد من الضباط الصغار والتلاميذ، إلاَّ أن رجال الملك من قوات التدخل السريع بدأوا بالبحث عن الانقلابين وأعضاء مجلس الثورة وتمكنوا من اعتقالهم جميعاً مع الضباط والجنود من دون مقاومة تذكر[77]

يبدو أن مقتل العقيد امحمد عبابو جعل الانقلابيين يفقدون السيطرة على زمام الأمور ووئد الانقلاب في مهده لأنَّه كان المحرك الرئيس للانقلاب وبموته أصبح من الصعوبة سيطرة بقية القادة العسكريين وأعضاء قيادة مجلس الثورة على الضباط وتلاميذ مدرسة اهرمومو الذين أصابهم الذعر بعد مقتل قائدهم.

رابعاً: الموقف الشعبي والدولي من الانقلاب:

بعدما أعلنت إذاعة الرباط عن قيام الانقلاب وتحول السلطة بيد الجيش، قام مئات من المتظاهرين المغاربة ومعظمهم من الطلبة والشبان المثقفين بالخروج إلى شوارع مدينة الرباط وتمزيق صور الملك التي وضعت بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاده، وكان المتظاهرون يهتفون جاءت الاشتراكية فلتسقط الملكية، إلا أنه بعد فشل الانقلاب وسيطرة الملك على زمام الأمور، هاجمت الشرطة المتظاهرين وتمكنت من تفريقهم[78].

أما الموقف الدولي من الانقلاب بمجرد أن أعلنت إذاعة الرباط عن قيام الانقلاب العسكري وورود أخبار تسلم الجيش السلطة في المغرب، أعلن النظام الليبي عن دعمه الكامل للانقلابيين وقام الرئيس معمر القذافي بإرسال الرائد عوض علي حمزة، عضو مجلس قيادة الثورة الليبية إلى الجزائر من أجل تأمين عملية التنسيق مع الانقلابيين في الداخل والتباحث مع الرئيس الجزائري هواري بومدين[79] للسماح بدخول الجيش الليبي عبر أراضيه، إذ قامت الحكومة الليبية بوضع جيشها في حالة الاستعداد لتحريك نحو اثني عشر ألف جندي لدعم الانقلابيين، وبثت الإذاعة الليبية تعليقاتها بشأن الحدث مصحوبة بالموسيقية العسكرية الحماسية[80].

قامت الحكومة المغربية بوضع قوات أمنية كثيفة حول مقر السفارة الليبية في الرباط ووضعت أعضائها تحت الإقامة الجبرية بعد فشل الانقلاب، ونتيجة ردة الفعل تلك قامت الحكومة الليبية باستدعاء سفير المغرب لديها وأخبرته بأن ما يقوم به المغرب تجاه البعثة الدبلوماسية الليبية يعد خرقاً للقانون الدولي وبأن ليبيا تحمل المغرب مسؤولية حماية مصالحها ومصالح رعاياها[81].

ومن المواقف الدولية المهمة هو ما قام به ملك الأردن الحسين بن طلال[82]، إذ إنه سرعان ما علم بخبر الانقلاب، فقام بالتوجه إلى الرباط في يوم الاثنين الثاني عشر من تموز 1971 للاطمئنان على الملك وهنأه على نجاته واقترح ضرورة الإسراع بإعدام قادة الانقلاب البارزين لتجنب انتقال العدوى إلى الآخرين[83]، والجدير بالذكر أن موقف جميع الدول سواء أكانت عربية أم أجنبية، لم يكن مسانداً للانقلابيين بل على العكس من ذلك باستثناء ليبيا التي دعمت الانقلاب[84].

خامساً: إعدام قادة الانقلاب

لم يحظ قادة الانقلاب العشرة بأي محاكمة فبعد أنَّ القي القبض عليهم عرضوا على التحقيق لمدة يومين ثم أمر الملك بإعدامهم في الثالث عشر من تموز 1971 في معسكر مولاي إسماعيل قرب مدينة الرباط، ونصبت عشرة أعمدة للإعدام وقد أمر الملك بنقل إعدام القادة عبر التلفاز والإذاعة، وفي الساعة الحادية عشرة تم إحضار القادة العشرة إلى المعسكر وبدأت على وجوههم آثار التعذيب وقد تلقى العقيد الشلواطي ركلة من رئيس الوزراء أحمد العراقي وقال له:" **يا لك من قذر أيها القذر التفت الشلواطي وقال له اعتبر نفسك سعيداً بكونك على قيد الحياة يا قذر كل ما أتأسف عليه هو أنني لم امتلك الوقت لاستئصالك أنت وملكك، أفضل الموت على أن أعيش للحظة إضافية تحت حكم دميتك**"[85]، اقتيد القادة نحو أعمدة الإعدام وسددت الفصائل المكونة كل واحدة منها من اثني عشر جندياً بنادقها على القادة، وكان الملك يراقب المشهد مختبئاً في سيارة، وقد رفض أغلب المعدومين وضع العصابة على أعينهم وقبيل التنفيذ صرخ الشلواطي مخاطباً اوفقير الذي كان حاضر لحظة تنفيذ الإعدام قائلاً:" **اعرف انك تفكر مثلنا احذر في المرة القادمة سيكون دورك**"[86]، بعد ذلك جرى إطلاق النار على القادة الواحد تلو الآخر، وتركت الجثث لمدة ثلاثة أيام تحت أشعة الشمس وجلبت جثة المذبوح بأمر من الملك وتم ضعها مع بقية الجثث في ساحة الإعدام وتم إحراقها على الرغم من مقتله[87].

الخاتمة:

1- استشرى الفساد في المغرب تحت أنظار الملك الحسن الثاني من دون أن يقوم بردع الفاسدين، بل على العكس من ذلك، مما دفع عدداً من قيادة النخبة العسكرية وفي مقدمتهم اللواء محمد المذبوح للتفكير بتغيير نظام الحكم من أجل القضاء على الفساد، لذلك استعان بعدد من القادة العسكريين البارزين في الجيش ومعظمهم من البربر الذين تعرضت مناطقهم لاضطهاد الحكومة المغربية إبان عام 1958 وما تلاه بسبب معارضتهم للحكومة المغربية آنذاك.

2- أدى عدم معرفة أدوات الانقلاب (تلاميذ مدرسة اهرمومو) بمهمتهم الأساسية إلى فشل مهمتهم فجميع الضباط والتلاميذ كانوا في بادئ الأمر يعتقدون أنها مناورة أو حتى تدخل لقمع عناصر تخريبية تهدد حياة الملك، ولا يدركون مهمتهم الأساسية وإلا كانوا قتلوا الملك حين وجدوه.

3- انحراف مسار الانقلاب أدى إلى فشله فجميع قادته كانوا يريدونه أبيض من دون إراقة الدماء، وهذا ما أتفق عليه الجميع، إلاَّ أن امحمد عبابو قام على العكس من ذلك مما أدى إلى معارضة الجميع، وهذا ما يفسر عدم إفصاح المذبوح للعقيد عبابو عن مخبأ الملك، لأنه أراد الحفاظ على حياة الملك وعائلته ليكسب التأيد الدولي.

4- عدم مشاركة جميع صنوف الجيش في الانقلاب أدى إلى فشله لأن من قام بالانقلاب هم فقط تلاميذ مدرسة اهرمومو التي كانت تحت قيادة العقيد امحمد عبابو الذين يتآمرون بأوامره فقط، فلو أشرك جميع قادة الانقلاب الفرق التي تحت سيطرتهم في الانقلاب لكتب النجاح للانقلاب.

5- أدى مقتل اللواء محمد المذبوح إلى فقدان العقل المدبر والمخطط الرئيس للانقلاب، والعقيد امحمد عبابو كان مجرد أداة فبمقتله فقد عبابو السيطرة على زمام الأمور والتخطيط لها لأن المذبوح بحكم منصبه وهدوءه ورزانته واستقامته كان قد تمكن من السيطرة على زمام الأمور وإقناع بقية قادة الجيش والأحزاب من مساندة الانقلاب لما يتمتع به من نفوذ.

6- أنَّ الخطأ الجسيم الذي وقع به امحمد عبابو هو تركه للقصر من دون عثوره على الملك فمن المعروف أن من كان يقود الانقلاب هو امحمد عبابو وأن الأوامر كانت تصدر للتلاميذ والضباط منه شخصياً فبتركه القصر فقد السيطرة على زمام الأمور وأن كان قد ترك في القصر شقيقه محمد عبابو الذي بدوره ترك القصر والتحق بشقيقه فيما بعد، مما أدى إلى حدوث فوضى في صفوف الجنود الذين في الأصل كانوا مشتتين ومهزوزين نتيجة إحساسهم بأنهم تورطوا في الانقلاب.

7- من الأسباب المهمة لفشل الانقلاب هو عدم التنسيق بين العقيد امحمد عبابو وبقية قادة الانقلاب وانعدام الاتصال بين امحمد عبابو وبقية المهاجمين للقصر، ولاسيما بعد أن انقسموا على مجموعتين ودخلوا القصر، وانعدمت وسائل الاتصال فيما بينهم وبعد أن ترك امحمد عبابو القصر، لم يكن هناك تنسيق للاتصال بينه وبين التلاميذ والضباط الذين تركهم في القصر، فلو آمن عبابو وسيلة الاتصال بينه وبين من في القصر لتمكن من توجيههم للسيطرة على الموقف والملك.

الهوامش

(1) الحسن الثاني: ولد في 9 تموز 1929 بالقصر الملكي في الرباط، درس وتعلم الابتدائية في المغرب وبدأ عمله السياسي منذ عام 1943 بحضوره مع والده الاجتماعات، أكمل تعليمه بالمعهد المولوي، ثم درس الحقوق في فرنسا بجامعة بوردو عام 1951، وحصل على شهادة الدراسة العليا للقانون المدني في الجامعة نفسها، تولى قيادة القوات المسلحة الملكية بعد الاستقلال، عين وكيلاً لرئيس الحكومة يوم 29 أيار 1960، رأس الوفد المغربي إلى هيئة الأمم المتحدة، أصبح ملكاً للمملكة المغربية في 3 آذار 1961 بعد وفاة والده، تعرض في أثناء مدة حكمه التي استمرت 38 عاماً لست محاولات اغتيال خرج منها سالماً، من أبرز تلك المحاولات، المحاولة التي حدثت عام 1971 في قصر الصخيرات، ومحاولة عام 1972 في القنيطرة. توفي في 23 تموز 1999 أثر نوبة قلبية حادة. للمزيد من التفاصيل ينظر: روم لاندو، الحسن الثاني ملك المغرب، ترجمة: بنجمان الداودي، المطبعة الملكية، الرباط، 1983، ص25-30؛ هدى حسين موسى، الحسن الثاني ودوره السياسي في المملكة المغربية حتى عام 1979، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، 2005.

(2) د. ك. و، ملفات وزارة الخارجية العراقية ملفة رقم 130/4/2 في 11/25/ 1968، سفارة الجمهورية العراقية في الرباط، الأوضاع السياسية في المغرب، ص1-3.

(3) عبد الرحيم الورديغي، المغرب من حالة الاستثناء إلى التنازل عن موريطانيا 1965- 1969، دار الأمل، الرباط،1995، ص 25.

(4) نقلاً عن: مجموعة مؤلفين، الصراع الطبقي في المغرب، دار ابن خلدون، بيروت، 1973، ص290-291؛ جون واتربوري، الملكية والنخبة السياسية في المغرب، ترجمة: ماجد نعمة وعبود عطية، دار الوحدة، بيروت، 1982، ص 295.

(5) نقلاً عن: جيل بيرو، صديقنا الملك، ترجمة: ميشيل خوري، دار ورد للنشر، دمشق، 2002، ص138.

(6) نقلاً عن: جون واتربوري، المصدر السابق، ص300-301.

(7) Megan Melissa,King Hassan II:Morocco Messenger of Peace Cross, Submitted to the Department of International Studies and the Faculty of the Graduate School of the University of KansasIn partial fulfillment of the requirements for the degree of Master's of Arts, 2007,PP. 22-23.

(8) انقسم قادة الانقلاب الاثني عشر على مجموعتين: الأولى، تضمنت خمسة قادة بارزين خططوا للانقلاب وشاركوا فيه منذ البداية وهم: اللواء محمد المذبوح قائد الحرس الملكي والعقيد المحمد عبابو مدير مدرسة اهرمومو والعقيد الشلواطي قائد العمليات اللوجستية في القوات المسلحة الملكية واللواء مصطفى مدير المدارس العسكرية والعقيد فتيري أستاذ في الأكاديمية العسكرية، والمجموعة الثانية وهم: القادة السبعة الذين شاركوا في الانقلاب فقسم منهم شاركوا فيه تحت تهديد السلاح والقسم الآخر شاركوا فيه أثناء وقوعه هم: اللواء بوغرين القائد العسكري لمنطقة فاس واللواء حمو القائد العسكري لمنطقة الرباط واللواء حبيبي القائد العسكري لمنطقة مراكش والرائد ميلس والمقدم عبدالله القادري والمالطي والفتوحي ضابط في الشرطة. ينظر: جريدة الجمهورية العراقية، بغداد، العدد 1118، 12 تموز 1971، ص2؛ أحمد منصور، برنامج شاهد على العصر، قناة الجزيرة، مقابلة مع أحمد المرزوقي أحد المشاركين في انقلاب الصخيرات عام 1971، ج2، تاريخ الدخول 5/2/ 2015. شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) الرابط:

www.aljazeera.net/programs/centurywitness

(9) محمد المذبوح: ولد في أكتول بإقليم تازة في السابع عشر من تموز 1927، وتابع دراسته على التوالي في ثانوية مولاي يوسف بالرباط إلى عام 1941 ومن ثم ثانوية مولاي إدريس بفاس عام 1941 ولغاية عام 1943، ثم بعد ذلك التحق بمدرسة الدار البيضاء العسكرية في مكناس التي تخرج فيها عام 1947 برتبة ملازم أول، ثم قضى دورة تدريبية في فرنسا، بعدها تم نقله في نهاية عام 1947 إلى وحدة في القوات الفرنسية المرابطة في المانيا، ثم أرسل إلى الهند الصينية عام 1949 للالتحاق بالقوات الفرنسية، ثم عاد إلى المغرب عام 1952، سافر إلى فرنسا للقيام بدورة تدريبية، وفي إعقاب تلك الدورة عاد إلى المغرب عام 1954، إذ عين في إحدى فرق الجيش الفرنسي وبعد عودة الملك محمد الخامس من المنفى في السادس عشر من تشرين الأول 1955 وتشكيل الحكومة المغربية الأولى في كانون الأول من العام نفسه عين ملحقاً كضابط اتصال لدى وزير الداخلية وتولى قيادة الحرس الملكي في عام 1958، إلا انه سرعان ما تولى في كانون الأول من العام نفسه منصب وزير البريد والتلغراف والتلفون ولغاية آب 1959، أصبح بعد ذلك مرافقاً للملك محمد الخامس ولخلفه الحسن الثاني، ثم عين مديراً للبلاط الملكي في التاسع من تشرين الثاني 1967 وجرت ترقيته في التاسع من آذار 1968 إلى لواء قائد فيلق، قتل في العاشر من تموز في أثناء انقلاب الصخيرات عام 1971. ينظر: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، معلمة المغرب، مطابع سلا، سلا، 1991، ج21، ص7060- 7061.

(10) Marvine Howe, Moroccothe islamist Awakening and other challenges, University Oxford Press, New York,2005,P.110.

(11) الوزراء هم: مأمون الطاهري وزير المالية، عبد الكريم الأزرق وزير التجارة، محمد الجعيدي وزير التربية، عبد الحميد كريم وزير السياحة. جون واتربوري، المصدر السابق، ص303

(12) أحمد منصور، المصدر السابق، ج1.

(13) احمد عبابو: ولد عام 1934 بقرية بوردو في دائرة أكتول بإقليم تازة، لم يدخل في أثناء طفولته إلى الكتاتيب القرآنية لتلقي دروس الدين وحفظ القران الكريم بل دخل إلى المدرسة الابتدائية الفرنسية بتازة، التحق بعد ذلك بإعدادية الدار البيضاء بمكناس وبعد ان أكمل دراسته الإعدادية التحق بالأكاديمية العسكرية بمكناس واظهر عبابو قدرة كبيرة على تحمل التدريبات القاسية التي تفرض على التلاميذ، وكذلك كان متفوقا في بقية المواد بالمقارنة مع زملائه، امتاز جسدياً بأنه فاتح البشرة اشقر قصير القامة عصبي المزاج صوته حاد حيوي متسلط وقاسي واسع الخيال طموح جداً، وكان زملائه يلقبونه نابليون الصغير بسبب قامته وهيأته التي كانت تشبه قليلاً هيئة الإمبراطور نابليون الأول، تخرج في الأكاديمية العسكرية عام 1956 برتبة ملازم، وبعد الاستقلال عين في الفرقة التاسعة للمشاة بالحامية العسكرية بأكادير، بعد ذلك عاد إلى الأكاديمية العسكرية في عام 1961 التي تخرج فيها وعمل كمدرب، ثم بعد ذلك تم تعينه في القصر الملكي كمرافق خاص إلى الأمير عبدالله شقيق الملك، ثم سافر إلى باريس لمتابعة دراسته العسكرية العليا في مدرسة أركان الحرب، وبعد عام من الدراسة عاد إلى المغرب ومجرد عودته عين من بين الاستراتيجيين المكلفين للمناورات الكبرى للجيش وإدارتها، ثم عين رئيساً لمركز التكوين العسكري بمدينة الحاجب واخيراً عين في عام 1968 مديرا لمدرسة اهرمومو العسكرية، رقي إلى رتبة عقيد في عام 1971، قاد انقلاب على الملك الحسن الثاني في العاشر من تموز 1971، إلا أن الانقلاب فشل وقتل أثناءه. ينظر: محمد لومة، انقلاب الصخيرات دراسة شاملة حول أحداث يوليوز 1971 بالمغرب، دار الرجاء، الرباط، 1999، ص84-85.

(14) مدرسة اهرمومو العسكرية: تقع المدرسة في قلب الأطلس المتوسط على بعد 70 كم جنوب شرق مدينة فاس وتعدّ تلك المنطقة أمازيغية، وقد قام المقيم العام غيوم في عام 1953 بوضع حجر الأساس لبناء ثانوية عسكرية مماثلة لثانوية لافليش (السهم) بفرنسا، واستكملت المدرسة بنائها عند استقلال المغرب عام 1956، وكانت المدرسة تحت إدارة ضباط فرنسيين لامعين وضباط صف، لقد كانت التدريبات قاسية لكنها مفيدة لتعليم فنون الحرب وأصبح اسم المدرسة في عام 1958 المدرسة العسكرية الملكية بقيادة إدريس بن عمر، وقد خلفه ضباط آخرون إلى ان أسندت إدارة المدرسة في أيار 1968 إلى المحمد عبابو وبمجرد وصوله إلى المدرسة، غير كلياً البنية التحتية للمدرسة على المستويات كافة، وفي غضون أربعة أشهر نجح في إعطاء المدرسة طابعاً جديداً بالهدم والتعديل والبناء وكان يشرف بنفسه على الأعمال الجارية ومراقبة التدريبات، وتطبيق ما تعلمه بالخارج من تدريبات حديثة، إذ أقام ساحات التصويب الليلية والمسالك الوعرة الأخرى شبيه بالتي يتدرب عليها المارينز ومكتب للتصويب بأهداف متحركة مستوحاة من الولايات المتحدة الأمريكية وفرض على الضباط والتلاميذ جدول حصص أمريكية وفرض طريقة تسديد وطريقة استعراض أمريكية كذلك، كان عبابو صارماً حتى أنه كان احياناً ينتهك القوانين العسكرية، وكان مبعث للخوف في صفوف الضباط والتلاميذ بسبب عدم تسامحه، وهو لا يفرق بين ضابطاً أو جندياً، إذ أنه يعاقب الضباط بالطريقة نفسها التي يعاقب بها التلاميذ، لذلك ساد في المدرسة جو من الرعب لعلم العاملين بها بأن أدنى زلة منهم أو تهاون سيكون ما لا يحمد عقباه. ينظر: محمد الرايس، مذكرات محمد الرايس ذهاب وإياب إلى الجحيم، ترجمة: عبد الحميد جماهيري، دار النشر المغربية، الرباط، 2000، ص8-10.

(15) معمر القذافي: ولد معمر محمد عبد السلام أبو منيار القذافي في قرية جهنم بإحدى مناطق سرت عام 1942، تخرج في جامعة بنغازي عام 1963، ثم التحق بالكلية العسكرية عام 1965 ليتخرج برتبة ملازم، قاد ثورة الفاتح عام 1969 التي أنهت الملكية في ليبيا، وهو من المنادين بالوحدة العربية والمعادين للشيوعية والرأسمالية على حد سواء ومن المنادين بالعودة إلى الإسلام، ادخل ليبيا إلى الاتحاد الثلاثي مصر وسوريا وليبيا في أيلول 1971، وقع مع مصر اتفاقية الوحدة الاندماجية في أيلول 1972، بدا ثورة ثقافية شعبية في عام 1973، قتل يوم الخميس 20 تشرين الأول 2011 على يد قوات المجلس الانتقالي للثورة الليبية. ينظر: ياسر حماية، ليبيا والدكتاتور معمر القذافي، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013، ص11-12.

[16] محمد إدريس السنوسي: هو محمد إدريس بن محمد الشريف بن محمد المهدي السنوسي، ولد عام 1890 في زاوية الجغبوب، تلقى تعليمه في زاوية التاج، وخلف ابن عمه أحمد الشريف في الحكم بعد هزيمته أمام البريطانيين ومغادرته البلاد، ومنذ ذلك الحين، أصبح زعيماً للحركة السنوسية، واتخذ من مدينة اجدابية مقراً لإمارته الناشئة، وأخذ يشن الغارات على معسكرات الايطاليين، وتمكن من إبرام صلح مع الايطاليين عام 1917، وفي أثناء قيام الحرب العالمية الثانية قام بتكوين جيش سنوسي يشترك في استعادة الوطن من الغزاة الايطاليين، ولما انتهت الحرب العالمية الثانية عام 1945 بهزيمة ايطاليا وخروجها من ليبيا اعترفت ايطاليا في عام 1946 باستقلال ليبيا، وبحكم محمد إدريس السنوسي لها، ولم تكن إمارته كاملة السيادة بسبب وجود قوات بريطانية وفرنسية فوق الأراضي الليبية، ولذلك أعلنت في نهاية عام 1951 عن قيام المملكة الليبية المتحدة وأصبح محمد إدريس ملكاً لليبيا، وبقي حتى قيام الانقلاب في عام 1969 بزعامة معمر القذافي الذي أطاح بحكمه، وانتقل إلى مصر لاجئاً سياسياً ويقي مقيماً فيها حتى توفي عام 1983. للمزيد من التفاصيل ينظر: ي. أ. ف. دي كاندول، الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره، ترجمة: محمد القزيزي، د. م، لندن، 1989، ص8-32؛ هند عادل النعيمي، إدريس السنوسي ودوره في استقلال ليبيا 1890-1952، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، 2009.

[17] أحمد بلافريج: ولد عام 1908 في الرباط وتابع دراسته الابتدائية والثانوية فيها، درس في القاهرة عام 1927 لكي يزيد ثقافته ومعلوماته العربية، درس في باريس عام 1928 من أجل الالتحاق بجامعة السوربون وحصل فيها على دبلوم الدراسات العليا في الآداب في عام 1932، أسس أول خلية وطنية في تاريخ المغرب في الرباط عام 1926، وأسس في عام 1934 مدرسة جسوس، أسهم في تأسيس الحزب الوطني عام 1936، سافر عام 1937 إلى عدد من الدول الأوربية من أجل بحث القضية المغربية إلى ان عاد إلى الرباط عام 1943، وأخذ يفكر بالأعداد لوثيقة الاستقلال الذي يعد من ابرز المساهمين فيها، وأسهم في تأسيس حزب الاستقلال عام 1944، اعتقل ونفي إلى جزيرة كورسيكا بعد تقديم وثيقة الاستقلال، عاد إلى المغرب عام 1946 بعد أن أبدى المقيم العام الجديد إيريك لابون رغبته في إقامة نوع من التقارب مع الوطنيين حين أطلق سراح أحمد بلافريج الأمين العام لحزب الاستقلال، بعد خلع السلطان محمد الخامس عام 1953 قام بتنظيم حملة تأييد واسعة للملك محمد الخامس والعمل على تقديم قضية المغرب أمام هيئة الأمم المتحدة، بعد استقلال المغرب عام 1956 أصبح أول وزير للخارجية، تولى رئاسة الوزراء عام 1958، أصبح للمرة الثانية وزيراً للخارجية عام 1962، أصبح ممثلاً شخصياً للملك الحسن الثاني عام 1963، اعتزل العمل السياسي عام 1972، توفي عام 1990. للمزيد من التفاصيل ينظر: أحمد عبد السلام فاضل، أحمد بلافريج ودوره في السياسة المغربية حتى عام 1972، رسالة ماجستير(غير منشورة)، جامعة سامراء، كلية التربية، 2014.

[18] قام اليساريون في حزب الاستقلال الذين لم يشاركوا في حكومة أحمد بلافريج وهم: المهدي بن بركة وعبد الله إبراهيم والمحجوب بن صديق والفقيه محمد البصري وعبد الرحيم بو عبيد بتحريض العمال لإقامة الإضرابات وتحريض أهالي الريف لإقامة الاضطرابات ضد حكومة أحمد بلافريج. للمزيد من التفاصيل ينظر: المصدر نفسه، ص174-180.

[19] محمد الرايس، المصدر السابق، ص11.

[20] نقلاً عن: جيل بيرو، المصدر السابق، ص141.

[21] الشلواطي: ولد عام 1925، التحق بالجيش الفرنسي وعمره تسعة عشر عاماً شارك في الحروب الخارجية لفرنسا أبرزها الحرب الهندية الصينية، إذ جرح مرتين وأسهم عن طريق فوج المدرعات المتمركز في الناضور بقمع الاضطرابات في الريف عام 1958، عين عام 1963 مديراً للأكاديمية الملكية العسكرية في مكناس، ثم عين عام 1964 كعامل على إقليم وجدة، وحين أصبح عاملاً عرف عنه أخذ الرشوة والابتزاز واستفادته من نشاط التهريب على الحدود الشرقية مع الجزائر، وبسبب تعاطيه الرشوة اعفي من منصبه وعينه على رأس اللواء الخفيف للأمن الرباط، ثم عين بعد ذلك رئيساً على المكتب الثالث وقائد العمليات اللوجستية في قيادة الأركان العامة للجيش، كان كثير التردد على بلدة اهرمومو لزيارة والديه وفي الوقت نفسه لزيارة امحمد عبابو، وكان حاقداً حقداً كبيراً على الحسن الثاني وصل حد الرغبة في قتله بسبب تنحيته عن وجدة، شارك في انقلاب الصخيرات عام 1971 وبعد فشل الانقلاب القي القبض عليه واعدم. للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد لومة، المصدر السابق، ص67-69.

[22] رؤوف اوفقير، الضيوف عشرون عاماً في سجون الحسن الثاني، ترجمة: حسين عمر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2008، ص 300.

[23] الأمير محمد السادس: ولد في الرباط يوم 21 آب 1963، تلقى تعليمه الديني في القصر الملكي ابتداءً من عام 1967، وبعد عامين بدأ بالدراسة وفق منهاج جديد حتى تخرج في عام 1981، نال شهادة = =البكالوريوس في القانون من جامعة الملك محمد الخامس في الرباط عام 1985، بعدها وضع تحت إشراف جاك دولوز رئيس المفوضية الأوربية في بروكسل ببلجيكا منذ عام 1988 حتى عام 1993 لتدريبه على الحكم المتقدم، نال شهادة البكالوريوس في القانون من جامعة نيس صوفيا بفرنسا، عين على لواء لفرقة عسكرية مغربية في 12 تموز 1994، اعتلى العرش المغربي يوم 23 تموز 1999، أصدر قرارات مهمة للمصالحة بإطلاق سراح السجناء الموقوفين منذ عهد سلفه. ينظر: جوزيف كشيشيان، السلطة وتعاقب الحكم في الممالك العربية، ترجمة: محمد بن عبدالله بن حمد الحارثي، رياض الريس للكتب والنشر، الرياض، 2013، ج2، ص241-243.

[24] نقلاً عن: رؤوف اوفقير، المصدر السابق، ص 306.

[25] محمد لومة المصدر السابق، ص69.

(26) Aperçu du fichier Coup d'Etat militaire au Maroc 197,p1-2 وثيقة فرنسية منشورة على شبكة المعلومات الدولية(الانترنيت)، تاريخ الدخول 2015/5/5، الرابط :

http://www.recherche-pdf.com/pdf/maroc-le-dernier-roi.html .

[27] رؤوف اوفقير، المصدر السابق، ص287.

[28] مدينة الحاجب: تقع في الأطلس المتوسط وهي في الأصل هضبة تتصل مع سهل سايس المنخفض الممتد شمالاً باتجاه مدينة مكناس،تربط بين مدينة مكناس وتافيلات، وترتبط بشبكة كثيفة من المواصلات بمجموعة من المراكز الحضرية، إذ لا تبعد عن مكناس إلا (50) كلم وعن ازرو (30) كلم وعن إيفران (25) كلم. للمزيد من التفاصيل ينظر: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، المصدر السابق، ج10، ص3255- 3260.

[29] أحمد المرزوقي، تزمارت الزنزانة رقم 10، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2009، ص19.

[30] أحمد منصور، المصدر السابق، ج1.

(31) الأمير رشيد: ولد في الرباط يوم 20 حزيران 1970 تلقى تعليمه بالكلية الملكية، وجامعة محمد الخامس ومنها حصل على شهادة الدبلوم بالدراسات العامة عام 1990، وشهادة الدبلوم بالقانون المقارن عام 1993، تم تقليده رتبة لواء بالبحرية الملكية عام 1994، ثم التحق بكلية بوردو في فرنسا ونال شهادة الحقوق عام 1996، عين وليا للعهد بعد وفاة والده يوم 23 تموز 1999، واحتفظ بمنصبة حتى يوم 8 أيار 2003 بعد أن حلَّ محلة ابن أخيه الحسن، لصغر سن الحسن بقي الأمير رشيد وصياً على العرش، إذ دعت الحاجة لذلك، ترأس الأمير عدد من المنظمات والاتحادات الرياضية، فضلاً عن مهماته العسكرية. ينظر: جوزيف كشيشيان، المصدر السابق، ج2، ص248.

(32) رؤوف اوفقير، المصدر السابق، ص294-295.

(33)Susan Gilson Miller, A History of Modern Morocco, University Cambridge, Press, New York, 2013, P.165-166.

(34) بن سليمان: مدينة في الشمال الغربي وهي مركز إقليم بن سليمان تنتمي إلى جهة الشاوية ورديغة. تقع شرق العاصمة الرباط والدار البيضاء. للمزيد من التفاصيل ينظر: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، المصدر السابق، ج4، ص1383-1388.

(35) رؤوف اوفقير، المصدر السابق، ص296.

(36) أحمد منصور، المصدر السابق، ج2.

(37) أحمد المرزوقي، المصدر السابق، ص21-22.

(38) أحمد منصور، المصدر السابق، ج1.

(39) أحمد المرزوقي، المصدر السابق، ص22.

(40) نقلاً عن: محمد الرايس، المصدر السابق، ص 18.

(41) المصدر نفسه، ص 18.

(42) رؤوف اوفقير، المصدر السابق، ص299.

(43) جيل بيرو، المصدر السابق، ص 142.

(44) رؤوف اوفقير، المصدر السابق، ص 305-306

(45) Susan Gilson Miller, Op. Cit.,P.170.

(46) أحمد المرزوقي، المصدر السابق، ج2.

(47) محمد الرايس، المصدر السابق، ص22.

(48) أحمد عسة، المعجزة المغربية، دار العلم للطباعة، بيروت،1975، ص 394-395.

(49) رؤوف اوفقير، المصدر السابق، ص 311.

(50) محمد اوفقير: ولد عام 1920 ببوذيب في تافيلالت من أصل امازيغي، تطوع في الجيش عام 1939 فعين بالمدرسة العسكرية للضباط بمكناس، أصبح ملازماً في عام 1941، شارك في الحملة على ايطاليا عام 1944 وأصيب في الحرب فكرم بوسام وعاد إلى تازة، عين بالديوان العسكري عام 1949، أصبح المساعد العسكري للجنرال غيوم عام 1953، بعد استقلال المغرب عام 1956 أصبح اوفقير أحد أهم الضباط في القوات المسلحة الملكية، أصبح مديراً للأمن الوطني عام 1960، عين وزيراً للدفاع عام 1964، قام بتدبير اختطاف المهدي بن بركة عام 1965، فأدين بالسجن مدى الحياة في فرنسا، قتل في 16 آب 1972 بعد فشل محاولته الانقلابية على الملك الحسن الثاني، إلا أن الحكومة المغربية وصفت عملية القتل بأنها انتحار. للمزيد من التفاصيل ينظر:

La Grande Enclopede, Librairie Larousse, Paris, 1975, Vol 13, p.61-62.

(51) نقلاً عن: رؤوف اوفقير، المصدر السابق، ص317.

(52) رؤوف اوفقير، المصدر السابق، ص319.

(53) نقلاً عن: أحمد المرزوقي، المصدر السابق، ص 29-30.

(54) محمد لومة، المصدر السابق، ص 152.

(55) الحبيب بورقيبة الابن: ولد في 9 نيسان 1927 في فرنسا من زوجة بورقيبة الفرنسية (ماتيلدا) مفيدة بورقيبة لاحقاً، درس الحقوق في فرنسا، عمل في السلك الدبلوماسي كسفير لتونس في واشنطن بين عامي 1956-1958، ثم سفيراً في روما بين 1958-1961 عاد إلى تونس بعد قطع العلاقات بين البلدين، عمل وزيراً للدولة للشؤون الخارجية في تونس بين 1964- 1970، عمل وزيراً للعدل بين عامي 1970- 1971، وهو في الوقت نفسه رجل أعمال، قام بتأسيس المصرف التونسي للتنمية والاقتصاد وترؤسه منذ عام 1971 حتى عام 1988، تمكن من جلب تمويلات خارجية من دول الخليج إلى بلاده، وقام بتأسيس المدرسة الوطنية للعلوم الإعلامية عام 1983، أصيب بمرض عضال توفي على أثرها يوم 28 تشرين الثاني 2009 ودفن في مقبرة سيدي عبد العزيز بالمنستير. جون فريك، الحبيب بورقيبة الابن، مجلة بوابة السياسة، فرنسا، العدد بلا، 2010، ص37.

(56) أحمد العراقي: ولد في الدار البيضاء يوم 15 تشرين الأول 1931، انتسب إلى كلية الطب في باريس، انضم إلى صفوف الحركة الوطنية في باريس، وبعد الاستقلال عاد إلى المغرب وشغل عدة مناصب، فكان عضواً في أول وفد مغربي للأمم المتحدة عام 1956، ثم عضواً لوفد المغرب للأمم المتحدة عام 1957، شغل منصب مدير لمكتب رئيس الوزراء أحمد بلافريج عام 1958، ثم عين وزيراً للخارجية في حكومة عبدالله إبراهيم، ثم عين سفيراً للمغرب في مدريد عام 1961 ثم في واشنطن عام 1965، ثم أصبح وزيراً للخارجية عام 1967، ثم أصبح رئيسا للوزراء بين عامي 1969- 1971. ينظر: مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، دار رواد النهضة، بيروت، 2003، ج19، ص158.

(57) فاطمة اوفقير، حدائق الملك، ترجمة: ميشيل خوري، دار ورد للطباعة والنشر، دمشق، 2000، ص106.

(58) أحمد منصور، المصدر السابق، ج2.

(59) ايريك لوران، ذاكرة ملك الحسن الثاني، ط2، دار الشرق الأوسط، الرباط، 1993، ص93؛ أحمد عسة، المصدر السابق، ص396.

(60) أحمد المرزوقي، المصدر السابق، ص34.

(61) أحمد بن منصور، المصدر السابق، ج3.

(62) محمد الرايس، المصدر السابق، ص 31.

(63) علال الفاسي: ولد بفاس عام 1910، نشأ وترعرع فيها، التحق بجامعة القرويين عام 1926وفي أثناء دراسته عمل بتنظيمات الحركة الوطنية عام 1930، عمل استاذاً للتاريخ بجامعة القرويين، تصدر الاحتجاج ضد الظهير البربري، وتعرض للاعتقال بسبب ذلك، نفي إلى الغابون ولم ينته نفيه إلّا عام 1946، فعاد إلى المغرب ثم غادره إلى القاهرة عام 1947، ومن إذاعة القاهرة وجه نداءاته إلى الشعب المغربي لتصعيد الكفاح، وبقي يواكب مختلف التطورات الفكرية إلى جانب نشاطه في التدريس الجامعي إلى أنَّ وافته المنية في رومانيا بوخارست في أيار عام 1974. للمزيد من التفاصيل ينظر: سيدي محمد عبد الرحمن، علال الفاسي ودوره في الحركة الاستقلالية في المغرب الأقصى 1925-1956، رسالة ماجستير(غير منشورة)، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، 1996.

(64) محمد الرايس، المصدر السابق، ص35-36.

(65) نقلاً عن: المصدر نفسه، ص 46.

(66) Susan Gilson Miller, Op. Cit.,PP.175-176.

(67) عبد السلام عامر: موسيقار مغربي يعد من أشهر الملحنين في الوطن العربي، ولد عام 1939 بمدينة القصر الكبير شمال المغرب فقد بصره في سن مبكر من حياته لكن على الرغم من ذلك دخل الكتاتيب القرآنية وحفظ القران الكريم ثم تابع دراسته الابتدائية والثانوية وحصل على شهادة البكالوريا، وعرف منذ صغره بذكائه الحاد وسرعة البديهية وموهبة الحفظ لكل ما يسمعه من معارف أدبية، نظم الشعر وعشق المسرح والتلحين وهو لا يعرف العزف على أي آلة، إذ انه اعتمد على أسلوب الدندنة في التلحين متجاوز جميع القواعد المتعارف عليها في تلك العملية، سجل عدد من القصائد والأغاني بصوته، وعلى الرغم من عذوبة صوته إلا انه اكتفى بالتلحين فقط وترك الغناء، سافر عامر إلى مصر إلا أنه عاد إلى المغرب بعد فترة نتيجة حرب عام 1967، واستقر بالدار البيضاء إلا انه في كثير من الأحيان كان يذهب إلى الإذاعة في الرباط لتسجيل الحانة، وفي يوم انقلاب الصخيرات كان عبد السلام عامر في الإذاعة وقد اجبره الانقلابين على قراءة بيان الانقلاب، وبعد فشل الانقلاب القي القبض عليه، إلا انه أطلق سراحه بعد تدخل الأمير عبد الله شقيق الملك، توفي في الرابع عشر من أيار 1979 في أثر عملية جراحية أجريت له لاستئصال الزائدة الدودية. للمزيد من التفاصيل ينظر: شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) الموسوعة الحرة ويكيبيديا، تاريخ الدخول 2015/5/5، الرابط: /http://ar.wikipedia.org/wiki

(68) جيل بيرو، المصدر السابق، ص143-144.

(69) محمد الرايس، المصدر السابق، ص63.

(70) Marvine Howe, Op.Cit,p.111.

(71) نقلاً عن: ايريك لوران، المصدر السابق، ص 93.

(72) المصدر نفسه، ص93.

(73) تم اعتقال اللواء حبيبي القائد العسكري لمنطقة مراكش، بعد فشل الانقلاب كون الملك لم يعفِ عنه واعدم مع بقية قادة الانقلاب. الحسين برادة، مسيرة التحدي من الملك محمد الخامس إلى الملك الحسن الثاني، مطبعة فيديراتب، الرباط، 2003، ص198.

(74) البشير البوهالي: ولد عام 1912 في بني عياض، دخل إلى المدرسة العسكرية في مكناس، عين في عام 1936 رئيساً لفرقة النخبة، شارك في الحرب العالمية الثانية وتميز ببطولاته في الحملة على ايطاليا، أمر من الجيش الفرنسي عام 1944 بقمع تظاهرة، إلا أنه رفض استعمال السلاح ضد المتظاهرين وفي أثر ذلك حصل على عقوبة تأديبية من الفرنسيين، أصبح في عام 1947 قائداً للكتيبة الخامسة في مراكش، بعد الاستقلال طرد من الجيش بعد احتجاجات عنيفة من حزب الاستقلال، عاد إلى الجيش عام 1963 وتم تعينه ملحقاً عسكرياً في باريس، ثم عاد إلى المغرب عام 1964 وعين نائب للقائد العام للقوات المسلحة الملكية، رقي في عام 1969 إلى رتبة لواء وعين القائد العام للقوات المسلحة خلفاً للواء إدريس بن عمر، توفي في 10 تموز 1971 بعد تمكنه من قمع الانقلابيين وجرح احمد عبابو جرحاً بليغاً. للمزيد من التفاصيل ينظر : شبكة المعلومات الدولية(الانترنت)، تاريخ الدخول 2015/5/21 على الرابط

http://fr.wikipedia.org/wiki/Mohamed_Bachir_El_Bouhali :

(75) عقا: ولد عام 1920 ببلدة الحمام بناحية مربرت، انخرط في صفوف الجيش الفرنسي عام 1939 ضمن الوحدة العسكرية الثانية والستون في مدينة مكناس، بعد ذلك انخرط في صفوف (الكوم) ثم أرسل إلى الهند الصينية وعاد إلى المغرب عام 1954 وبمجرد تأسيس القوات المسلحة الملكية في أيار 1956، اندمج في صفوفها برتبة رقيب ليلتحق بالحامية العسكرية بأكادير، تعرف على العقيد احمد عبابو في وحدة حين كان يعمل في الكتيبة الثامنة انتقل مع عبابو عام 1966 إلى الحاجب للعمل معه في مركز التموين في صفرو، واحضره معه إلى مدرسة اهرمومو عام 1968، استعان به عبابو لتشكيل العصابات من التلاميذ من أجل السرقة والسلب باستعمال أسلحة ولباس الجيش، شارك في انقلاب الصخيرات والقي القبض عليه بعد فشل الانقلاب وحكم عليه بالمؤبد. ينظر: محمد لومة، المصدر السابق، ص88-89.

(76) نقلاً عن: محمد الرايس، المصدر السابق، ص68.

(77) Maroc Hebdo International, N° 1016 - Du 15 au 21 Mars 2013, p.19.

(78) سجل العالم العربي، المغرب،(يوليو أغسطس سبتمبر)، دار الأبحاث والنشر، القاهرة، 1971، ص324.

(79) هواري بومدين: اسمه محمد بن إبراهيم بن خروبه ولد يوم 23 آب 1932 بقرية بني عدي، درس الكتّاب في المدرسة القرآنية، دخل المدرسة الفرنسية (المايز) وتعلّم الفرنسية، وفي الرابعة عشر من عمره، انضم إلى حزب الشعب الجزائري، ثمَّ ترك أهله وانضم إلى مدرسة الكتاني في مدينة قسنطينة، وأنهى دراسته واستدعي للخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي، وهو في الثامنة عشر، وقد هرب من الجيش والتجأ إلى مصر عام 1951 ودرس في الجامع الأزهر بالقاهرة إلى أن أكمل تعليمه الديني،

وانضم إلى جبهة التحرير الوطني، وتدرج فيها حتى أصبح قائد الولاية الخامسة وبعدها أصبح قائداً على جيش الحدود وأصبح وزير الدفاع في حكومة الرئيس أحمد بن بيلا ثمَّ انقلب عليه يوم 19 حزيران 1965 ليتسلم رئاسة الجمهورية، توفي يوم 27 كانون الأول 1978. صباح نوري هادي العبيدي، هواري بومدين ودوره السياسي والعسكري في تاريخ الجزائر (1932-1987)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة ديالى، كلية التربية، 2005.

(80) أحمد عسة، المصدر السابق، ص396؛ محمد لومة، المصدر السابق، ص156.

(81) سجل العالم العربي، المصدر السابق، ص328.

(82) الحسين بن طلال: ملك المملكة الأردنية الهاشمية ولد عام 1935 في عمان وتلقى علومه في الإسكندرية وهارو وسانت هرست تولى العرش بعد عجز والده الملك طلال عن الاستمرار بالحكم بسبب مرضه عام 1953 قام بطرد غلوب باشا بعد إعفائه من رئاسة أركان الجيش الأردني عام 1956 ورداً على الوحدة السورية المصرية عقد مع ابن عمه الملك فيصل ملك العراق الاتحاد الهاشمي، إلا أنه انهار بقيام ثورة 14 تموز 1958 وعند تسارع الأحداث في حرب 1967 أقدم على الاشتراك مع الدول العربية ضد (إسرائيل) وفي أيلول 1970 اضطر في الدخول بحرب أهلية مع منظمة التحرير الفلسطينية كان من نتائجها خروج المنظمة من الأردن وشارك في حرب 1973 مشاركة رمزية بإرساله لواء عسكري لمساندة سوريا توفي عام 1999. للمزيد من التفاصيل ينظر: نهار علي الوخيان، مواقف الملك الحسين ورحيله، نشر وتوزيع وزارة الإعلام الأردنية، عمان، 1999، ص40-45؛ بكر عبد المجيد محمد، سياسة الملك الحسين بن طلال تجاه الصراع العربي الإسرائيلي1967-1973، جامعة سامراء، كلية التربية، 2014، ص9-18.

(83) جريدة الشرق الأوسط، لندن، العدد 8456، 22 كانون الثاني 2002.

(84) سجل العالم العربي، المصدر السابق، ص 333-334.

(85) نقلاً عن: جيل بيرو، المصدر السابق، ص155.

(86) نقلا عن: رؤوف اوفقير، المصدر السابق، ص345.

(87) المصدر نفسه، ص 346-347.

هنري علاق والثورة الجزائرية:النضال والمواقف

أ.موسى لوصيف
جامعة قسنطينة 2

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص:
يتناول المقال بالدراسة والتحليل دور هنري علاق في الثورة الجزائرية 1954-1962، حيث كان من أبرز المثقفين الفرنسيين المساندين للقضية الجزائرية في مواقفه وآرائه الرافضة للتعذيب والتقتيل الممارس على الجزائريين، وهنا سأتطرق إلى مؤلفاته مثل كتاب "المسألة" ' La Question ' وكتاب "المذكرات"، ونضاله إلى جانب الجزائريين حيث تعرض إلى المضايقات، والتي تحولت إلى المتابعة والبحث من قبل الجيش الفرنسي والدولة الفرنسية.

الكلمات المفتاحية :هنري علاق، الثورة الجزائرية، المثقفين ،المضايقات، النضال

Summary:
The topic with study and analysis deals about the role of Henry Alleg in the Algerian liberation war 1954-1962, that he was supporters of the Algerian cause, his principals and opinions refused the massacres and crimes practiced on the Algerians.

Then, Iam going to mention some titles of his works, such as "the Question", and the "Memories".

Henry Alleg fought with the Algerians and he was exposed to pressuve, then he was wanted by the French nary and France.

Key words :Henri Alleg -Algérien révolution - intellectuel - Persecution - Fight

مقدمة:

هو من المثقفين الفرنسيين الذين ساندوا الثورة التحريرية الجزائرية، حيث تطرق إلى المحن والمآسي التي عاشها في سجون الاستعمار الفرنسي في الجزائر نتيجة مساندته لها، وقد فضح في شهادته التعذيب الذي تعرض له في السجون والمعتقلات، والتي كانت تحت إدارة فرقة المظليين الفرنسيين المعروفين بقسوتهم وفظاعتهم.

هنري علاق وإنسانية الثورة الجزائرية:

ساهم هنري علاق في دفع الرأي العالمي في اتجاه مساندة الثورة الجزائرية بفضل موقف جريء ضد التعذيب، وقام بتأليف كتاب يفضح التجاوزات غير الإنسانية في حق الفدائيين الجزائريين، وأعطى علاق الثورة بعدها الإنساني، وجعلها تتغلغل في أوساط المثقفين والناشطين السياسيين عبر العالم، كان علاق بمثابة صوت منفرد في فترة عصيبة تميزت بطغيان عقلية استعمارية، وسار على خطى سارتر الذي كان يعتقد أن كل من لم يجرؤ على فضح التعذيب في الجزائر لن يكون له ضمير سالم، وقال مقولته الشهيرة 'إننا قذرون، إن ضمائرنا لم تعكر وهي مع ذلك مبلبلة وحكامنا يعرفون ذلك حق المعرفة' 1.

كان جون بول سارتر يعتقد أن الاستعمار هو عبارة عن نظام ساهم المناضل هنري علاق في تفكيك أسسه وأركانه، عبر فضح تجاوزاته وخروقاته، وإظهاره في صورة نظام غير إنساني وغير عادل، اقترب علاق من سارتر وكان أحد تلامذته، وجعل من أفكاره حول التحرر من الاستعمار قضية جوهرية.

جاءت قوة هنري علاق وقدرته على التأثير من الدعم المباشر الذي حظي به من قبل سارتر، عقب نشره كتاب الاستجواب، نصح سارتر الناس بقراءة الكتاب الذي يسرد الحقائق التي يشمئز منها الإنسان من أنواع التعذيب التي تمارس بشكل جنوني،وقد عانى منها هذا السجين نفسه، رغم أن الجلادين لم ينتزعوا منه أية معلومة رغم القهر والتمثيل به جسدا ونفسا، ظل هنري علاق قريبا من الجزائر بفضل التزامه،وروحه الإنسانية، وقدرته على جعل التاريخ يسير في الاتجاه الصحيح 2.

سيرة وحياة المناضل:هنري علاق مناضل يساري فرنسي من أصول يهودية، وهو ينحدر من أسرة بولونية، بعد حصوله على شهادة البكالوريا، انضم إلى جامعة السربون وتخرج منها بشهادة ليسانس في الآداب، كان لقاءه بالجزائر مجرد صدفة، بعد رحلة أخذته إلى البحر الأبيض المتوسط، استقر في الجزائر سنة 1939، أين نزل بفندق بحي القصبة وهناك احتك أكثر

بالشعب الجزائري فاكتشف شبابا محبا للحياة والعمل وشعبا حيويا، كما وقف على ممارسات استعمارية شنيعة ضد الجزائريين وتمييزا عنصريا كان ضحاياه جزائريون.

مروره بالجزائر لم يكن مخططا له، يقول الباحث، إلا أنه أغرم بالشعب وحفاوته وبساطته رغم الظروف الصعبة التي فرضها الاستعمار وهي أسباب دفعته إلى الاستقرار بالجزائر، أراد أن يتعرف أكثر على هذا الشعب وانغمس في حياته الاجتماعية والثقافية والسياسية، وقد عرف علاق بمعاداته لنظام الجنرال فيشي، انضم إلى الحزب الشيوعي الجزائري، وكانت له تجربة غنية في ميدان الصحافة من خلال نضاله في جريدة ' الجزائر الجمهورية '3.

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية التحق علاق كصحفي بجريدة ' ألجيري ريبيليكان'، التي لم تكن لسان حال الشيوعيين فقط بل كل التيارات المطالبة بالحقوق، وهي جريدة كان يمولها تجار الطبقة البرجوازية، وكغيره من الشخصيات الأوروبية التي تضامنت مع الثورة الجزائرية وخدمتها بنبل وشجاعة، لم ينل حقه من التكريم، وهو ليس وحده في دائرة الإجحاف هذه، فالكثير من الشخصيات الأوروبية لم تنل حقها التكريم والاعتراف، حتى جماعة حملة الحقائب التابعة لشبكة جونسون لم تنل من التكريم والاحترام ما يليق بما قامت به من تضامن فعلي مع الثورة الجزائرية، وصل إلى درجة النضال وحمل السلاح إلى جانب الجزائريين 4.

كتاب القضية ' La question ': اختراق مأساة التعذيب

لقد آثار كتاب القضية لهذا المناضل لدى صدوره كثيرا من النقاش والاهتمام الإعلامي والأكاديمي في الغرب، لأنه وصف ضمن أدب السجون والتعذيب 5، من منطلق الراوية والمشاركة في الأحداث، لأنه يبين مقاومته للعذاب والألم وتحديه للجلادين مركزا على شجاعته وبسالته ورفضه للاستسلام، كما أكد على فضح الاستعمار.

يعد كتاب القضية من بين الشهادات التي ساعدت على كشف المسكوت عنه، فيما يخص التعذيب الذي كانت تمارسه مجموعة من الضباط الفرنسيين تجاه المناضلين الجزائريين، أو المساندين الأوروبيين وغيرهم لثورة التحرير الجزائرية.

كتب المناضل هنري علاق تجربته التي عاشها في سجون المستعمر الفرنسي، بداية من شهر جوان 1957، بالدم والألم والعذاب، وذلك بعد ملاحقة أصحاب جميع الأقلام التي كتبت في جريدة ' الجزائر الجمهورية ' التي كان يشرف عليها، فعاش علاق متخفيا مع المجاهدين الجزائريين إلى أن ألقى عليه القبض جنود مظليون تابعون للفرقة المظلية العاشرة، يوم 12 جوان 1957 في منزل صديقه موريس أودين، الذي اعتقل ومات تحت التعذيب في ظروف غامضة، ولا يعرف مكان جثته، ولا كيف تمت تصفيته وأين ؟ كل ما نعرف كما يقول هنري علاق هو أنه ' مات مثل الكثير من المناضلين في ظروف غامضة تحت التعذيب.. ' 6.

وهدف المستعمر هو تخويف المناضلين الأوروبيين لكي يمتنعوا عن تأييدهم للثورة الجزائرية، إذ يقدم الكاتب رقما يقدره بأكثر من ثلاثة آلاف شهيد 7، لا يعرف أين دفنوا، ماتوا إما تحت التعذيب، أو رميا من الطائرات، أو تم وضعهم في إطار إسمنتي قذف بهم في أعماق البحار لكي لا ترى أجسادهم.

صدر كتاب القضية شهر فيفري عام 1958، يقع في 111 صفحة من الحجم المتوسط، حيث كان هنري علاق يكتب يوميا عدة صفحات بكثير من الخوف، وبعيدا عن أنظار الحراس، بعد أن لقي تشجيعا من قبل مجموعة من الأصدقاء وبعض محاميه الذين حرضوه على فضح الأشياء، وعندما أتم المسودة أرسلها إلى منشورات ' Minuit '، التي كان يديرها السيد ' Lindon J'rame ' الذي عرف بشجاعته وبرغبته في نشر نصوص صادقة منطلقة من الواقع.

ورغم الخوف وتهديد الإدارة الاستعمارية له ولكل من يتطرق إلى قضايا مثل هذه، وهي تمس ضباطا ومسؤولين مهمين في الدولة، كانت الإدارة تهدد كل من يقدم على أعمال كهذه بغلق مؤسساتهم وأحيانا يودع بهم في السجون، لكن

مدير هذه الدار تحدى كل ذلك واختار نشر الكتاب، إذ بيع منه خلال الأسابيع الأولى أكثر من ستين ألف نسخة، إلا أن الإدارة منعته، فكان الناس يصورونه ويرسلونه لأصدقائهم أو ينصحون الناس بقراءته.

كما أصدرته جريدة 'لو كانارد أنشيني' في أحد أعدادها 8، ولكن بخط صغير لا يقرأ بسهولة، كما أعاد طباعته ناشر سويسري، الشيء الذي يبين بأن الكتاب جذب أنظار الرأي العام الفرنسي والعالمي، وهو كتاب لم يكن محصورا في المناضلين، بل كانت رغبة المؤلف هو أن يصل إلى أكبر شريحة اجتماعية، حيث صرح قائلا :" ها أنا كتبت حكايتي. ولم يسبق لي أبدا أن كتبت بهذه الصعوبة وبهذا الجهد الجهيد. ربما لأن الألم ما زال حارا في ذاكرتي، أو ربما لأن هذا الكابوس الذي عشت أهواله والذي يعيشه في هذه اللحظة التي أكتب فيها أشخاص آخرون، وسيعيشه آخرون حتما ما لم تتوقف هذه الحرب الكريهة، كان علي أن أقول كل ما أعرف. وأنا مدين بهذه الكتابة إلى موريس أودان "9.

وكان موريس أودان رفيق علاق وصديقه وزميله الذي اعتقله الجيش وقد قال فيه ' إنني أكتب له وإلى كل الذين أُهينوا وعُذّبوا وهم يواصلون الكفاح بكل شجاعة وبطولة، مدين به إلى كل الذين يموتون كل يوم في سبيل حرية بلدهم' ثم يواصل قائلا: "كتبت حكايتي بعد أربعة أشهر من تعذيبي على يد المظليين في الزنزانة رقم 72 في سجن بربروس سجن الجزائر المدني"،

كان لهذا الكتاب أثر كبير، استجاب له الكثير من المثقفين وعلى رأسهم جان بول سارتر ومورياك وأندريه مالرو، وآخرون راحوا ينددون بالقمع الذي يمارس ضد المناضلين الجزائريين في السجون الاستعمارية، كما راحوا يكتبون وينظمون لقاءات حول الموضوع، فأرسلوا وثيقة إلى رئيس الجمهورية في ذلك الوقت وقّع عليها مجموعة هامة من المثقفين الفرنسيين.

كان هنري علاق مدير تحرير جريدة 'الجزائر الجمهورية' لسان حال الحزب الشيوعي الجزائري، وكانت معروفة بمواقفها بالتنديد وفضح الاستعمار، كما كانت تفتح صفحاتها إلى كل مؤيد لاستقلال الجزائر، مما أزعج الإدارة الفرنسية التي ألقت القبض على الكثير من مسؤولي الجريدة، أثناء معركة الجزائر العاصمة، التي يؤكد الكاتب بأن الاستعمار استعملها وهولها للقضاء على المناضلين.

وهو يرى بأنها لم تكن معركة كما أطلق عليها الاستعمار الذي أعطاها هذه العبارة تعسفا، بل يرى بأنها 'كانت خطة جهنمية استعملها بعض الضباط لكي يوهموا الفرنسيين بأن هناك حربا بينهم وبين سكان العاصمة، استعملوها للقضاء على الكثير من الجزائريين شيوخا ونساء وأطفالا ومناضلين '10، حتى أن القمع كان سيد الموقف في العاصمة وأحوازها، مما دفع بالكثير من المناضلين بالتنديد وفضح هذه الجريمة المنظمة، كما أعطى لهؤلاء الضباط إمكانية شد الخناق أكثر على الجزائريين بالأساس، حيث تم سجن الآلاف من بينهم الكثير من الأوروبيين المساندين للثورة.

هنري علاق والتعذيب:

تحدثت الكاتبة رافانيلا برانش في كتابها التعذيب وممارسات الجيش الفرنسي أثناء ثورة التحرير الجزائرية والذي ترجم من قبل أحمد بن محمد عن أهم المراحل التي مرت بها الحرب بداية بإبراز الأوجه الجديدة التي اتخذتها الحرب 1954-1956، وتطرقت فيه الكاتبة إلى طرق ممارسة التعذيب من قبل الجيش الفرنسي بين نوفمبر 1954 ومارس 1962 حيث اعتبرت "رافانيلا برانس" التعذيب وقتها، وسيلة حرب وعنف مقصود يراد به كسب النزاع والحرب في الجزائر فهو مباشرة يعتبر من أوضاع تسودها علاقة قوة وأشارت الكاتبة إلى الآلة الجهنمية التي كانت تساعد على اندلاع الصراع المسلح وهي القوة المتواجدة بيد الدولة الأم زيادة على ذلك الأداة الحاسمة الموكلة إلى الضحايا تطبيقا لليد العليا الطاغية عليهم، ثم تطرقت الكاتبة إلى اكتشاف التعذيب وتطوره في هذه الحرب طيلة 8 سنوات فقد احتل مكانته بجانب وسائل العنف الغير مشروعة

الأخرى، وبعد أن ارتبط التعذيب بتصور جديد للحرب ابتداء من 1957 تحول بسرعة ليصبح السلاح الأساس في الصراع الذي كان يستهدف الجزائريين11.

وكان المناضل علاق من ضمن هؤلاء الذين ناضلوا من أجل فضح ممارسات الإدارة الاستعمارية، فقبض عليه وأودع السجن، أو كما يقول في مصنع التعذيب الكائن بمنطقة الأبيار، إذ أذاقوهم الأذى الممنهج، ماداموا قد رفضوا التعاون مع المستعمر وأذنابه، هذا ما يؤكده الكاتب حينما طلب منه المظلي شاربونيه charbonnier 12 قائلا له: ' أنت صحافي ؟ لذا يجب أن تفهم بأننا نريد أن نعرف كل شيء أو أن تكون على دراية، يجب أن تعلمنا '.

بعد أن القي القبض على علاق، راحت مجموعة من الضباط تسأله كي تعرف أين قضى أيامه هروبه من سكنه، ودخل حياة السرية، وعن أولئك الذين ساعدوه، فكان يرفض البوح و التعامل معهم، رغم أنهم كانوا يهددونه حتى بتعذيب زوجته جيلبيرت وأولاده إذ ما واصل في تعنته' هل تفكر بأن أولادك محميون لأنهم في فرنسا، إننا نستطيع المجيء بهم متى أردنا ' 13.

كان يعرف بأنهم قادرون على فعل الشر، كما فعلوا مع زوجات بعض المناضلين، لكنه أصر على ألا يجيب عن أسئلتهم، فما كان كل من أرلان وشاربونيه إلى أن أعطيا أوامرهما بتعذيبه، إذ يقول :" كان شاربونييه يعذبني بالكهرباء، رافعا صوته مرددا نفس الكلام أين قضيت ليلتك قبل أن يتم توقيفك، كما كانوا يأخذون وقودا يشعلونها ويضعونها على صدري وأطراف أصابع رجلي، ومن كثرة الألم أصبحت لا أحس مما أزعجهم كثيرا '14.

يصف المؤلف فترات التعذيب بقوله' لوّح جاكيه المبتسم دائماً أمام عيني بالمقابس الموجودة في نهاية المساري الكهربائية، مقابس صغيرة من المعدن اللامع، ومزركشة. ثبّت أحدها على صيوان أذني اليمنى، والآخر في أصبع الجانب نفسه. فجأةً، قفزت في أصفادي وصرخت بملء صوتي' ثم يواصل واصفا هذا الجحيم ' كان شاربونييه قد أرسل في جسدي أول شحنةٍ كهربائية، كانت شرارةٌ طويلة قد صدرت قرب أذني وأحسست بقلبي يقفز في صدري. تلويت صارخاً وتصلبت حتى جرحت نفسي، في حين كانت الذبذبات الكهربائية تتوالى دون توقف بإيعاز من شاربونييه، والمولّد المغناطيسي في يده بالإيقاع نفسه.

كان يكرر سؤالاً واحدا وهو يوقّع مقاطع الكلمات ' أين كنت تقيم ؟ بين هزتين، كنت أستدير نحوه وأقول ' أنت مخطئ، سوف تندم!' ثار شاربونييه، فأدار معدلة المولد إلى الحد الأقصى قائلا ' في كل مرةٍ تقدم لي المواعظ، لكن كل هذا لم يشبع وحشيتهم لأن علاق واصل مؤكدا 'وفي حين واصلت الصراخ، قال لجاكيه 'يا إلهي، كم هو صخّاب! ضع كمامةً في فمه!' فكوّر يد جاكيه قميصي ثم حشره في فمي وبدأت المعاناة الرهيبة. كنت أضغط على القماش بكل قواي وأجد في ذلك ما يشبه الراحة '15.

كما منع من الأكل والشرب، ووعدوه بإطالة مدة التعذيب وابتكار فنيات أخرى، وضعوا له الكهرباء داخل فمه، حتى جف ريقه، وحينما عرفوا بأنه وصل إلى طريقة لا تحتمل من العطش، أعطوه كمية ماء كانت شديدة الملوحة، و هكذا كانت حلقات العذاب تتواصل لا تتشابه، لأنهم جربوا معه كل الإمكانيات من التجويع والعطش والإهانة، ناهيك عن موجات الكهرباء.

غير أنه لم يقل أي كلمة، حتى أن الجنرال 'ماسو'16 المعروف زاره في سجنه واقترح عليه أن يتكلم، ويجيب عن أسئلته، وإلا فإنه سيزيده عذابا، لكنه بقي صامتا صادما متحديا إياهم، فحولوه إلى مكان آخر ووضعوه بالقرب من خزانة، وراحوا يعطونه قليلا من الماء معترفين بأنهم تجاوزوا حدودهم في تعذيبه، حتى أن بعض الجنود اغتاظوا لحالته، فنصحوه بالكلام، وأحدهم اعترف له بشجاعته ومواصلة الصمت وعدم فضح أصدقائه، طلب منه علاق أي يوم نحن؟ الجمعة أجاب الجندي،

إنني في التعذيب المتواصل دون توقف منذ يوم الأربعاء'، ثم يتكلم عن الأصوات التي كانت تصله من جراء التعذيب، حتى خيّل إليه أن يسمع 'صوت زوجته جيلبيرت، ووصف الحالة التي كانت تغزو المكان بوحشيتها ومأساتها، دون أي رأفة أو إنسانية.

يقول علاق لا أنسى ذات ليلة عندما جاءني الضابط شاربونييه وأمرني بتحضير نفسي ثم طلب مني موهما أياي، قائلا 'احضروا أودان وحجاجي، لنأخذ كل واحد منهم على حدة17، لكنه كان ثابتا مقتنعا بأنه مستعد لدفع الغالي والنفيس من أجل مثله ومبادئه ومن أجل رفاقه في النضال.

يرى علاق بأن الجلادين لم تكن لهم قلوب، أو أنها ماتت، لأنهم أصبحوا يتلذذون بما يقومون به، وأصبح التعذيب مهنتهم اليومية، وحتى طبيب السجن راح يوهمه بإنسانيته، وذلك بإقناعه بالبوح وإلا فإنهم يستعملون معه 'التعذيب العلمي' الذي كان يشرف عليه هذا الطبيب. أعطاه جرعة من المخدرات على شكل دواء، غير أن هنري علاق وضعها تحت لسانه موهما الطبيب بأنه تناول الجرعة التي سلمت له، ثم بصقها، فراح الطبيب يختبر إدراكه رويدا رويدا، إذ طرح عليه مجموعة من الأسئلة حتى يعرف أين قضى أيامه الأخيرة قبل أن يتم إيقافه، وكانت أسئلته متمحورة حول مكان وجود الرفاق يقول 'رحت أجيبه بثقة محاولا التحدث بطمأنينة وبضبط النفس، فكان الضابط يعطيه عنوانا غلطا لكي يوهمه بأنه يعرف مكان تواجدهم منتظرا من علاق أن يصحح له غلطته، لكنه عرف اللعبة رغم كمية المخدرات التي وضعوها هذه المرة في جسده عبر محقنة.

هذه المخدرات التي أثّرت في نفسيته حتى بدأ يفكر في الانتحار، لكنه استعاد وعيه وعرف أنه لو يقدم على ذلك، فهو سيحقق أمنية جلاديه. وفي الغد طرح عليه أحد الضباط السؤال التالي: هل تعذبت خلال المقاومة بنفس الحدة، فرد عليه، لا إنها المرة الأولى، فأجابه جميل، ثم قال كعارف، إنك قوي' 18 كما جاءه عسكري آخر وقال له: ' لقد حضرت كل فترة تعذيبك، والدي حدثني عن شجاعة الشيوعيين أثناء المقاومة، إنهم يفضلون الموت، لكنهم لا يصرحون بشيء، وهذا موقف بطولي ورائع'19.

يقر بأن مكان تواجده في حقيقة الأمر ليس مركزا للتعذيب فحسب، بل كان بمثابة مدرسة لتعويد وتعليم الشباب الفرنسي على طرق تعذيب الجزائريين. من ضمن النقاشات التي سجلها في كتابه مع الضباط الذين كانوا يستعملون معه كل الطرق للوصول إلى غايتهم، حواره مع أحدهم الذي أعلن له بكل صراحة عن رغبته في أن تنتقل هذه الحرب إلى بلدان أخرى كتونس والمغرب، لأنه نادم على أن الحملة الفرنسية بقيادة نابليون لم تؤد إلى انفلات عام، حيث أظهر حقده الاستعماري الدفين للجزائريين، الذين كان هنري علاق واحدا منهم لأنه انتسب إلى قضيتهم والتحق بالجزائر قادما من باريس سنة 1939، تزوج من المناضلة جيلبيرت عام 1946، وتقلد رئاسة تحرير جريدة الجزائر الجمهورية، حتى قبض عليه.

كانت رغبة هذا الضابط هو التخلص من علاق، كونه هدده بذبحه بسكينة ذات ليلة. وكانت كلماته تتجسد في الواقع حينما كان يعذب المواطنين الجزائريين الذين كانوا يأتون بهم إلى السجن وهم في لباس النوم، أو بدون أحذية، إذ كانت قلوب المعذبين مثل الحجر الأصم، وأصبحوا بدون إنسانية، وكأنهم يتلذذون بتعذيب الجزائريين، كما كانوا يظهرون احتقارهم بتشديد العذاب على المسلمين وبإظهار عنصريتهم تجاههم وكان المسلمون حينما يلتقون بعلاق في السجن يحيونه لأنهم كانوا قد التقوه في المظاهرات التي كانت تدعو إليها الجريدة، أو قرؤوا كتاباته، 'كنت أقرأ في عيونهم تضامنهم معي، وصداقة تدفعني بالشعور بالافتخار كوني أوروبيا وقف بجانبهم'20.

قضى علاق في فيلا سوسيني بالأبيار شهرا تقريبا، حيث ذاق أصناف العذاب لكي ينتزع منه المحققون معلومات عن الجزائريين المجاهدين وبخاصة عن الفرنسيين المتعاونين معهم وذلك تحت تأثير مادة كانت تحقن في ضلوعه.

هنري علاق والسجون:

نقل بعد إلى سجن لودي بمدينة المدية، حيث بقي شهراً آخر، ومنها إلى سجن بربروس، وهو سجن الجزائر المدني، وحكم عليه بعشر سنين سجنا، لأنه حسب الإدارة الفرنسية كان يشكل خطرا على أمن الدولة، ثم نقل إلى سجن بمدينة رين الفرنسية وذات يوم وهم يأخذونه إلى مستشفى المدينة، انتهز فرصة اشتغال حراسه وفر من المستشفى بمساعدة من بعض رفاقه، وذهب إلى تشيكوسلوفاكيا ثم عاد إلى الجزائر بعد اتفاقية إيفيان، وغادرها بعد الانقلاب الذي قام به بومدين، ليجد نفسه مرة أخرى في باريس. يعرف الكاتب سجن بربروس بأنه معتقل كان يُساق إليه الجزائريون لمجرد وشاية كاذبة أو تهمة ملفقة أو قرار إداري لا يستند إلى أي إثبات .

يصف هنري علاق هذا السجن قائلا:" في هذا السجن الذي يعجّ بالسجناء، كل زنزانة مترعة بالألم. وإن أردتُ أن أروي ما حصل لي شخصياً من أعمال التعذيب، فإني سأشعر بالخجل من نفسي. ففي الطابق الأرضي من السجن، قسم المحكومين عليهم بالإعدام وكان عددهم ثمانين سجيناً مغلولي الأرجل بالحديد. كنا نعيش على وتيرة حركاتهم وسكناتهم. لم يكن فيهم واحد لا يعود مساءً إلى الحصيرة التي يفترشها لينام وهو يتصور كيف سيطلع عليه صبح رهيب أو يحلم بكل ما لديه من قوة الأمل ألا يحصل له أي مكروه. ومع ذلك كانت تتصاعد من الطابق الأرضي بالذات كل يوم أغنيات رائعة تنبض بها حناجر هؤلاء الأبطال الذين هم قلب الشعب الجزائري المكافح من أجل حريته21.

يشير ا إلى تلك الحالة التي كانت تصيب السجناء لحظة صعود أحد المناضلين إلى منصة الإعدام، وهم يرددون نشيد من جبالنا يعتبر كتاب هنري علاق أحد المفاتيح المهمة التي ساهمت في التعريف بحرب التحرير الجزائرية، إذ أنه حينما صدر الكتاب كان مؤلفه يقبع في السجون الفرنسية، مما دفع بسارتر في مقالة له بالقول 'الهدوء هو نتيجة شجاعة الضحية، تواضعها ووضوحها تهيئنا لكشف الغطاء، علاق ينتزع من سبات الليل العذاب الذي كان يخفيه'22.

والحقيقة التي كان يريدها الكاتب هي فضح هذه المعاملات الوحشية، وأنه يرى بأن فرنسا كانت تتلقى على وجهها ما لم تجرأ على الاعتراف به، وكان علاق يأمل أنه من الضروري ومن المفيد أن نكافح من أجل التعريف بما تعنيه هذه الحرب، أصلها، جذورها، أسباب التكالب عليها من مختلف الحكومات الفرنسية المتعاقبة والتي جعلتها ترفض الاعتراف بحقوق الجزائريين23.

ثم يواصل قائلا :" وعليه نساعد الشباب الذين تركوا قصدا في الجهل على معرفة هذا الماضي القريب، وأخذ الدروس منه للمستقبل، مستقبل مليء بالتهديدات والعواصف التي ينبغي مواجهتها، لأنه لا يستبعد أن تبرز نزاعات أخرى، وهي كثيرة الآن، هنا أو هناك في إحدى أرجاء العالم'24

ولعل أحسن شهادة نختم هي شهادة رفيقه المناضل كريستيان بوينو الذي قاسمه النضال والزنزانة والتعذيب، إذ يؤكد' فقد تعرفت على هنري علاق ... إنه صاحب بصيرة ووعي جمع بين الشجاعة والتواضع. يملك مناقب نادرة، ولكنها من مقتضيات انتمائه إلى ما يسميه هو نفسه، فئة النعال السوداء أي الأوروبيين الذين اختاروا أن يساندوا الجزائريين في كفاحهم في سبيل كرامتهم واستقلالهم، مهما كانت النتائج 25.

ثم يواصل ' شرع في العمل أي في تأليف كتابه وأخذ يكتب دون توقف، في مكان معزول من الزنزانة، كان يكتب عدة صفحات في اليوم، ذلك الكتاب الذي لعب دورا هاما في الكفاح الوطني' نقل هذا الكتاب إلى عدة لغات، من بينها اللغة العربية، حيث تمت ترجمته من طرف كل من الأستاذة عايدة إدريس، ووالدها سهيل إدريس تحت عنوان 'الجلادون أو الاستجواب'، صدر في بيروت، عن منشورات دار الآداب سنة 1960، أي بفترة وجيزة بعد نشره باللغة الفرنسية، كما حوّل

إلى مسرحية، وهناك الكثير من الكتابات التي سارت على منواله يحكي أصحابها شهاداتهم ومعايشتهم في جحيم العذاب الذي كانت يديره الضباط الفرنسيين على مستوى عال من الحكومة الفرنسية.

كما تتطرق إلى فضح المعاملات الاستعمارية وتوق الشعوب إلى الانعتاق والحرية والاستقلال، وبعد استقراره في باريس، انخرط هنري علاق في الحزب الشيوعي الفرنسي وبقي مناضلا فيه حتى وفاته، كما عمل صحافيا بجريدة لومانيتي لسان هذا الحزب من 1966الى غاية 1980.

وفاة هنري علاق وردود الفعل:

توفي هنري علاق يوم الأربعاء 17 جويلية 2013 في باريس عن عمر يناهز 92 سنة، وقد تناولت وسائل الإعلام خبر وفاته بإسهاب، جاء في بيان لوكالة الأنباء الجزائرية أن " هنري علاق ناضل طوال حياته من أجل كشف الحقيقة " 26، أشار الرئيس الفرنسي إلى أن هنري علاق في بيان نشرته جريدة الإنسانية الفرنسية في تعازيه الخالصة لأقارب الفقيد، أن هنري علاق " كان صحفيا كبيرا بجريدة ' ألجي ريبوبليكان' التي أدارها قبل انتقاله إلى جريدة 'لومانيتي' التي كان أمينها العام وتعامل معها إلى غاية 1980، مضيفا أنه " ظل دائما وفيا لمبادئه وقناعاته" 27 .

وفي رد فعل لها إثر رحيل الفقيد، قالت المجاهدة الجزائرية لويزات ايغيل أحريز التي كانت من ضحايا التعذيب الذي مارسته القوات الفرنسية خلال الثورة التحريرية، أن الصحافي الفرنسي الذي يحمل الجنسية الجزائرية أيضا والناشط الشيوعي، ناضل دائما من أجل ' القضايا العادلة '

وأشارت إيغيل أحريز التي أعادت في سنة 2000 فتح النقاش حول التعذيب خلال حرب تحرير الجزائر' أشعر بحزن عميق لأن هنري علاق كان أخي الروحي وأخي في الكفاح '، مضيفة في هذا الصدد، ' كانت تربطنا قضية مأساوية هي التعذيب خلال حرب الجزائر، وسأفعل كل شيء من أجل تسمية شارع أو مبنى باسمه في الجزائر' 28.

وذكر مدير صحيفة ' Algerie Républicaine ' زهير بسة، أن هنري علاق كان "مناضلا فريدا لا يوجد مثله الكثيرون في أيامنا، وصارع الجلطة الدماغية التي أصيب بها قبل عام حتى وفاته"، وأوضح بسة، أنه التقى علاق آخر مرة في 7 جويلية 2012 في باريس لإحياء الذكرى الخمسين لاستقلال الجزائر، وألقى خلالها كلمة رغم تعبه الشديد" 29.

خاتمة:

هذه الشهادات تبين وقوف أصحابها مع ثورة التحرير الجزائرية، كما تروي بطولات إنسانية رائعة، وكانت هذه الكتابات بمثابة سلاح قام أصحابها بتعرية الواقع به، يفضح المسكوت عنه، وبالتالي كشف الممارسات غير الإنسانية المخالفة تماما لما يروق للفرنسيين ترداده، من احترام حقوق الإنسان، والدفاع عن كرامته، هذه الشهادات تثبت العكس تماما لأنها تكشف عن معاملة الإنسان بوحشية تنتسب إلى قرون خلت، وهذا رقم القرارات التي اتخذت والتي تنص على حرية الإنسان، هكذا بعد صراع مع المرض يرحل المناضل هنري علاق تاركا وراءه مجموعة من الكتب التي تروي تجربته وتنديده بالعذاب، ومساندته للقضايا العادلة وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

الهوامش:

1- عبد المجيد عمراني: النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص.123.

2- المرجع نفسه، ص.125.

3- رشيد خطاب: الخاوة والرفاق، قاموس بيوغرافي للجزائريين ذوي الأصل الأوروبي واليهودي والحرب التحريرية الجزائرية 1954- 1962، جار خطاب، 2013، ص.32.

4- أدب السجون مصطلح يعني تلك الكتابات التي ألفت في السجون، وهي تعتبر من بين أصدق أنواع الكتابة، سواء كانت نثرا أو شعرا، لأنه إبداع صادر من رحم المعاناة، ويعرفه الروائي المغربي مصطفى لغتيري بأنه "الكتابات التي حاولت ملامسة تجربة الاعتقال السياسي إبداعيًا، أي أنها اتخذت من الكتابة وسيلة لتصفية الحساب مع تجربة إنسانية ووجودية ونفسية مريرة، قد يكون المرء قد عاشها فعليًا أو سمع تفاصيلها من أحد السجناء، أو هي فقط عبارة عن تجربة متخيّلة لها ما يدعمها في الواقع، مما حدث لكثير من السجناء وتناقلته الألسنة أو وسائل الإعلام، أنظر: حسن الأشرف: أدب السجون بالمغرب.. للحقيقة وجهان، العربي الجديد، 2015، ص. 32.

5 -Henri Allag : La Question, Paris minuit 2008. P. 21.
6 - Les temps des d'Algérie, Retour sur 'La Question', Quarante ans après la guerre d'Algérie ،entretien avec Gilles Martin Paris. P.6.
7 - Ibid, p.110.
8 - Henri Allag : Op-cit.p.16.
9 - Les temps des d'Algérie: Op-cit, p.8.
10- رافانيلا برانش: التعذيب وممارسات الجيش الفرنسي أثناء الثورة التحريرية، تر أحمد بن محمد بكلي، دار أمدوكال للنشر، الجزائر، 2010، ص 5، 7.
11 – الضابط شاربونيه، هو أحد المضلين الفرنسيين، عذب مجموعة من المناضلين على رأسهم موريس أودان وهنري علاق، عرف بقساوته وبالتفنن في تعذيب المناضلين، فيلالي مختار: أساليب القمع والتعذيب الوحشي والحرب النفسية ضمن مخطط القضاء على الثورة الجزائرية أحداث وتأملات، مطابع عمار قرفي، باتنة، 1994، ص. 51.
12 -Henri Allag : Op-cit.p.48.
13 – Ibid, p.32.
14 – Ibid, p.42.
15 – Ibid, p.69.
16 – الجنرال ماسو، لعب دورا خطيرا ضد حرب التحرير في الجزائر، كان رئيس القوات الفرنسية في ألمانيا، وشارك في الحرب في فيتنام، والجزائر حيث كان مسؤولا عن الفرقة العاشرة للمظليين الفرنسيين، أنظر: Joseph Valynseele et Denis Grando :Le général Massu, dans À la découverte de leurs racines, t. I, L'Intermédiaire, le soldat méconnu, Paris, 1993 des Chercheurs et Curieux, 1988.
17 - Ibid, p.70.
18 - Ibid, p.109.
19 - Ibid, p.90.
20 - Ibid, p.107.
21 - Ibid, p.111.
22 - Les temps des d'Algérie: Op- cit, p.6.
23 - Ibid, p.7.
24 - Ibid, p.7.
25 - Olivier de Makonda : Un algérien de souche européenne dans la guerre d'Algérie. Buuono. Paris.1991.p.42.
26 – وكالة الأنباء الجزائرية يوم الأربعاء 17 جويلية 2013 .
27 -L'humanité : henri Allag le prix de la vérité, 18 juillet 2013, p. 1,2.
28 – جريدة المجاهد، ع 18 جويلية، 2013، ص.3.
29 -Alger Républicaine : Huit heures avec hevri Alleg, dimanche 19 octobre 2014, p.3.

جامعة الزوايا للشمال الإفريقي 15 مارس 1948 م تركيبتها الإدارية ومشاريعها

د.مصطفى عبيد

جامعة المسيلة

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص:

منذ صدور قانون الفاتح من جويلية سنة 1901 من طرف الإدارة الفرنسية بالجزائر، والذي يسمح بتأسيس الجمعيات، ظهرت في الجزائر عدة جمعيات في هذا الشأن، منها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وجمعية علماء السنة... وكذلك جامعة الزوايا للشمال الإفريقي التي تأسست في 15 مارس 1948، موضوع مقالنا هذا. وقد كانت جامعة الزوايا هذه، تابعة لاتحاد زوايا شمال إفريقيا الذي تأسس سنة 1938 من طرف شيوخ زوايا الجزائر، وتونس، والمغرب الأقصى.

Le Résumé:

La Confrérie Religieuse de l'Afrique du Nord a été fondée d'après la loi du 01 Juillet 1901, cette étude pas une étude analytique, mais est une étude descriptive pour faire -d'après son statut- la définition, la composition, les projets et les buts de cette organisation qui a fondée le 15 Mars 1948 à Alger.

Cette étude, malgré c'est une étude descriptive, mais elle est compter tous les staffs administratifs et religieuses non au niveau de l'Algérie, main au niveau de l'Afrique du nord en générale et ses confréries. Tous ça d'après quatre sources principales, sont: **Le Statut de la Confrérie Religieuse de l'Afrique du Nord**, réservé au centre d'Archives Nationale d'Outre Mer à Marseille, Fonds de département de Constantine, B 03 , doc 223. Et **le rapport du gouvernement général de l'Algérie**, réalisé par le Cabinet de service des liaisons Nord-Africaines, sous le titre de: Renseignements sur le Congrès Maraboutique d'Alger 15, 16 Mars 1948, Le 26 Mars 1948. En 05 pgs, réservé au même boite d'Archive. **le rapport très important des service des liaisons Nord-Africaines, Préfecture d'Alger**, conservé au même boite d'Archive. intitulé: Renseignements sur le Congrès des Confréries Religieuses de l'Afrique du Nord, N 204, Le 24 Mars 1948. et le quatrième source d'archive c'est **l'article du journal de L'Avenir du 19 Mars 1948, sous le titre de « Travaux du Congrès des Confréries Religieuses de l'Afrique du Nord ».**

مقدمة:

في الوقت الذي تناولت فيه الدراسات كثيرا من الطرق الصوفية والزوايا التابعة لها، إلا أننا لم نجد ذكرا لهذه الجامعة التي بقيت –على الأقل بالنسبة إلينا– مجهولة باستثناء ما ورد في كتاب صلاح مؤيد العقبي، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها**. وما سيرد في بيبليوغرافيا دراستنا هذه. وأهمها التقرير الأرشيفي الذي كان منطلق فكرتنا للقيام بهذه الدراسة. مما جعلنا نكتفي في دراستنا هذه بالتطرق إلى اشكالية تتمحور أساسا في نقطتين واضحتين هما: ماهي التركيبة البشرية لجامعة زوايا شمال إفريقيا؟ وما مشاريعها التي تأسست من أجلها؟ معتمدين في ذلك على المنهج التاريخي الوصفي، بسبب غياب الوثائق التي تجعلنا نغوص في التحليل والاستقراء والاستباط. وقد كان بإمكاننا دراسة هذه الجامعة في إطارها التاريخي من خلال واقع اتحاد زوايا شمال إفريقيا ونشاطاته الدينية والتاريخية، أو صحف بعض الطرق المعروفة أو صحف جمعياتها كصحيفة التنوير (جريدة جمعية التنوير للشيخ أحمد العلوي)، وجريدة المرشد، وجريدة الإرشاد... ولكننا أبينا ذلك وقررنا التركيز على موضوع خاص لا عام، وهو التعريف بتركيبة جامعة الزوايا هذه وأهدافها ومشاريعها بعيدا عن التحليل والأحكام باعتبار أن الوثائق لم تتوفر بعد للغوص في دراسة هذه الجامعة دراسة عميقة.

تأسيس جامعة الزوايا للشمال الإفريقي وأسبابه:

تأسست جامعة الزوايا للشمال الإفريقي بزاوية محمد بن عبد الرحمن الأزهري بسيدي امحمد (بلكور بمدينة الجزائر) بحضور أكثر من مائة وعشرين رئيس زاوية خلال انعقاد مؤتمر زوايا شمال إفريقيا بمدينة الجزائر بتاريخ 15 مارس 1948. [1] وقد ربطت جامعة الزوايا للشمال الإفريقي تأسيسها بالأسباب التالية:

1- خلو واقع المسلمين بالشمال الإفريقي من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف. "أما بعد فإنّ من ألقى نظرة عامة على أحوال المسلمين بهذه البلاد في هذا الزمان يجدها خالية من تعاليم هذا الدين الحنيف".[2]

2- ضعف روابط الوحدة والتعاون والتحابب بين المسلمين في البلاد الواحدة وفي بلدان شمال إفريقيا رغم دعوة القرآن إلى وحدة الصف حيث قال تعالى "(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)[3]. وبالعكس فإنّا نرى الدواعي لمصادمة التعاون والتحابب قد تعددت وموجبات الإعراض عن ذلك الحبل المتين قد فشت واستفحلت، حيث لا وازع يردع الناس عن تيار الجهالة، ولا داعي يدعو إلى الخير بحسن المقالة، وقد أضاع المسلمون طريق الحكمة كأن لم تكن لهم رابطة إسلامية ولا لحمة".[4]

3- تفاقم واشتداد حدة تيار الجهل والإعراض عن الدعوة إلى احياء كلمة الله. "ولما تحقق أساطين أهل الدين بالشمال الإفريقي هذه الحالة الأسيفة، وشاهدوا تيار الجهل والإعراض عن الدعوة إلى احياء كلمة الله يزداد تفاقما الآونة بعد الأخرى.... لما أبصروا وتحققوا ذلك، قاموا قومة المخلص الغيور، وبادروا إلى معالجة الداء بتلبية داعي الله ورسوله إلى بث روح هذا الدين الشريف بين أبنائه بواسطة مؤسسة منظمة خالصة من كل غرض ذاتي لتكافح عوامل الصدود عن أوامر كتاب الله ونواهيه بأنجع الوسائل، وذلك تحت اسم:" جامعة الزوايا للشمال الإفريقي".[5]

مشاريع الجامعة:

وإذا كانت هذه الأسباب هي التي دفعت شيوخ الزوايا إلى تأسيس جامعتهم هذه كما جاء في قانونها الأساسي، فإنهم حددوا برنامج عملهم على ثلاثة مشاريع، وركّزوا على ضرورة نجاحها من خلال دعوتهم إلى تأسيس صندوق مالي لكل مشروع. وهذه المشاريع هي:

1- " نشر التعليم المجاني بواسطة برنامج واسع النطاق في الزوايا واحداث معاهد أخرى في مختلف البلاد لهذا الغرض.

2- الدعوة والإرشاد إلى التمسك بأهداب القرآن الذي هو حبل الله المتين وتبيين محاسن الشرع الإسلامي وذلك بواسطة ثلة من الخطباء المصقعين.

3- العمل لإزالة البؤس والشقاء على الفقراء ولا سيما اللاجئين إلى الزوايا حيث تقع العناية بتهذيبهم وتعليمهم.[6]

التركيبة البشرية لجامعة الزوايا للشمال الإفريقي:

أولا: المجلس الأعلى:

1- الشيخ عبد الحي الكتاني (زاوية فاس): رئيسا.

2- الشيخ التبريزي بن عزوز (تونس): مفوض الجامعة بتونس.

3- الشيخ محمد الكبير الكتاني (ابن الشيخ عبد الحي)، (فاس): مفوض الجامعة بالمغرب الأقصى.

4- الشيخ عمر بن الحملاوي (واد سقان): مفوض الجامعة بالجزائر.

ثانيا: الإدارة:

1- الشيخ مصطفى القاسمي: (زاوية الهامل): رئيس الإدارة.

2- الشيخ أحمد التيجاني (زاوية تماسين): نائب أول.

3- الشيخ عثماني عبد الرحمن (زاوية طولقة): نائب ثاني.

4- الشيخ ابن طكوك عبد القادر (زاوية بوقيرات): نائب ثالث.

5- الشيخ حفيظي الأمين (بسكرة): كاتب.

6- الشيخ عاصم قادة (بريقو): كاتب.

7- الشيخ قاسمي عبد الحفيظ (الهامل): كاتب.
8- الشيخ عثماني عباس (طولقة): كاتب.
9- الشيخ أحمد التيجاني(تماسين): أمين المال.
10- الشيخ الأعرج عبد الرحمن (القنادسة): نائب أول.
11- الشيخ قاسمي الحاج محمد (متيجة): نائب ثاني.
12- الشيخ عمر بن الحملاوي (وادي سقان): مفوض علمي.
13- الشيخ محمد بن طكوك (بوقيرات): مفوض علمي.
14- الشيخ غلام الله محمد (تيارت): مفوض علمي.
15- الشيخ القاسمي عبد القادر (الهامل): مدير اللجنة بالجزائر.
16- الشيخ غلام الله محمد (تيارت): مدير اللجنة بوهران.
17- الشيخ القرعيشي مصطفى (قسنطينة): مدير اللجنة بقسنطينة.
18- الشيخ القاسمي المكي (زاوية الهامل): مراقب للجامعة.
19- الشيخ عطية مولاي أحمد (زاوية غليزان): مراقب للجامعة.
20- الشيخ أحمد بن بسام (زاوية قسنطينة): مراقب للجامعة.
21- الشيخ محمد العشعاشي (زاوية تلمسان): كاتب المالية.
22- الشيخ الزواني محمد (زاوية قالمة): مستشار.
23- الشيخ حفيظي بن عزوز (زاوية خنشلة): مستشار.
24- الشيخ حسن الطرابلسي (زاوية عنابة): مستشار.
25- الشيخ السوسي البشير (زاوية القليعة): مستشار.
26- بن عمر التيجاني (زاوية عين ماضي): مستشار.
27- الحاج محمد بن ابراهيم (زاوية تاخمارت): مستشار.
28- مولاي عبد الله (زاوية عمي موسى): مستشار.
29- شنتوف عدة (زاوية معسكر): مستشار.[7]

ثالثا: اللجنة المكلفة بتنظيم المالية:

1- الشيخ أحمد التيجاني: زاوية تماسين.
2- الشيخ الزواني محمد: زاوية قالمة.
3- الشيخ عمر بن الحملاوي: زاوية سقان.
4- الشيخ عثماني عبد الرحمن: زاوية طولقة.
5- الشيخ قاسمي المكي: زاوية الجزائر.
6- الشيخ بن عمر التيجاني: زاوية عين ماضي.
7- الشيخ بلقاسم البوجليلي: زاوية واد الساحل.
8- الشيخ قاسمي الحاج محمد: زاوية متيجة.
9- الشيخ بن طكوك عبد القادر: زاوية بوقيرات.

10- الشيخ غلام الله محمد: زاوية تيارت.

11- الشيخ محمد العشعاشي: زاوية تلمسان.

12- الشيخ الأعرج عبد الرحمن: زاوية القنادسة.

رابعا: اللجنة التنفيذية للعمالات الثلاث:

أولا: ممثلو عمالة وهران في اللجنة التنفيذية للعمالات الثلاث:

الشيخ غلام الله محمد (زاوية تيارت): رئيسا.

عاصم قادة بن عمروش (زاوية بريقو): عضوا.

شنتوف المختار (زاوية معسكر): عضوا.

مرابط عبد الله (عمي موسى): عضوا.

الحاج محمد العشعاشي (زاوية تلمسان): عضوا.

مركز العمالة: شارع بلوكوس، عدد 19، حي قامبيطا، وهران.

ثانيا: ممثلو عمالة الجزائر في اللجنة التنفيذية للعمالات الثلاث:

الشيخ القاسمي عبد القادر (الجزائر).

الشيخ القاسمي المكي (الهامل).

الشيخ قاسمي عبد الحفيظ (الهامل).

الشيخ البشير السوسي (القليعة).

الشيخ قاسمي الحاج محمد (متيجة).

مركز العمالة: سيدي امحمد، بلكور، الجزائر.

ثالثا: ممثلو عمالة قسنطينة في اللجنة التنفيذية للعمالات الثلاث:

الشيخ قرعيش مصطفى (زاوية قسنطينة).

الشيخ بن بسام احمد (زاوية قسنطينة).

الشيخ حفيظي الأمين (زاوية بسكرة).

الشيخ عثماني عباس (زاوية طولقة).

الزواني محمد (زاوية قالمة).

مركز اللجنة التنفيذية بعمالة قسنطينة: مقر الزاوية الرحمانية نهج بيو عدد 92، قسنطينة.

المجلس الأعلى:

أولا عمالة الجزائر:

1- الشيخ عبد الحي الكتاني (زاوية فاس): الطريقة الكتانية.

2- الشيخ عبد الكبير الكتاني (زاوية فاس): الطريقة الكتانية.

3- الشيخ التبريزي بن عزوز (زاوية تونس): الطريقة الرحمانية.

4- الشيخ مصطفى القاسمي (زاوية الجزائر): الطريقة الرحمانية.

5- الشيخ بن عمر التيجاني (زاوية عين ماضي): الطريقة التيجانية.

6- الشيخ بلقاسم البوجليلي (زاوية وادي الساحل): الطريقة الرحمانية.

7- الشيخ عبد الرحمن الجرجري (زاوية جرجرة): الطريقة الرحمانية.
8- الشيخ محمد وعلي (زاوية تيزي وزو): الطريقة الرحمانية.
9- الشيخ ميسومي عبد الرحمن (زاوية قصر البخاري) الطريقة الشاذلية.
10- الشيخ الحاج العربي بربرة (ثنية الحد): الطريقة الشاذلية.
11- الشيخ المداني بن المحجوب (زاوية المدية): الطريقة الشاذلية.
12- الشيخ ابن الشرقي العطاف (زاوية العطاف): الطريقة الشاذلية.
13- الشيخ قاسمي الحاج محمد (زاوية بير التوتة): الطريقة رحمانية.
14- الشيخ السوسي البشير (زاوية القليعة): الطريقة العمارية.
15- الشيخ إبراهيم بن عزوز (زاوية قلتة الصطل): الطريقة الرحمانية.
16- الشيخ قاسمي المكي (زاوية بوسعادة): الطريقة الرحمانية.
17- الشيخ قاسمي عبد القادر (زاوية الجزائر) الطريقة الرحمانية.
18- الشيخ الأزهاري بن عزوز (زاوية الأغواط): الطريقة الرحمانية.
19- الشيخ الوانوغي أبو مزراق (زاوية الجزائر): الطريقة الرحمانية.
20- الشيخ قاسم عبد الحفيظ (زاوية الهامل): الطريقة الرحمانية.

ثانيا عمالة وهران:

1- الشيخ طيكوك الحاج عبد القادر (زاوية بوقيرات): الطريقة السنوسية.
2- الشيخ محمد بن طكوك (زاوية بوقيرات): الطريقة السنوسية.
3- الشيخ غلام الله الحاج محمد (زاوية تيارت): الطريقة الشاذلية.
4- الشيخ الحاج محمد بن ابراهيم (زاوية تاخمارت): الطريقة الشاذلية.
5- الشيخ ابن الشريف المكي (زاوية كسار): الطريقة الشاذلية.
6- الشيخ أبو عبد الله البوعبدلي (زاوية سان لو): الطريقة الشاذلية.
7- الشيخ عطية مولاي محمد (زاوية غليزان): الطريقة الشاذلية.
8- الشيخ عدة بن تونس (زاوية مستغانم): الطريقة العلاوية.
9- الشيخ بن لعرج عبد الرحمن (زاوية القنادسة): الطريقة الزيانية.
10- الشيخ بن عمر مولاي علي (زاوية ندرومة): الطريقة الطيبية.
11- الشيخ مرابط مولاي عبد الله (زاوية عمي موسى) الطريقة الطيبية.
12- الشيخ شنتوف عدة (زاوية معسكر) الطريقة الشاذلية.
13- الشيخ عاصم قادة بن عمروش (زاوية بريقو): الطريقة الشاذلية.
14- الشيخ بواذريع إبراهيم (زاوية سعيدة): الطريقة الهبرية.
15- الشيخ بن القندور بوحفص (زاوية تريزيل سقر): الطريقة الهبرية.
16- الشيخ بغدادي بن عبد الله (زاوية ندرومة): الطريقة القادرية.
17- الشيخ ابن لحول قدور (زاوية واد الخير مستغانم): الطريقة القادرية.
18- الشيخ الحاج الحبيب بلخير (زاوية فرطاصة): الطريقة القادرية.

19- الشيخ عبد القادر بوعزة (زاوية عين تموشنت): الطريقة القادرية.
20- الشيخ بوقلجة عبد الرحمن (زاوية كرزازة): الطريقة القادرية.
21- الشيخ النابلسي بن عبد الباقي (زاوية واد الجمعة زمورة): الطريقة القادرية.
22- الشيخ محمد العشعاش (زاوية تلمسان): الطريقة الهبرية.
23- الشيخ محمد السايح (زاوية مغنية): الطريقة الهبرية.
24- الشيخ محمد البركة (زاوية سيدي بلعباس): الطريقة الشاذلية.
25- الشيخ بوغفورة الحاج أحمد (زاوية سيق): الطريقة الشاذلية.
26- الشيخ البوديلمي علي (زاوية تلمسان): الطريقة العلاوية.
27- القادر الحاج محمد بن عبد القادر (زاوية ندرومة): الطريقة العيساوية.
28- غلام الله غلام الله (زاوية تيارت): الطريقة الشاذلية.

ثالثا عمالة قسنطينة:

01- الشيخ أحمد التيجاني (زاوية تماسين): الطريقة التيجانية.
02- الشيخ الحاج محمد الصغير باش تارزي (زاوية قسنطينة): الطريقة الرحمانية.
03- الشيخ عثماني عبد الرحمن (زاوية طولقة): الطريقة الرحمانية.
04- الشيخ عثماني عباس (زاوية طولقة): الطريقة الرحمانية.
05- الشيخ حفيظي الأمين (زاوية بسكرة): الطريقة الرحمانية.
06- الشيخ حفيظي بن عزوز (زاوية خنشلة): الطريقة الرحمانية.
07- الشيخ قرعيشي مصطفى (زاوية قسنطينة): الطريقة الرحمانية.
08- الشيخ مختار بن عبد الحميد (زاوية أولاد جلال): الطريقة الرحمانية.
09- الشيخ عمر بن الحملاوي (زاوية سقان): الطريقة الرحمانية.
10- الشيخ الحاج حسن الطرابلسي (زاوية عنابة): الطريقة العلاوية.
11- الشيخ الزواني محمد (زاوية قالمة): الطريقة العمارية.
12- الشيخ بن بسام أحمد (زاوية قسنطينة): الطريقة التيجانية.
13- الشيخ الحاج صالح بن حميدة (زاوية قسنطينة): الطريقة الطيبية.
14- الشيخ الشافعي بن الصادق بن الحاج (زاوية أوراس): الطريقة الرحمانية.
15- الشيخ الزواوي الهاني بن بلقاسم (زاوية الرفاك): الطريقة حنصالية.
16- الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ الحسين القشي (زاوية سيدي خليفة): الطريقة الرحمانية.
17- الشيخ بن سحنون (زاوية عزازقة) الطريقة الرحمانية.
18- الشيخ بوقشبية (زاوية عنابة): الطريقة الرحمانية.
19- الشيخ السعيد بن العيساوي (زاوية طوقفيل سطيف): الطريقة الرحمانية.
20- الشيخ الطيب ولد الشيخ الحواس (زاوية ريغة سطيف): الطريقة الرحمانية.[8]

قرارات المؤتمر:

وبعد نهاية أشغال المؤتمر المذكور اتفق المجتمعون على تنفيذ القرارات التالية:

1- "السعي الحثيث بمختلف الوسائل المشروعة لتمتين الصف الداخلي بالمودة والإخاء بين رؤساء الزوايا أنفسهم، وكذلك بينهم وبين أحبابهم ومريديهم.

2- العمل على المحافظة على الالتزام بمنهج القرآن الكريم وترغيب المسلمين في حفظه وخدمته والاهتداء بهديه.

3- تشجيع التعليم العربي الإسلامي في الزوايا والمعاهد الدينية.

4- موقف الجامعة من "قضية فصل الدين عن الإدارة، فالجامعة لا تتداخل في الشؤون السياسية ماعدا القضايا التي تمس بالدين الإسلامي الحنيف".

5- اتخاذ أسلوب النشر والدعاية باستعمال الوسائل الممكنة.[9]

القانون الأساسي لجامعة الزوايا للشمال الإفريقي:

هذا وقد صادق المجتمعون في المؤتمر المذكور (15 مارس 1948) على القانون الأساسي لجامعة الزوايا للشمال الإفريقي وهو كالتالي:

المادة الأولى: أسست تحت هذا العنوان جامعة الزوايا للشمال الإفريقي بحسب قانون فاتح جويلية سنة 1901 ومركزها الاجتماعي بسيدي محمد ببلكور الجزائر.

المادة الثانية: مقاصد الجامعة:

1- المحافظة الكلية على الدين الإسلامي وتعاليمه وعلى القرآن والأحكام الشرعية.

2- احترام التقاليد القومية التي لا تتعارض مع أصول الإسلام أو فروعه المعلومة.

3- التعاون على نشر التعليم الديني الإسلامي وتعميمه في جميع الطبقات بالأساليب المناسبة والآداب المرعية.

المادة الثالثة: الجامعة لا تتداخل في الشؤون السياسية.

المادة الرابعة: هذه الجامعة تتركب:

1- من أعضاء عاملين.

2- وأعضاء مؤيدين.

3- وأعضاء شرفيين.

4- وأعضاء محسنين.

يعتبر عضوا عاملا كل مريد قدمه عضوان من اللجنة (التنفيذية) ويدفع اشتراكا سنويا مبلغه ألف فرنك، ويكون له الحق في الانتخاب.

يعتبر عضوا مؤيدا كل من كانت قيمة اشتراكه السنوي 500 فرنك.

يعتبر عضوا شرفيا كل رئيس زاوية مشهودة، وله حق الانتخاب.

يعتبر عضوا محسنا كل من أعان الجامعة باشتراك سنوي أقله مائة فرنك.

المادة الخامسة: مدخول الجامعة يتكون من اشتراكات الأعضاء العاملين والمؤيدين والشرفيين والمحسنين ومن التبرعات.

المادة السادسة: يدير هذه الجامعة:

1- مجلس أعلى مركب من ستة وستين عضوا برئيس عملي أعلى خاص به وموفوضين في الأقطار الثلاثة الجزائر وتونس والمغرب مرتبطين بالمجلس الأعلى.

2- إدارة مؤلفة من رئيس ونواب له في العمالات الثلاثة. وكاتب عام ونوابه وأمين مال ونوابه ومراقبين ومديرين ومفوضين واثني عشر عضوا مستشارين.

يعين هذه الإدارة المجلس الأعلى المذكور في اجتماعه العام السنوي.

المادة السابعة: وظيفة المجلس الأعلى هي مراقبة سير الإدارات وأعمالهم من جميع الوجوه، وله التصديق على مقرراتهم أو رفضها. وعليه حل المشاكل التي تحدث لأعضاء الجامعة في أثناء السير وله تغيير القوانين الأساسية ويعين اللجنة المالية واللجنة التنفيذية والمفوضين وله الأمر في عقد اجتماع المؤتمر الكبير.

المادة الثامنة: وظيفة الإدارة:

فالإدارة موكلة على مال الجامعة تقبض الاشتراكات والتبرعات وتراقب المعاهد التي تنشئها وتفتح مدارس قرآنية وتعين لها مدرسين وتؤسس فروعا يعمل بها بمقتضى فكرة والجامعة تفاوض فيما يخص الجامعة وتخاصم عنها بالنيابة لدى المحاكم الشرعية والسلطة الحاكمة. ويمكن لها أن تقبل كل مصالحة ولا يمكن للإدارة أبدا أن تتصرف فيما يجاوز مبلغ صندوق المال كما أنه لا يجوز لها أن تبذل مصروفا في غير ما يتعلق بشؤون الجامعة ولا يجوز لها الرهن والبيع ولا يسوغ لها أن تغير القوانين الأساسية.

المادة التاسعة: اللجنة المالية:

يعين المجلس الأعلى لجنة مالية مركبة من اثني عشر عضوا وظيفتها التدابير اللائقة لجمع المال وصرفه وجعل المحاسبات والتقريرات المالية.

المادة العاشرة: يعين المجلس الأعلى لجنة تنفيذية مركبة من خمسة عشر عضوا ووظيفتها تنفيذ قرارات المجلس الأعلى والإدارة المركزية في العمالات الثلاث ويكون تركيبها على هذا المنوال، خمسة أعضاء من كل عمالة تعمل تحت نائب رئيس الإدارة ويكون كل مكتب خاص في عمالة. ولها التفويض في سير الحركة المادية والأدبية. ولابد لها من اخبار المركز الإداري بعملها. ولها رئيس وكاتب ويجمعها رئيسها في كل ثلاثة أشهر مرة وجوبا، ولها أن تجتمع فيما عدى ذلك إذا أوجبت الظروف اجتماعها.

المادة الحادية عشر: الاجتماع العام:

ينعقد الاجتماع العام في كل سنة مرة باستدعاء من الرئيس الأعلى أو بأمر من الإدارة، ويجب أن يكون هذا الاستدعاء قبل أون الاجتماع بشهر على الأقل للبحث عن أعمال الجامعة من الناحية الأدبية والمادية والاجتماعية ولتجديد المجلس الإداري.

المادة الثانية عشر: لا يكون انحلال الجامعة إلا إذا جمع لذلك مؤتمر خصوصي، ولا يقع الانحلال إلا إذا وافقا عليه ثلثا المؤتمر. وعند ذلك يسلم أثاثها إلى جمعية خيرية إسلامية يعينها المجلس الأعلى.

والله الموفق للصواب.[10]

خاتمة:

لقد ربطت جامعة زوايا شمال إفريقيا ظهورها بالدفاع عن تعاليم الدين الإسلامي ومحاربة الجهل بالتعليم العربي الإسلامي ورص الصفوف في إطار ما يخدم الوحدة بين أبناء الوطن الواحد من جهة وبين أبناء شمال إفريقيا من جهة ثانية. وذلك من خلال نشر التعليم المجاني والتزام الدعوة والإرشاد، والعمل على دعم التكافل الاجتماعي لمحاربة مختلف مظاهر الفقر. واعتبرت ذلك استمرارا لنشاطاتها السابقة فكانت بذلك —في تقديرنا– جمعية تعليمية خيرية أكثر منها سياسية، خاصة وأنها أعلنت صراحة عن عدم تدخلها في العمل السياسي من خلال إعلانها عن عدم تدخلها في قضية فصل الدين عن الإدارة. وهي النقطة التي كانت قد أثارت نقاشات حادة بين الإدارة الاستعمارية ودعاة الإصلاح على الخصوص. ولكن من المفيد هنا أن نقول: رغم توفر الدراسات التي عالجت موضوع الطرق الصوفية بالجزائر عموما خلال هذه الفترة والتي ليس هنا مجال عرضها وهي معلومة للجميع. فإن قلة المصادر والمراجع التي تعالج موضوع هذه الجامعة بالخصوص، وكذا ضيق المجال الزمني الذي نشطت فيه باعتبارها قد تأسست سنة 1948، والثورة التحريرية قد اندلعت سنة 1954 فإنه لا يمكننا الحكم عن هذه

الجامعة حكما منصفا. مما جعلنا نكتفي بدراسة وصفية لها حاليا في انتظار المزيد من الوثائق والدراسات التي تلقي الضوء بالتفصيل على هذه الجامعة التي نحسبها غير مدروسة باستثناء ما ورد في كتاب صلاح العقبي السابق الذكر أو ربما بعض صحف الزوايا.

الهوامش:

1- جامعة الزوايا للشمال الإفريقي، **القانون الأساسي لجامعة الزوايا للشمال الإفريقي**، 15 مارس 1948، مدينة الجزائر. ص 01 بـ: *Centre d'Archives Nationale d'Outre Mer, Fonds de département de Constantine, B 03 , doc 223.* ورغم أن تقرير القانون الأساسي هذا يشير إلى هذا العدد، إلا أن تقرير السلطات الفرنسية يشير إلى أن عدد المدعوين تجاوز المائة لكن عدد الحاضرين قدر بثمانين شخصا مثلوا مختلف الطرق الصوفية بالجزائر. ومن بين الغائبين عن هذا المؤتمر حسب تقرير 24 مارس 1948 نجد الشيخ الحملاوي: *Préfecture d'Alger, Service des liaisons Nord-Africaines* ***Renseignements sur le Congrès des Confréries Religieuses de l'Afrique du Nord****, N 204, Le 24 Mars 1948. Centre d'Archives d'Outre Mer, Fonds de département de Constantine, B 03 , doc 223.*

وكذلك: صلاح مؤيد العقبي، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها**، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002، ص 623.

2- جامعة الزوايا للشمال الإفريقي، **القانون الأساسي لجامعة الزوايا للشمال الإفريقي**، 15 مارس 1948، مدينة الجزائر. ص 01 بـ: *Centre d'Archives Nationale d'Outre Mer, Fonds de département de Constantine, B 03 , doc 223.*

3- سورة الأنفال، الآية 46. (تهميش الآية لم يرد في الأصل وإنما أضفناه نحن).

4- القانون الأساسي، مصدر سابق، ص 01، 02.

5- نفسه، ص 02. نفسه، ص 03، 04.

6- نفسه ص 06، 07. وكذلك: *Le Rapport du 24 Mars 1948.Op. Cit. pp 02 – 04.* وأيضا : *L'Avenir (Journal) du 19 Mars 1948, sous le titre de « Travaux du Congrès des Confréries Religieuses de l'Afrique du Nord ».*

7- **القانون الأساسي لجامعة الزوايا للشمال الإفريقي**، مصدر سابق، ص ص 11 – 15. وكذلك: *Le Gouvernement Général de l'Algérie, Cabinet de service des liaisons Nord-Africaines,* ***Renseignements sur le Congrès Maraboutique d'Alger 15, 16 Mars 1948****, Le 26 Mars 1948. 05pgs, Centre d'Archives Nationale d'Outre Mer, Fonds de département de Constantine, B 03 , doc 223.*

8- نفسه، ص ص 05 – 10.

9- نفسه، ص ص 16 – 19.

مجازر 8 ماي 1945 وانعكاساتها على وادي سوف

د.موسى بن موسى
جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

ملخص

إن السياسة الاستعمارية الاستيطانية الممارسة في حق الشعب الجزائري سياسة عنصرية بامتياز، ذلك يبرز من خلال التعامل غير المتزن مع كافة اطياف المجتمع بالجزائر سواء المعمرين أو الجزائريين، هذا ما ساهم في إحداث سياسة فرق تسد، خاصة في أوساط الجزائريين، لكن ذلك لم يمنح لكل من الفئات الجزائرية حق الحماية الكاملة من أي تعد كان، وذلك نتيجة الوضع العام الذي تمتعت به الجزائر منذ نشوب الحرب العالمية الثانية حتى نهايتها وما انجر عن ذلك من تطورات تمثلت في مجازر الثامن ماي 1945، ووادي سوف إقليم لا يتجزأ عن الجزائر فكان ذلك مبررا كافيا في لبروز انعكاسات جراء القمع الهمجي الممارس في حق الشعب الاعزل ومن هنا جاءت عنوان المداخلة موسوم بـ : مجازر 8 ماي 1945 وانعكاساتها على وادي سوف.

Abstract :

The colonial policy of settlement practice in the right of the Algerian people racist policy par excellence, it protrudes through the handle is balanced with all shades of society in Algeria, both centenarians or Algerians, this is what contributed to the creation of divide and rule, especially among Algerians, but it was not granted for each of the Algerian groups the right to the full protection of any longer was, as a result of the general situation has enjoyed Algeria since the outbreak of the Second World War to its end and Langer from that of the developments represented in the massacres of the eighth May 1945, and the valley will be the territory of the parcel for Algeria that was a sufficient justification in for the emergence of reflections by the brutal repression practiced against defenseless people hence the title intervention came marked by:The massacres of May 8, 1945 and its impact on Oued Souf.

مقدمة :

إن سياسة الاحتلال الاستيطانية الممارسة في حق الشعب الجزائري سياسة عنصرية بامتياز، لما كانت لفرنسا من أهداف استعمارية تود الوصول إليها بكل وسيلة، ذلك يبرز من خلال التعامل غير المتزن مع كافة اطياف المجتمع بالجزائر سواء المعمرين أو الجزائريين، هذا ما ساهم في إحداث سياسة فرق تسد، خاصة في أوساط الجزائريين، لكن ذلك لم يمنح لكل من الفئات الجزائرية حق الحماية الكاملة من أي تعد كان، سياسيا، اقتصاديا، اجتماعيا، ثقافيا، ذلك نتيجة الوضع العام الذي تمتعت به الجزائر منذ نشوب الحرب العالمية الثانية حتى نهايتها، وما انجر عن ذلك من تطورات تمثلت في مجازر الثامن ماي 1945، رغم المساهمات المادية والمعنوية التي بذلها الجزائريون قصد الحصول على الاستقلال، غير أن ذلك لم يكن مجديا أمام غطرسة المحتل.

هذا ما أكدته الاجراءات القمعية المتبعة من قبل أجهزة الشرطة والجندارمة والجيش الفرنسي في كل أرجاء البلاد المحتلة بدعوى حفظ الأمن واستتباب الأوضاع بالجزائر المستوطنة مقابل الابادة المستعملة في حق الشعب الجزائري المسالم والأعزل بحجة التمرد، رغم وضوح المطالب التي خرج من أجل المطالبة بها، التي من أهمها تذكير الإدارة الفرنسية بالافاء بالوعود التي قطعتها أمام الحركة الوطنية، فكان لمظاهرات 8 ماي 1945 نتائج وانعكاسات ظلت تؤثر في مسار التحولات السياسية ليس على مستوى الجزائر بل حتى بلدان المغرب العربي.

ووادي سوف إقليم لا يتجزأ عن الجزائر، فكان ذلك مبررا كافيا في بروز انعكاسات على إثر التفاعلات المحدودة الانتشار لطبيعة الحكم العسكري الجاثم على المجتمع المتواجد بأقاليم الجنوب جراء القمع الهمجي الممارس في حق الشعب الاعزل خلال 8 ماي، ومن هنا جاء عنوان المداخلة موسوم بـ : مجازر 8 ماي 1945 وانعكاساتها على وادي سوف.

أولا - أوضاع وادي سوف السياسية ما بين (1939 – 1945) :

إن أحداث أفريل 1938 بوادي سوف وما انجر عنها من انعكاسات نتيجة زيارة مدير شؤون الأهالي بالجنوب، يضاف إليها التوتر العالمي، الذي نتج عنه قيام الحرب العالمية الثانية جعل الجزائر كمستعمرة تدخل حالة ركود وسبات سياسي عطل العمل

بمنظومة الأحزاب، مما أحدث نوعا من الفراغ السياسي، هذا بدوره أوجد وضعا سياسيا مهتزا، لم يسمح للحركة الوطنية التفاعل، لكن ذلك لم يمنع من حدوث مواقف كان لها الأثر في بلورة الصورة المكتملة للحركة الوطنية التي ما لبثت أن عملت جاهدة في إعادة ترتيب بنيانها السياسي. وفي هذه الأثناء كانت منطقة وادي سوف تترقب الجديد، لما كان لها من خصوصية جغرافية لم تجعلها بمعزل عن الأحداث السياسية التي عرفتها الجزائر إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، وخلالها شهدت الجزائر نشاطا لعدة أحزاب أبرزها حزب الشعب المنحل، الذي ظل يعمل في السرية، ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وما انبثق عنها من منظمة سرية، وجدت بوادي سوف استعدادا ماديا وبشريا، رغم صعوبة الوضع الذي ظلت وادي سوف تتميز به، وهو النظام العسكري، حتى بعد إعلان نهاية هذا النظام في سنة 1947، إضافة إلى إقرار العمل بنظام البلدية المختلطة، الذي تأخر حتى الخمسينات، والحزب الشيوعي الذي وجد فيه الكثير من السكان المسلمين منفذا للحصول على بطاقة العضوية، خاصة التجار، لما تقدمه هذه البطاقة من تسهيلات أمام نقاط المراقبة، كما استغلته الفئة التي تحصلت على مستوى تعليمي فرنسي للدفاع عن العمال من جهة، والمضطهدين السياسيين من جهة أخرى، وحركة أحباب البيان والحرية من خلال نشر وتوزيع صحفها كصحيفة " **المساواة** "، وصحيفة " **الجمهورية** ".

1 – نشاط حزب الشعب خلال المرحلة السرية بوادي سوف[2] :

إن حزب الشعب المنحل من خلال القرار، الذي أصدرته السلطة الفرنسية منذ إعلان حالة التأهب للمشاركة في الحرب العالمية الثانية سنة 1939 ضد دول المحور، غير أن هذا الوضع لم يمنع من بروز تحركات سرية للحزب، لكن تواجده يرجع إلى أول محاولة لإنشاء خلية بمنطقة وادي سوف سنة 1940، بفضل جهود مناضلي المنطقة، كأحمد ميلودي[3]، الهاشمي ونيسي[4]، عبد القادر العمودي[5]، محمد بلحاج ميهي[6]، حيث تأسست في أواخر 1943[7] بتشجيع من المناضل سعيد ادريس المقيم بقسنطين[8]، إثر اجتماع سري بمنزل الهاشمي ونيسي تحت إشراف المناضل أحمد ميلودي[9]، ويعود الفضل في تأسيس هذه الخلية إلى الهاشمي ونيسي، الذي كانت تربطه علاقة صداقة ببعض مناضلي حزب الشعب الجزائري في بسكرة، من بينهم يوسف العمودي، وبفضل هذا الأخير تم الاتصال بحزب الشعب الجزائري، فوصله التكليف الرسمي بتأسيسها، وضمت الأشخاص الآتي الأسماءهم[10] :

الهاشمي ونيسي رئيسا.

والأعضاء هم[11]:

محمد بلحاج ميهي، البشير بن موسى[12]، أحمد ميلودي، عبد القادر العمودي، بلقاسم العمودي،

الشافعي قدادرة، المولدي[13] ونيسي[14].

ويذكر أن محمد بلحاج ميهي كان مسؤولا عن الشؤون المالية، وجمع الاشتراكات والتبرعات[15]، وعبد القادر العمودي نائبا له[16]، وبمجرد تأسيس هذه الخلية اتصل أحمد ميلودي بقسمة بسكرة لإطلاعهم على ذلك[17]، هذا وقد توسعت الخلية بانضمام عدد من المناضلين من بينهم[18] :

الكيلاني الأرقط[19]، بلقاسم عدوكة، محمد سلطاني[20].

أمّا عن المهام الموكلة للخلية فتمثلت في :

- استقبال المناشير التي تحمل الأفكار الواجب نشرها في الأوساط الشعبية.

- التكوين السياسي، وتجنيد المناضلين الجدد في الحزب، وتأطيرهم ضمن خلايا جديدة عبر تراب المنطقة، وتوعيتهم من خلال الاجتماعات السياسية المنتظمة.

- مكافحة الاستعمار، وتفسير كلمة " الاستقلال "، التي تعني الحل الوحيد، الذي يخرجهم من الحالة المزرية التي يعيشها الوطن[21]. فكانت هذه الأهداف كفيلة برفع وتيرة التعبئة الشعبية نتيجة الكبت، والاضطهاد السياسي[22]، حيث استطاعت الخلية أن تزيد من عدد المتعاطفين والعاملين في مساندة القضية، هذا ما سرَّع في نشر الوعي السياسي، الذي زاد في عدد المناضلين، وجعل إقليم وادي سوف من الأقاليم، التي يراهن عليها لتقديم خدمات للحزب خلال نشاطه السري.

2 - الحزب الشيوعي بوادي سوف :

الحزب الشيوعي الجزائري نتاج الحزب الشيوعي الفرنسي، وهو ذو ميل نقابي[23] أكثر منه سياسي، وأسس إثر قرار مؤتمر فيلاربان (Villeurbane) سنة 1935 القاضي بإنشاء فرع للحزب الشيوعي الفرنسي بالجزائر، وعليه أخذ الحزب استقلاليته، وصار يعرف بالحزب الشيوعي الجزائري، وتشكلت له فروع بالجزائر، منها ما كان أعضاءه جزائريين، وفروع مختلطة[24]، ليبدأ العمل سنة 1936، منذ أن عوض الشيوعيون مطالبتهم باستقلال الجزائر، بالدعوة إلى التعاون الفرنسي الجزائري في إطار إتحاد فيدرالي بين فرنساوالجزائر[25]، ليبرز تأثيره جليا على الطبقات الشغيلة، عمالا وفلاحين، خاصة أثناء إضراب 1937، الذي قام به العمال الزراعيون في كل من عنابة وسكيكدة. لتزداد أهمية الحزب حينما وثق صلاته مع العلماء المصلحين، وبنشاطه في إطار النقابات وفي لجان الواجهة الشعبية[26]، فكان ذلك مشجعا للعديد من الناشطين بوادي سوف التقدم لتشكيل فرع للحزب بالإقليم، رغم التحفظات التي كان يبديها الجزائريون للشيوعيين[27].

أما على ممثليه في المنطقة نذكر منهم : ميسة محمد، السروطي العبسي[28]، عمار ميسة، بوهلال محمد الصادق، وهذا الحزب لم يكن له نشاط سياسي واضح، وإنما اقتصر عمله على تحقيق العدالة الاجتماعية بين السكان، وتحسين أوضاعهم المعيشية. ذلك من خلال ما كان يقوم به السيد العبسي في مراسلة الصحف، وطرح المشاكل خاصة ما كان يتعرض له العمال والتجار، فكان الحزب بمثابة المدافع عن الحقوق، حتى أن غالبية المنخرطين كانوا يتخذونه وسيلة للاحتماء به، هذا لم يمنع من وجود أعضاء كانت لهم ميول حزبية نابعة من قناعات فكرية. ذلك للثقافة التي كانوا قد تأثروا بها نتيجة تتبعهم للتطورات الحاصلة بالجزائر منذ اعتلت الجبهة الشعبية سدة الحكم، فكان ذلك منفذا هاما للعديد من هؤلاء للانخراط بالحزب الشيوعي، يضاف إلى ذلك أدبيات الحزب الداعية، لمناهضة كل أشكال الاضطهاد الاجتماعي، فكان ذلك مسلكا هاما للتنفذ، والمشاركة في رفع الغبن والاضطهاد. وكان مقر الحزب بساحة اليهود بالوادي[29] بمثابة الملاذ، مما كان يشكل بؤرة توتر للسلطة، حيث كان من الصعب المجاهرة بمثل هذه المواقف، لكن مع ذلك ظل المقر لمدة طويلة يمثل هاجسا يحدث قلقا مستمرا للسلطة ومواليها من السكان المسلمين الجزائريين.

أما عن طبيعة وظائف القائمين فكانوا متنوعي الوظائف، فمنهم العامل الحرفي والفلاح كغالبية الأعضاء في قمار، التي كان ينشط بها الحزب، وبعض الإداريين، لكن ما كان يميز أعضاء الحزب هو مزاولتهم التعليم بالمدارس الأهلية، هذا كان مؤهلا لمقدرة العديد منهم، لمواجهة السلطة مواجهة الند للند، من خلال لغة الخطاب، التي يوظفها أعضاء الحزب، وهي اللغة الفرنسية ذاتها. كما أن الحزب يمثل وسيلة من وسائل المواءمة النسبية، لمجارات السلطة الاستعمارية، قصد تمرير وحل بعض المشاكل لصالح السكان المسلمين الجزائريين. وعليه فإن الحزب شكل من أشكال التأقلم، الذي من خلاله ظهرت فئة واسعة النطاق، مما يمكن اعتبار الحزب الشيوعي، الحزب الأكثر انتشارا بين الأوساط السكانية، لما كانت تقدمه بطاقة العضوية لكثير من التجار المتنقلين[30].

3 – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

إن الأحداث الأليمة التي نتجت عن تفاعلات أحداث أفريل 1938 جعل الجمعية تعرف نوعا من الفتور نتيجة المراقبة الشديدة المطبقة على رموزها، فكان ذلك عاملا بارز في نشاط الجمعية الذي انحصر على جانب الإصلاح الوعظي والتعليم الحر من

خلال المدارس الحرة المنتشرة عبر تراب الإقليم، يضاف إلى ذلك السياسة العسكرية المطبقة على الإقليم مما حال بين النشاط والإفصاح به كما كان الحال قبل أحداث أفريل 1938.

4 – صدى حركة أحباب البيان والحرية :

تأسست حركة أحباب البيان والحرية في 14 مارس 1944[31] برئاسة فرحات عباس[32]، ومن أبرز أهدافها الدفاع عن البيان كمهمة عاجلة وأكيدة للحركة، ونشر الأفكار الجديدة للحركة[33]، فجاءت الحركة جامعة لكل التيارات المراهنة على فكرة الاستقلال والمثقفين الجزائريين من النخبة وحزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء المسلمين والكشافة والشباب وغيرها من المظمات والشخصيات الوطنية[34]، فكان ذلك مشجعا لتواجد هذه التشكيلة تبعا لما تصدره من جرائد كجريدة **"المساواة"**، وهي تصل باستمرار لوادي سوف، وكان السيد "مسعود خونه[35]" المسؤول عن توزيعها، هذا في إطار التعاون الذي كان قائما بين أفراد الحركة الوطنية من جهة، وأبناء المنطقة التي تربطهم علاقة الجوار، لكن ما يلاحظ على الصلة بين العاملين في الحركة الوطنية، وأحباب البيان هي في غالبها علاقة تعاطف. أما من كان يمثل هذا التيار نجد عبد القادر طليبة شيخ أولاد حمد[36].

ثانيا - أثار وانعكاسات مجازر 8 ماي 1945 على وادي سوف :

1 - مجريات الأحداث :

وبحسب رواية المجاهد الجيلاني طليبة حيث يقول : « وقعت أحداث 08 ماي 1945 وأنا في عمر العشر سنة حين كلفني والدي برفع العلم الجزائري فوق سطح البيت، لا أدري من أين جاء العلم كل الذي اتذكره أني تسلمته من عند والدي. كان هناك تجمهر غفير بحي أولاد أحمد يصل عددهم حوالي 150 أو 200 شخص من كل انحاء الوادي فلم يكن هذا التجمهر مقتصرا على أبناء العرش، ولا وجود للافتات أو أي نوع من الخُطب، كل الذي كان أناشيد تردد بالأفواه مع العود والدربوكة. وقد كُلّفت بإخراج الشاي والكوكاو من منزلنا إلى هؤلاء الشباب المتحمسين، لأنه من المعروف هنا بأولاد أحمد أن هذه الانتفاضة قد دعا لها والدي. استمرت هذه الأخيرة مدة ساعتين إلى حوالي 3 ساعات من فترة الضُحى[37]. »، كما يذكر لي الأستاذ طليبة بوراس القائم على تسيير متحف الجاهد بالوادي أن هناك مجاهد آخر تطرق لذكر الأحداث في وادي سوف[38]، وما انجر عنها من تبعات لم تقل صدى عن غيرها من الأقاليم في ربوع البلاد الجزائر قاطبة بحسب طبيعة المنطقة، وملابسات الوضع السائد آنذاك، والإمكانيات المتاحة، دون تجاهل طبيعة السياسة المنتهجة بالمنطقة والمتمثلة في النظام العسكري المطبق على الإقليم الصحراوي.

هذا ما زاد في حدت التفاعلات الحاصلة بالجزائر، ناهيك عن العزلة التي كان يعرفها الإقليم الذي ما لبث أن عان ساكنيه ويلات وعناء التنقل من وإلى الإقليم، لكن رغم ذلك استطاع بعض الغيورين والوطنيين أن يواكبوا الحدث بما توفر لديهم من إمكانيات على حجم المؤهلات الذاتية لسكان الإقليم.

ومن خلال الرواية يتضح لنا الاستعدادات المسبقة لتنظيم الأحداث من خلال العلم الذي أمر الجيلاني بتعليقه من قبل والده يضاف إلى ذلك التجمهر الذي قام بحي أولاد أحمد، وهذا لا يمنع من قيام تجمهرات مثيلة بربوع وادي سوف قاطبة للتعبير عن رغبة الفئات الشعبية في المطالبة بالاستقلال والتحرر من كل التبعات التي تمارسها فرنسا في حق الشعب الجزائري.

2 – آثار وانعكاسات 8 ماي 1945 على وادي سوف :

مجازر 8 ماي 1945 المنعرج الحاسم في تاريخ الحركة الوطنية عبر التراب الوطني[39]، بما في ذلك منطقة وادي سوف، إذ غداة تلك المجزرة قام الحاكم العسكري بالمنطقة باعتقالات عديدة ومداهمات، وألقى القبض على العديد من مناضلي التيارات السياسية من بينهم :

- السيد الهاشمي ونيسي عن حزب الشعب.
- الشيخ البشير بن بردي عن جمعية العلماء.

- السيد محمد سروطي (العبسي)[40] عن الحزب الشيوعي.
- السيد لخضر قدوري من الأعيان[41].

الشيخ عبد القادر طلبية عن حركة أحباب البيان[42].

وكلهم أبعدوا إلى الزاوية الكحلة[43]، وعين صالح في أقصى الجنوب بالقرب من غدامس، كترهيب وإخماد لأي حركة متوقعة[44]، ونتيجة للضغط الاستعماري على المناضلين اضطر أحمد ميلودي إلى اللجوء مؤقتا إلى تونس نظرا لظروفه السيئة[45].

ويروي الجيلاني طلبية في مذكراته قائلا : « وبعد يومين قامت الحكومة الفرنسية بجمع أبرز من ساهم في هذه الانتفاضة، أخذوا " قدور لخضر" و" عبد القادر طلبية " و" الهاشمي ونيسي " رحمهم الله من أولاد أحمد، و " شوشان سلطاني " من البياضة، كذلك اخذوا " محمد ميسة " من لعشاش و " بشير البردي " من تكسبت. لا أتذكر إن كانوا هؤلاء فحسب أم أن هناك شخص سابع تم أخذه معهم.

حبسوهم لمدة 15 أو 16 يوم بسجن الوادي ليأتي إلينا فيما بعد " سلطاني شوشان " يدق باب المنزل، وحينما خرجت إليه سلمني فراش ومخدة والدي وأخبرني أنه سيعود بعد يومين أو ثلاث، مع العلم أنه كان يعلم بأن والدي تم نفيه مع البقية إلى " الزاوية الكحلا[46] " عدا " سلطاني شوشان " أخرجوه من الحبس بعد البحث معه واستجوابه لمدة 15 يوما. جميع الناس كانوا يظنون بأنه تم قتلهم، ولكن بعد شهر أو أكثر بقليل وصلتنا رسائل من عند والدي تأكدنا من خلالها أنهم على قيد الحياة[47]. »

وخلاصة القول تكمن في كون الجزائر المستوطنة الفرنسية كانت وحدة سياسية واحدة تتفاعل وتتأثر تباعا دون انفصال جهة أو إقليم عن غيره، ذلك نتيجة السياسة الاستعمارية الواضحة في تعاملها مع كامل تراب المستوطنة، هذا ساهم في التفاعل المنسجم بين جميع المناطق والأقاليم بمواقعها شمالا وجنوبا، شرقا وغربا مع ضرورة مراعاة الأقاليم وقربها من مراكز التأثير من ناحية وطبيعة الظروف المتحكمة في ساكنة كل منطقة، لذلك نلحظ الفروق والتباين في مستوى الانفعالات والنتائج.

الخاتمة :

إن مظاهرات 8 ماي 1945 حدث بارز في مسيرة التطورات الحاصلة في تاريخ الحركة الوطنية والشعب الجزائري معا، لما كان لتلك الأحداث من انعكاسات على مسار التطورات السياسية الحاصلة بالجزائر المحتلة، فكان التفاعل متناغم بين كافة أطياف المجتمع الجزائري على مستوى كل الأقاليم دون استثناء. هذا ما جعل منطقة وادي سوف تساهم في تفعيل الوضع السياسي رغم الطابع العسكري الكابس على الأنفاس، بل كانت مظاهرات 8 ماي تأكيد على الحضور الدائم رغم الضربات المتكررة التي ما لبث المحتل يصطنعها بسبب أو من غير سبب دون الفصل في القرارات الواجب اتخاذها تجاه مجتمع صحراوي معزول طبيعيا عن ارجاء الجزائر الفسيحة، غير أن هذه العزلة الطبيعية لم تكن عائقا أمام التواصل السياسي وفق الهدف الموحد الذي يقوم على أساس الجزائر المستقلة.

هذا ما جعل الانعكاسات تتفاوت، لكنها كانت ذات ابعاد مشتركة في كامل ربوع البلاد المسلوبة الحرية والاستقال، وقد تمثلت في تضييق الحريات العامة والاعتقالات الجائرة مع النفي إلى مواقع غير آهلة بالحياة، ذلك للتدليل على شدة التسلط الممارس من قبل إدارة المحتل الفرنسي، الذي ما لبث أن يتعامل مع الجزائريين على أساس أهالي " أندجان ". (indigénats).

الهوامش :

[1] **محاضرة** ألقيت خلال اليوم الدراسي حول مجازر 8 ماي 1945 وانعكاساتها على الجنوب الجزائري، جامعةالشهيد حمّه لخضر الوادي ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، يوم 12 ماي 2015.

[2] محفوظ قداش : **تاريخ الحركة**، ج 2، ترجمة أحمد بن البار، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص ص 888 – 891.

[3] ولد سنة **1919 بالوادي**، أسس أول خلية لحزب الشعب1943، وشارك في انتخابات 1948، كلّف بشراء الأسلحة من طرف محمد بلوزداد، توفي سنة 2002. - **ينظر** علي عون : "المناضل الوطني الكبير أحمد الميلودي"، **أربعينية المناضل الوطني الكبير الفقيد أحمد ميلودي**، 3 فيفري2003،ص 2.

[4] ولد خلال 1925 بالوادي كان عضوا بارزا في حركة انتصار الحريات الديمقراطية، انضم للنظام المدني تحت إشراف بشير غربي، وألقي عليه القبض، وأعدم في أفريل 1957. - **ينظر** سعد العمامرة ، الجيلاني العوامر : **شهداء حرب التحرير بوادي سوف**، (د.ط)، مطبعة النخلة، الوادي، (د.س)، ص 92.

[5] ولد سنة 1925 بالوادي، أحد مجموعة 22 ومسؤولاً لمنظمة السريّة بجنوب قسنطينة، وادي سوف، بسكرة، الأوراس، النمامشة ومازال على قيد الحياة. - **ينظر** سعد العمامرة : " المجاهد عبد القادر العمودي أحد 22 مفجرّي الثورة التحريرية "، **مجلة القباب**، عدد خاص، الوادي، 2005، ص ص 46، 47.

[6] ولد سنة 1919 بالوادي كلّف بمهمة جلب السلاح للمنطقة للتحضير للثورة، توفي سنة1962، واسمه الحقيقي البشير ميهي. - **ينظر** علي بوصبيع العايش : " الرجل الذي مكّن ثورة التحرير من أول دفعة سلاح "، **جريدة الشعب**، العدد 13919، الجزائر، 23 مارس 2000، ص ص 10، 11.

[7] خضراء بوزايد : " الطريق إلى نوفمبر 1954"، **مجلة المصادر**، العدد 4، الجزائر، 2001، ص 195. – سعد العمامرة : " المجاهد عبد القادر العمودي "، مرجع سابق، ص46.

[8] محمد عباس : " من رواد الحركة الثورية بالوادي"، **جريدة الشروق**، العدد 671، الجزائر، 31 جانفي 2003، ص 7.

[9] سعد العمامرة، الجيلاني العوامر : المرجع السابق، ص 18.

[10] علي بوصبيع العايش : " قصة مجاهد "، **مجلة وردة الرمال**، الوادي، 2004، ص 13

[11] علي بوصبيع العايش : " الحركة الوطنية بوادي سوف "، **مدونة المحاضرات، الندوة الفكرية الرابعة للأمين العمودي**، أيام 30 أفريل إلى 03 ماي 1991، ص 8.

[12] ولد سنة 1917 بالوادي كان عضوا بارزا في المنظمة الخاصة بالمنطقة توفي في أفريل 1957. - **ينظر:** سعد العمامرة، الجيلاني العوامر : المرجع السابق، ص91.

[13] ولد سنة 1924 بالوادي كان من الأعضاء البارزين للمنظمة الخاصة، ساهم في عملية التسليح للثورة.- **ينظر:** سعد العمامرة، الجيلاني العوامر : نفس المرجع ، ص 91.

[14] علي بوصبيع العايش : " الرجل الذي مكن ثورة التحرير من أول دفعة سلاح "، المقال السابق، ص 10.

[15] علي بوصبيع العايش : نفس المرجع، ص 10.

[16] خليفة قعيد : " ظروف انبعاث ثورة نوفمبر 1954 بالوادي "، **جريدة النهار**، الجزائر، 1نوفمبر 1994.

[17] محمد عباس: المرجع السابق، ص7.

[18] علي بوصبيع العايش : "الحركة الوطنية بوادي سوف"، المرجع السابق، ص8.

[19] ولد سنة 1920 بالوادي من أعضاء المنظمة الخاصة توفي 1956. - **ينظر:** سعد العمامرة، الجيلاني العوامر : المرجع السابق، ص64.

[20] ولد سنة 1914 بالوادي، ويدعى شوشان سلطاني، من أعضاء المنظمة الخاصة استشهد في أفريل 1957. - **ينظر** سعد العمامرة، الجيلاني العوامر : نفس المرجع، ص 108.

[21] علي بوصبيع العايش : "قصة مجاهد"، المرجع السابق، ص 13.

[22] محفوظ قداش : **تاريخ الحركة**، ج 2، ص 888..

[23] شارل أندري جوليان : **إفريقيا الشمالية تسير**، ترجمة محمد مزالي وآخرين، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976، ص 155.

[24] **Centre d'Informations et d'Etudes, N°** 1016,C. I. E au Prefe 04 November 1941, Archives Historiques, Willaya de Constantine. Notes : - ينظر عبد الكريم بو صفصاف : **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية**، ط 1، دار البعث، قسنطينة، 1401 هـ/1981 م، ص 243.

[25] شارل أندري جوليان : **إفريقيا**، المرجع السابق، ص 156.

[26] عبد الكريم بوصفصاف : المرجع السابق، ص 243.

[27] عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون : **الكفاح** القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة الفترة الثانية 1936 – 1945، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص 190 – 192.

[28] سعد العمامرة، علي عون : المرجع السابق، ص5.

[29] وتعرف عند العامة برحبة اليهود، وهي الآن تدعى ساحة فلسطين.

[30] **حوار** مع السيد عبد الرحمان سالمي بزاوية سيدي سا لم، مرجع سابق.

[31] عبد الكريم بو صفصاف : المرجع السابق، 264.

[32] محفوظ قداش : **تاريخ الحركة**، ج 2، ص ص 883، 884.

[33] فرحات عباس : **ليل الاستعمار**، ترجمة فيصل الأحمر، سلسلة الترجمات، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، لمستك، الجزائر، 2010، ص 141.

[34] عبد الكريم بو صفصاف : المرجع السابق، 264.

[35] **حوار** مع السيد مسعود خونة، وهو مسعود لمسقم، كان يشغل وظيفة نادل بمقهى بوجمعة مقر حزب الشعب يالوادي، تم الحوار بمتحف المجاهد بالوادي صبيحة يوم : الأحد 07 ربيع الأول 1429هـ الموافق 13 أفريل 2008.

[36] الجيلاني طليبة : **مذكرات المجاهد طليبة الجيلاني**، (مخ)، متحف المجاهد، الوادي، ص 3. نسخة قيد المراجعة والتحقيق.

[37] الجيلاني طليبة : نفس المصدر، ص 3.

[38] **حوار** مع الأستاذ طليبة بوراس، صبيحة يوم 03 ماي 2015، بمتحف المجاهد بالوادي

[39] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية**، ج 2، مرجع سابق، ص ص 223 – 252. – محفوظ قداش : **تاريخ الحركة**، ج 2، ص 953.

[40] ولد في 1914 بالوادي، انظم لحركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1948، توفي في أفريل 1957.- **ينظر** سعد العمامرة، الجيلاني العوامر : المرجع السابق، ص 85.

[41] علي عون : "مساهمة وادي سوف في تفجير الثورة بالسلاح والعتاد والرجال"، المرجع السابق، ص 24.

[42] الجيلاني طليبة : المصدر السابق، ص 5.

[43] وهي برج عمر إدريس حالياً بإليزي.

[44] تقرير الأمانة الولائية للمجاهدين بالوادي : **الملتقى الأول لولايات الحدود**، ولاية الطارف، (د. ت)، ص 7.

[45] محمد عباس: **فرسان الحرية شهادات تاريخية**، دار هومة، الجزائر، 2003، ص 7.

[46] الزاوية الكحلة معتقل صحراوي بمنطقة رقان بالصحراء الجزائرية.

[47] الجيلاني طلبية : المصدر السابق، ص 4.

قراءة في النضال النقابي والسياسي للإتحاد العام للعمال الجزائريين على المستويين الداخلي والخارجي

إبان الثورة التحريرية 1954–1962

د.غيلاني السبتي (جامعة باتنة1)

أ.فالتة فيصل (طالب دكتوراه السنة الثانية تاريخ حديث ومعاصر– جامعة باتنة1)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخص

لقد فتح مؤتمر الصومام الباب واسعا لمختلف التنظيمات الفاعلة على الساحة السياسية الجزائرية ليدعم بها الثورة التحريرية المجيدة ومن هذه التنظيمات الإتحاد العام للعمال الجزائريين؛ الذي كان عبان رمضان يعرف جيدا الدور الذي لعبته الطبقة الشغيلة في الحركة الوطنية بقيادة عيسات إيدير، هذا الأخير الذي ساهم بدور لايستهان به في توحيد صفوف العمال الجزائريين وكان الهدف منه،هو توحيد القوى الاجتماعية داخل حركة نقابية قوية تكون سندا قويا للثورة التحريرية على المستويين الداخلي والخارجي.

الكلمات المفتاحية: العمال الجزائريين المهاجرون– مصالي الحاج– الثورة التحريرية – مؤتمر الصومام– عيسات إيدير

Le Résumé

Le congré de la somame a ouvert toutes ses grandes portes pour les divers organisations intervenant sur la scène politique algérienne pour soutenir leur révolution de la libération et parmi les organisations l'Union générale des travailleurs algériens.

Abane Ramadan le leadeur de la somame connu bien le rôle joué par la classe ouvrière conduit par Aissat Idir, ce dernier qui a joué un rôle très important pour unir les rangs des travailleurs Algériens et visait à unir les forces sociales au sein de la puissante mouvement syndical d'être un fervent partisan de la révolution de libération sur les niveaux internes et externes.

مقدمة:

نعم ما أحوجنا إلى الحديث عن ثورة الأول من نوفمبر 1954 ومنجزاتها وقيادتها وتنظيماتها؛هذه الثورة التي فجرت الركود وقاومت الاضطهاد والطغيان واستطاعت أن تحقق الاستقلال الذي لم يكن للكثير من المراقبين – حلفاء فرنسا– يؤمنون بإمكانية تحقيقه.

إن ثورة الأول من نوفمبر 1954؛ دخلت التاريخ من أوسع أبوابه، وأثارت اهتمام جماهير العالم عامة والعالم الثالث على الخصوص ،فقد كانت الجماهير العربية تتابع باندهاش وإعجاب وفرح غامر انتصارات الثورة الجزائرية،التي ثارت ضد قوات الاحتلال الفرنسي المدعمة من طرف قوات الحلف الأطلسي.واستطاعت هذه الثورة أن تجمع شمل الجزائريين وتعيد لهم الثقة بأنفسهم ؛هذه الثقة التي جعلتهم يصمدون أمام أساليب الاحتلال الفرنسي،وقد عززت لديهم الحرص على الوحدة الوطنية ورفض أية حلول للنيل من هذه الوحدة،وعلى هذا الأساس جاءت هذه الدراسة لتوضح الدور البارز الذي لعبه الإتحاد العام للعمال الجزائريين في دعم الثورة التحريرية سواء على الصعيد الداخلي بتنظيم إضرابات لإضعاف الاقتصاد الفرنسي أو على الصعيد الخارجي بانخراطه في مختلف تنظيمات العمال سواء على مستوى المغرب العربي أو الدولي لإسماع صوت الثورة وإيصالها إلى أروقة الأمم المتحدة ومحاولين الإجابة عن سؤال رئيسي وهو: ما هو الدور الذي لعبه الاتحاد العام للعمال الجزائريين من أجل تدويل القضية الجزائرية؟

مبرزين في ذلك الأعباء التي تحملتها الطبقة الشغيلة لمساعدة الثورة التحريرية والوقوف إلى جانبها وخاصة أثناء إضراب الثمانية أيام الشهير الذي دعت إليه لجنة التنسيق والتنفيذ المنبثقة عن مؤتمر الصومام سنة 1956ومدى استجابة هذه الطبقة لنداء الإضراب الذي وصل صيته إلى العالم وخاصة منظمة الأمم المتحدة.

وسنركز في هذه الدراسة على جملة من المحاور وهي كالتالي :

1- إرهاصات ظهور العمل النقابي في الجزائر.

2- دور النقابات العمالية الجزائرية في الحركة الوطنية.

3 - تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين وردود الفعل الفرنسية على تأسيسه.

4-نضال ونشاط الاتحاد العام للعمال الجزائريين على المستويين الداخلي والخارجي

أولا:إرهاصات ظهور العمل النقابي في الجزائر.

قبل أن نغوص في موضوعنا هذا سنعطي تعريفا شاملا للعمل النقابي كما عرفه العلماء السسيولوجيون،حيث عرفوا النقابة العمالية بأنها مجموعة من العمال تربطهم مهنة أو أكثر، تكفلوا بتكليف من زملائهم للدفاع عن مصالحهم ورعايتها من الناحية الاقتصادية والاجتماعية سواء من حيث الأجور وتحسين ظروف العمل والتكوين والحق في الضمان الاجتماعي وتوفير متطلبات الحياة الاجتماعية للعامل. (1)

على ضوء ما تقدم يقودنا هذا التعريف إلى طرح التساؤل الآتي:ما هي العوامل والظروف التي أثرت في العامل الجزائري لينخرط في التنظيم النقابي من أجل تحقيق مصالحه الاقتصادية والاجتماعية في ظل الاحتلال الفرنسي ؟

فالجواب نستشفه من أوروبا الغربية ،حيث كانت الطبقة الشغيلة فيها تبحث لها عن من يوصل انشغالاتها إلى البرلمان نتيجة لانتقال البنية الاجتماعية الاقتصادية في بلدان أوروبا الغربية إلى بنية اجتماعية رأسمالية سنة 1720،انطلاقا من هذه السنة ظهرت أول نقابة عمالية في بريطانيا العظمى تدافع عن حقوق عمال الخياطة،سرعان ما تسعت رقعة العمل النقابي في هذا البلد ليصبح منظمات نقابية ازدادت قوة وانتشارا. (2)

أما الحركة النقابية في الجزائر فقد ظهرت سنة 1878،ويرجع فضل تأسيسها إلى عمال الطباعة الحجرية والمعادن،ومنذ ذلك الوقت سلكت الحركة النقابية في الجزائر طريقها في الاتساع ،حيث في سنة 1901،يوجد 101 تنظيم نقابي منه 49 في الجزائر العاصمة و30 في وهران و22 في قسنطينة ،ليقفز العدد إلى 241 تنظيم نقابي سنة 1911 منه 126 في مدينة الجزائر العاصمة و61 في وهران و54 في قسنطينة. (3)

كما لا يفوتنا أن نشير إلى أن هذه النقابات هي التي تتكفل بحق الدفاع عن حقوق العمال وكذا الحريات النقابية فيما يخص ساعات العمل اليومية وتصنيف الأجور وكذا حق الاستفادة من العطل مدفوعة الأجر والحق في التعويض عن حوادث العمل والتقاعد والشيخوخة. (4)

عند ملاحظتنا لهذه الأرقام التي تؤكد لنا عدد النقابات الموجودة إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر نجدها مهمة للغاية،حيث يكرس هذا التواجد النقابي في مختلف أروقة العمل؛ الدليل على إيلاء أرباب العمل أهمية بالغة لحقوق العمال لكن السؤال الذي نطرحه في هذا الموضوع ،أين موقع الجزائريين من كل هذه النقابات العمالية ؟

اتفق المؤرخون على أن الجزائريين نظرا لعددهم القليل العامل في المصانع والورشات لم يكن لهم تمثيل نقابي مقارنة بالمستوطنون الأوربيون المهيمنون على كل قطاعات الشغل في الجزائر وبالتالي لم يقوموا بإشراك العامل الجزائري ضمن هذه

النقابات التي بقيت حكرا على الفئة التي سبق وأن ذكرتها، ويبدو كذلك أن هذه الفئة استقوت بالقوانين الجزرية المستمدة من القانون الأم وهو قانون الأهالي الذي يمنع تأسيس تنظيمات وجمعيات مهما اختلفت نوعية نشاطاتها. (5)

لكن مع ازدياد عدد المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا الباحثين عن فرص العمل بشكل ملفت للانتباه وخاصة بين الحرب العالمية الأولى والثانية ،أتاحت الفرصة لحزب نجم شمال إفريقيا القيام على توعية العمال الجزائريين –الذين كانوا يشكلون قوة مؤثرة في الأوساط العمالية الفرنسية خاصة والأوروبية عامة–، بأن مصالحهم المهنية لايمكن الدفاع عنها بصفة انفرادية فيتوجب عليهم الانضمام والانخراط في صفوف الكونفيدراليات العامة للعمال الفرنسيين لأن ما يتحقق لهم من حقوق لا بد أن يعمم أيضا على العامل الجزائري. (6)

لا يفوتنا هنا أن نشير كذلك إلى أنه في سنة 1925 أسست مجموعة من العمال المغاربة فرعا نقابيا منبثقا عن عمال شمال إفريقيا ،هذا الفرع كان بالضرورة تحت وصاية الحزب الشيوعي الفرنسي وقد حضر هذا التأسيس عدد من العمال الجزائريين الشباب الذي كانوا منخرطين في صفوف الكونفدرالية العامة للعمال كما أسلفت الذكر وأذكر من بين الحاضرين الجزائريين سي الجيلالي وبوقروط. (7)

وقد ساهمت الكنفدرالية التي سبقت وأن ذكرتها في توعية النقابات العمالية الفرنسية الشيوعية لطرح مشاكل وانشغالات العمال المهاجرين من شمال إفريقيا مهضومي الحقوق من طرف أرباب العمل سواء كان التعسف في استعمال السلطة كالطرد التعسفي أوالتمييز العنصري الذي يتعرض له هؤلاء العمال وقد استحسن الجزائريون ما تقوم به الكنفدرالية لصالحهم فانخرطوا فرادى وجماعات في هذه الأخيرة ولم يفوت الجزائريون فرصة المطالبة باستقلال الجزائر.

ثانيا: دور النقابات العمالية الجزائرية في الحركة الوطنية.

بعد تأسيس الحزب الشيوعي الجزائري في سنة 1936 ،– بطبيعة الحال تحت غطاء الحزب الشيوعي الفرنسي إذا نظرنا إلى المنخرطين فيه من المستوطنين الأوروبيين– انبثق من هذا الحزب عدة منظمات وجمعيات شيوعية من بينها الكنفدرالية العامة للعمال التي أُسست من طرف مجموعة من العمال المستوطنين والمسلمين الجزائريين العاملين بالموانئ والسكك الحديدية والمناجم . (8)

لقد لعبت هذه الكنفدرالية العامة للعمال دورا كبيرا في التنشيط النقابي و كذلك في النشاط السياسي الذي كان يقوم به الحزب الشيوعي آنذاك، وقد لعبت كذلك دورا إعلاميا لايستهان به،حيث أُسست جريدة العمال الجزائريين التي كانت تنشر أعمدة ومقالات موجهة للعمال الجزائريين تشرح فيها الحقوق والواجبات الخاصة بهم إضافة إلى فضح سياسة الاحتلال على صفحات هذه الجريدة ونتيجة لهذه الأنشطة النقابية التي يقوم بها النقابيون تعرض هؤلاء النشطاء إلى السجن والتعذيب والمطاردات البوليسية ونذكر عل سبيل المثال لا الحصر ما تعرضت له السيدة بلانش موان Blanche Moine أمينة لجنة التنسيق النقابية لمدينة الجزائر التي ألقي عليها القبض في 27 مارس 1952 بعد إضراب عمال المحلات التجارية ببلكور وزج بها في سجن بربروس. (9) فكانت مساهمة الكنفدرالية العامة للعمال في الأعمال السياسية والنقابية داخل الحزب الشيوعي فعالة للغاية وخاصة مشاركتها في المؤتمرات العالمية التي كانت تعقد في الجزائر وفي الخارج طارحة مشاكل العمال في هذه الملتقيات وخاصة فيما يتعلق في حق الإضراب والمساواة في الأجور ونبذ التمييز العرقي والعنصري واستقلالية الثقافة

الإسلامية والمساواة بين طبقات المجتمع،ولكن هذه المطالب قابلها الحزب الشيوعي الفرنسي بنوع من الازدراء اتجاه العمال الجزائريين،مما أدى إلى التراجع الشعبي لهذه الكنفدرالية التي يسيطر عليها الحزب الشيوعي الفرنسي كما سلفت وأن قلت. (10)

على إثر هذا التراجع الشعبي في الانخراط في النقابات العمالية التي يسيطر عليها الحزب الشيوعي الفرنسي والمبنية على أساس عنصري ؛تفجر الوضع في 8ماي 1945 إثر الانسحاب الجماعي للعمال الجزائريين من التنظيمات النقابية الفرنسية، مما يوحي بأن العمال الجزائريين المنخرطين في هذا التنظيم كانوا يعاملون معاملة عنصرية على أساس أن العمال الأوروبيين يشكلون طبقة أرستقراطية على حساب العمالة الجزائرية. (11)

كان الصراع النقابي –إن صح التعبير– بين العمال الجزائريين والعمال الأوروبيين قد ولّد لدى العمال الجزائريين فكرة ممارسة النشاط السياسي في إطاره النقابي الذي لايمكن بأي حال من الأحوال ممارسته داخل الأحزاب السياسية الفرنسية فباشروه داخل الأحزاب السياسية الجزائرية. (12) وخاصة بعد الانقسامات التي عرفتها حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية منذ سنة1953 الذي أوقف فيه مصالي الحاج تمويل اللجنة المركزية بالأموال ازداد الوضع سوءا بعد أن ظهر إلى العلن الصراع الدائر بين المركزيين والمصاليين بعد تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل التي سعت للتوفيق بين المتنازعين في حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية ولم تفلح هذه اللجنة في ذلك ؛فلجأت إلى الخيار الذي تبنته في حالة فشلها،فكان نتيجة ذلك اندلا ع الثورة التحريرية في الأول من نوفمبر 1954. (13)

ربما هذا الصراع الحزبي استغله مصالي الحاج معنويا من جهة أخرى ليستفيد من اندلا ع الثورة التحريرية الجزائرية، جراء اعتقاد السلطات الفرنسية أنه وراء هذا التفجير كما لعب الإعلام الفرنسي والغربي دوره في تضخيم هذا الخبر الذي وصل إلى مسامع العمال المهاجرين الجزائريين في فرنسا،الذين رحبوا باندلا ع الثورة وأيدوها بانضمامهم إلى الحركة الوطنية الجديدة التي أسسها مصالي الحاج بعد أن حل القضاء الفرنسي حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية في اعتقاده أن الحركة وراء تفجير الثورة التحريرية، فازدادت ثقة العمال المهاجرين الجزائريين بمصالي الحاج. (14) فاستغل هذا الأخير هذا الولاء المطلق الذي منحه له إياه العمال المهاجرين الجزائريين فأسس الاتحاد النقابي للعمال الجزائريين ،هذا الأخير يقوده جزائريون دون غيرهم وهدفه الدفاع عن الحريات الديمقراطية وحقوق الإنسان. (15)

ويجب أن نشير كذلك إلى أن تجسيد مسعى إنشاء نقابة وطنية حرة كان في أفريل 1953 إثر انعقاد مؤتمر حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية الذي صادق فيه على اللائحة التي تطلب بإنشاء هذه النقابة . (16)

لكن السبق السياسي الذي حققه زعيم الحركة الوطنية مصالي الحاج عند تأسيسه للحركة النقابية لم يلبث طويلا والسبب في ذلك تمرد العمال الجزائريين عليه وانسحابهم من التنظيم النقابي المصالي وربما هذا راجع إلى ندلا ع الثورة التحريرية الجزائرية سنة 1954 وحرص قيادتها على تدعيم قواعدها بتأطير العمال الجزائريين سواء في الداخل أو الخارج وهذا لتجنيدهم في معركة التحرير بكل ما يملكونه من طاقات مادية وبشرية ومالية وتنظيمية. (17)

ومن هنا أصبح العمال الجزائريون تحت طائلة تنظيمين مختلفين في الرؤى والقوانين فمن جهة أن جبهة التحرير الوطني تعتبر نفسها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري ومن جهة أخرى مصالي الحاج يعتبر نفسه زعيم الحركة دون منازع ولابد أن يخضع له الجميع فوجد العمال الجزائريون أنفسهم بين المطرقة والسندان ،ونتيجة للصراع السياسي والنقابي الذي عرفته

جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية بزعامة مصالي الحاج ؛ضعفت الحركة النقابية المصالية وانهار نشاطها نظرا للتلاحم التام مع ثورة نوفمبر في الداخل والخارج وكانت قائمة هذا الصراع كبيرة جدا من الجهتين، حيث نتج عنها مايقارب عشرة آلاف قتيل. (18)

وبعد أن اندثرت المنظمة النقابية المصالية وانضمام أعضائها إلى التنظيم الجديد الاتحاد العام للعمال الجزائريين تحت غطاء جبهة التحرير الوطني وجناحه العسكري جيش التحرير الوطني ،وبطبيعة الحال لايخفى على أحد، فقد كان الجزائريون بصفة عامة والعمال بصفة خاصة يبحثون عن متنفس جديد يقودهم إلى معركة التحرير الحقيقية التي وجدوها في الجبهة ؛فلعب التنظيم النقابي الجديد دور لا يستهان به خلال مراحل التحرير الكبرى. (19)

ثالثا: تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين وردود الفعل الفرنسية على تأسيسه.

بعد الصراع الذي عرفته جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية بقيادة مصالي الحاج كما سبق وأن أسلفت والذي كانت نتائجه خسائر كبيرة في الأرواح من الجهتين،على هذا الأساس عقد عبان رمضان رفقة بن يوسف بن خدة سلسلة اجتماعات مع بوعلام بورويبة وعيسات إيدير إطارات نقابية في السكك الحديدية ومن سلك التعليم نذكر منهم علي يحي عبد النور والطاهر أوصديق ومولود قايد المدعو رشيد معلم اللغة العربية،وقد خرج الجميع بقرار تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين في 24 فيفري 1956 بقيادة الإطار النقابي عيسات إيدير (20) ،ويرى عامر رخيلة أن تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين جاء كرد فعل على الحركات والنقابات العمالية الفرنسية هذه الأخيرة التي تستبعد الاستقلال الوطني وتدعو إلى سياسة الإدماج السلبي الانتهازي. (21)

وقد لعب هذا التنظيم العمالي الجديد تحت قيادة عيسات إيدير دورا كبيرا في تنظيم الطبقة الشغيلة في الجزائر لخدمة الثورة التحريرية وذلك من خلال إضرابات ناجحة وخاصة منها إضراب 5 جويلية 1956 الذي استجاب له العمال الجزائريين المنطوين تحت قيادة الاتحاد العام للعمال الجزائريين وقد أعطى هذا الإضراب درسا للسلطات الفرنسية بخصوص التفاف الشعب الجزائري حول قيادته وثورته ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر. (22)

وعلى ذكر الدور الذي لعبه هذا الاتحاد على المستوى السياسي والاجتماعي من خلال الإضرابات التي نظمها بالمطالبة بالاستقلال وفضح الجرائم البشعة التي يقترفها كل من الجيش وأجهزة الأمن الفرنسية باسم الشعب الفرنسي والطبقة العاملة الفرنسية للرأي العام الفرنسي والدولي ، وقد طالب عيسات إيدير باستبدال الاقتصاد الإمبريالي الفرنسي بالاقتصاد الوطني القادر وحده على حل المشاكل المقلقة التي يتخبط فيها العامل الجزائري مع تأمين أفضل شروط الحياة لجميع الجزائريين من خلال:

- راتب الحد الأدنى اجتماعيا ووطنيا يطبق على جميع العمال دون أي تمييز مع تنظيم ساعات العمل على أن تكون 48 ساعة أسبوعيا.
- التعويضات العائلية والتأمينات الاجتماعية لجميع العمال مع تطبيق النظام الأفضل
- وظيف عمومي جزائري
- حق العمل للجميع

– وقف الهجرة الأجنبية [23]

وربط الاتحاد العام للعمال الجزائريين بقيادة زعيمها عيسات إيدير إصلاح الحالة الاجتماعية باستقلال الجزائر الذي سيحدث توازنا في العلاقات مع المستوطنين الأوروبيين ونموا وتطورا من أجل المصلحة الوطنية واستثمار الموارد الطبيعية للجزائر التي ستعود بالتأكيد بالفائدة على الجزائريين بصفة عامة،ورسم كذلك الاتحاد تحت توجيهات وقيادة جبهة التحرير الوطني لنفسه خطة سياسية ودبلوماسية لإيصال صوت الشعب الجزائري ومعاناته من الاحتلال الفرنسي بانضمامه إلى الاتحاد الدولي للنقابات الحرة ،وبالفعل قد حصل على الدعم المتواصل في نضاله ضد الاحتلال الفرنسي بمختلف المحافل الدولية. [24]

هذه النشاطات التي يقوم بها الاتحاد العام للعمال الجزائريين لم تلق ترحاب السلطات الفرنسية سواء العسكرية منها أو السياسية فكانت ردة فعلها قوية للغاية فقد تصرفت مع النقابيين ونشطاء الاتحاد بالقمع والزجر، فقد تعرض العديد منهم إلى الاعتقال والملاحقات البوليسية وهذا بعد 3 أشهر من تأسيس الاتحاد ،حيث اعتقل عيسات إدير بمعية 40 ناشطا نقابيا فتعرضوا لأبشع أنواع التعذيب دون تهمة تذكر ذنبهم أنهم يدافعون عن حقوق العمال الجزائريين المضطهدين ،وقد تعرضت أيضا قيادات نقابات عمال البريد وسكك الحديد والكهرباء والغاز ومعلمي المدارس إلى الطرد من مناصبهم إلى خارج البلاد. [25]

وقد بقي زعيم الاتحاد العام للعمال الجزائريين عيسات إدير في السجن بالبرواقية بعد اعتقاله في 23 ماي 1956 بسبب نشاطه النقابي ، ومنه نُقل إلى عدة محتشدات منها سان لو ،آفلو، بوسوي، ومن هذا الأخير نقل إلى العاصمة ليوضع بسجن بربروس. ومن التهم التي ألصقتها به سلطات الاحتلال تهمة ؛ النيل من أمن الدولة الفرنسية الخارجي.وفي يوم 13 جانفي 1959 أصدرت المحكمة العسكرية حكمها ببراءته.

لكن بالرغم من تبرئته فإنه لم يطلق سراحه وإنما نقل من جديد إلى محتشد بئر تراريا حيث تعرض لأبشع أنواع التعذيب وأقساها مما أضطر بإدارة المحتشد إلى نقله إلى المستشفى العسكري،أين لفظ أنفاسه الأخيرة فيه شهيدا في 26 جويلية 1959 متأثرا بالتعذيب المسلط عليه.

آثار اغتيال الأمين العام للاتحاد العام للعمال الجزائريين موجة واسعة من الاستنكار والسخط في أنحاء عدة من العالم. وقد وردت برقيات الاحتجاج والاستنكار من المنظمة العالمية للنقابات الحرة وجامعة النقابات العالمية والاتحاد العالمي للزراعيين والنقابيون العرب والنقابات الشيوعية الفرنسية،ولم تكتف هذه الهيئات بالاستنكار وإنما طالبت الحكومة الفرنسية بتسليط الضوء على الظروف الغامضة التي رافقت عملية استشهاده. [26]

على إثر هذه الجريمة البشعة التي راح ضحيتها زعيم الاتحاد العام للعمال الجزائريين عيسات إيدير،وصلت البعثة الدولية للأمم المتحدة إلى الجزائر،حيث وقفت على جرائم التعذيب التي تعرض لها النقابيون الجزائريون إثر زيارة تفتيشية قامت بها البعثة للسجون في الجزائر فاقتنع أعضاء البعثة بالمعاملة السيئة والتعذيب بواسطة التيار الكهربائي والتغطيس بالماء القذر والشنق .

وقد استمعت إلى اعترافات أحد المفتشين العاملين التابعين للإدارة الفرنسية الذي أكد أمام البعثة هذه الجرائم المرتكبة ضد النقابيين الجزائريين محل استنكار لاذع طال السلطات الفرنسية على صفحات المجلة الفرنسية "لوفيقارو" والغريب في الأمر أن المحامين الجزائريين والأجانب الذين تطوعوا للدفاع عن هؤلاء المعتقلين هم أنفسهم قد سجنوا في المعتقلات. (27)

ولم تسلم الصحافة العمالية التي تعبر عن مواقف وأراء الاتحاد العام للعمال الجزائريين من العقاب ،فقد صُدرت جميع الأعداد التي تصدرها صحيفة العامل الجزائري ،وتوقيف صحيفة (عمال الجزائر) عن الصدور ،كما سُلبت عقارات الاتحاد العام للعمال الجزائريين ونُهب جميع ما فيها وصودرت أموالها التي بلغت 450.000 ألف فرنك فرنسي وأغلقت جميع مقرات النقابات العمالية في الجزائر بواسطة القوات العسكرية الفرنسية في فيفري 1957. (28)

ونتيجة لهذه الأعمال القمعية والوحشية التي تقوم بها السلطات الفرنسية في الجزائر في حق العمال الجزائريين بصفة عامة وممثليهم بصفة خاصة،قام الرئيس الفرنسي رينيه كوتيه بزيارة الجزائر في سنة 1958 لرفع معنويات الجزائريين بخلق فرص عمل للشباب الجزائري ،وهذا بطبيعة الحال لامتصاص غضبهم والقضاء على الدعم الشعبي لجبهة التحرير الوطني وضعف شوكتها،لكن الجزائريون رفضوا كل تسوية على حساب إضعاف قدرات ثورتهم التحريرية ،وبالمقابل على الرغم ما تعرضت له قيادات الاتحاد العام للعمال الجزائريين من تعذيب وزج في السجون ،إلا أن الاتحاد رص صفوفه لخدمة الثورة . (29)

انتقاما لفئة العمال الجزائريين المضطهدين في عقر دارهم –الجزائر– ،نقلت جبهة التحرير الوطني الحرب إلى فرنسا واستطاعت أن تستقطب من حولها عدة شخصيات ثقافية وفكرية فرنسية ساعدت المناضلين الجزائريين على أداء واجبهم النضالي فوق التراب الفرنسي طيلة ثورة التحرير ،وقد لعب الاتحاد العام للعمال الجزائريين دوره الكامل لضرب الأهداف الفرنسية في عقر دارها بدقة وأحكام من خلال المشاركة في العملية الجريئة التي قام بها كل من عيساوي وابن صدوق وابن موهوب في إعدام العميل شكال في وضح النهار وهو إلى جانب الرئيس الفرنسي، هذا الأخير لم يمس بسوء (30)

إضافة إلى الإضرابات التي تنظمها جبهة التحرير الوطني في فرنسا و الاشتراكات التي كانت تجمعها لفائدة الثورة التحريرية والتي تقدر بالملايين وخير دليل على ذلك الشبكة التي يديرها فرانسيس جانسون المعروفة "بحملة الحقائب" التي يحمل أصحابها مئات الملايين شهريا لفائدة ثورة نوفمبر 1954. (31)

رابعا:نضال ونشاط الاتحاد العام للعمال الجزائريين على المستويين الداخلي والخارجي

1– نضاله ونشاطه على المستوى الداخلي

في الحقيقة أن الوضع في الجزائر كان صعبا للغاية ، حيث قامت السلطات الفرنسية بتصعيد عملياتها العسكرية ضد المواطنين العزل، وزادت في عدد قواتها بهدف القضاء على الثورة، فأنشأت مناطق محرمة ومحتشدات تمارس فيها أنواع القمع والتعذيب كوسيلة لجمع المعلومات، فقد كثفت حكومة غي موللي الاشتراكية من قواتها العسكرية المتواجدة بالجزائر ودعمتها بالعتاد الحربي والجنود الذين يُعدون بالآلاف، حيث أصبحت هذه القوات في عام 1956 تقدر بـ 400.000 جندي و100.000 دركي وأعوان الشرطة معززين بأحدث أنواع الطائرات والدبابات والأسلحة الحديثة الممنوحة من طرف الحلف الأطلسي بالإضافة إلى المدنيين الأوروبيين الذين أصبحوا يُشكلون مليشيات إرهابية متسلطة ضد المواطنين، يضاف إلى ذلك

الحملة الإعلامية الشرسة التي تشنها الصحافة الفرنسية بجميع اتجاهاتها من أجل تشويه كفاح الشعب الجزائري، معتمدة في ذلك على الكذب والتصريحات الملفّقة والمناشير المزوّرة المنسوبة إلى جيش وجبهة التحرير الوطني والمحررة تحت إشراف الوزير المقيم روبير لاكوست (ROBERT LACOSTE)، حيث سيطرت هذه الدعاية الإعلامية على الرأي العام الفرنسي وأصبحت شغله الشاغل [32].

ومما زاد في إصرار السلطات الفرنسية على وضع حد للثورة؛ الانتصارات الدبلوماسية التي حققتها الثورة التحريرية على الصعيد الخارجي والمتعلقة بتسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة العاشرة للأمم المتحدة في سبتمبر1956، وكذلك اللائحة التي صادق عليها مؤتمر باندونغ في أفريل 1955 التي تؤيد حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره بنفسه [33]. إدراكا منهم للأوضاع التي تعيشها الجزائر، وضرورة تصعيد العمل الثوري وإشراك جميع شرائح الشعب الجزائري في الثورة طبقا للمقولة الشهيرة لابن مهيدي "ارموا بالثورة إلى الشارع لكي يحتضنها الشعب"؛ اجتمع أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ يوم 22 جانفي 1957 في العاصمة مع قيادة الاتحاد العام للعمال الجزائريين ، من أجل تجسيد فكرة مشروع الإضراب الذي تبنته قيادة جبهة التحرير الوطني لأنه بالنسبة لهم هو الفرصة الوحيدة للشعب الجزائري ليعبّر من خلاله للاحتلال الفرنسي وللعالم أجمع بأن الجزائر ليست فرنسية، ويعبّر كذلك عن تضامنه الوطني للقضاء على الاحتلال واسترجاع السيادة الوطنية. [34]

وبعد المناقشات المستفيضة اتفق الحاضرون على تحديد الثامن والعشرون من شهر جانفي سنة 1957 كيوم للبدء في الإضراب،وذلك قبل فتح ملف القضية الجزائرية في نيويورك مقر الأمم المتحدة ،أما عن الأهداف المتوخاة من هذا الإضراب فيمكننا تلخيصها في الآتي:

1-تحقيق القطيعة النهائية بين نظام الاحتلال الفرنسي وبين الشعب الجزائري.

2- تجنيد الشعب الجزائري للمشاركة في الكفاح الجماعي والظهور أمام العالم على أنه مصمم في مواصلة الكفاح من أجل استرجاع استقلاله الوطني وأنه قد وحد كلمته وراء جبهة وجيش التحرير الوطني.

3-إعلام هيئة الأمم المتحدة بحقيقة وحشية الاحتلال الفرنسي، مما سيجعل هذه الهيئة تنظر بإمعان إلى القضية الجزائرية، بحيث ستجد نفسها أمام قضية من أعظم قضايا العصر.

4-إعطاء الثورة التحريرية طابعا شعبيا، حيث سيقدم الإضراب الدليل القاطع للرأي العام الدولي بصفة عامة والرأي العام الفرنسي بصفة خاصة على أن الممثلين الحقيقيين لغالبية الشعب الجزائري هم قادة جبهة وجيش التحرير الوطني . [35]

انطلق فعلا الإضراب في وقته المحدد، وشمل منذ اليوم الأول مختلف أنحاء القطر الجزائري، بحيث اعتصم الجزائريون في بيوتهم وتوقفت النشاطات المختلفة في المدن والقرى حتى أنها وُصفت من قِبل مراسل جريدة لوموند الفرنسية بأنها مدن ميتة. [36]

في اليوم الثالث من الإضراب تأكدت سلطات الاحتلال شمولية الإضراب عبر التراب الوطني،فلجأت إلى أساليبها القمعية المختلفة لتحطيمه،ومن بين هذه الأساليب؛ قيامها بتسخير العمال والموظفين عنوة للذهاب إلى أماكن عملهم ولكن دون جدوى، حيث التحقوا بمواقعهم لكنهم لم يقوموا بأي عمل يذكر، حتى التلاميذ الصغار الذين لبوا نداء الإضراب لم يسلموا من هذا الإجراء،حيث التقطتهم شاحنات قوات الاحتلال من الشوارع وذهبت بهم إلى المدارس، حيث وجد تلميذ المرحلة الابتدائية نفسه جالسا مع تلميذ المرحلة الثانوية، [37] ،كما قامت أيضا بحملة اعتقالات واسعة شملت الفقير والعامل الصغير والتاجر والحرفي والطبيب والمحامي والغني ..الخ، وهؤلاء يجمعهم هدف واحد ألا وهو استرجاع سيادة الجزائر.

بعد أن فشلت سلطات الاحتلال فشلا ذريعا في قمع الإضراب وإنهائه، لجأت إلى تسليط عقوبات صارمة ضد العمال المضربين،فأصدرت محاكم الاحتلال في حقهم أحكاما جائرة تتراوح بين ثمانية أيام وشهر؛ مع تعرضهم إلى الطرد من مناصبهم،وهناك من العمال والموظفين الذين ووضعوا تحت الإقامة الجبرية وآخرون تحت الرقابة القضائية. (38)

على الرغم من كل هذه الأساليب القمعية والوحشية التي مارستها سلطات الاحتلال طوال مدة الإضراب وبعده على العمال بصفة خاصة، إلا أنهم تمسكوا بمبدأ القطيعة النهائية بنظام الاحتلال الفرنسي،وهذا يؤكد لامحالة سقوط مقولة الجزائر فرنسية.

إن نجاح الإضراب على المستوى الداخلي زاد من عزيمة وقوة كفاح الاتحاد العام للعمال الجزائريين وهو يقرأ على صفحات الصحف العربية والدولية تكتب عن المساندة المطلقة التي دعمت الإضراب من طرف الأشقاء العرب في كل من تونس والقاهرة وسوريا والمملكة المغربية،إضافة إلى النصر الدبلوماسي الذي حققه في هيئة الأمم المتحدة التي ثبتت بالدليل القاطع أن المشكلة الجزائرية تعتبر من المشاكل التي تنطبق عليها مبادئ ميثاق الأمم المتحدة في حق تقرير المصير. (39)

2- نضاله ونشاطه على المستوى الخارجي

ردا على محاولات التعتيم التي يتعرض لها الاتحاد العام للعمال الجزائريين من طرف السلطات الفرنسية لخنق نشاطاته التي ساهمت فعلا في النضال التحرري ،هذه النشاطات التي يقوم بها النقابيون الجزائريون أقلقت فعلا سلطات الاحتلال ،وخاصة عندما نقلوا نضالهم خارج الوطن متضامنين مع النقابيين في تونس والمغرب وليبيا من أجل نضال مشترك. (40)

كما أسلفت وأن أن ذكرت أن الاتحاد ردا على هذه المحاولات الاستعمارية الفاشلة ،قام بإنشاء فروع له في كل من تونس والمغرب وفرنسا ،وبهذا استطاع أن ينخرط في الاتحادات النقابية العالمية وحضور المؤتمرات الدولية ،فاكتسب الشرعية الدولية منذ سنة 1959 (41) ،فقد كان الاتحاد العام للعمال الجزائريين حاضرا في جميع اللقاءات الدولية التي كان يدعى إليها للمشاركة فيها وكانت قيادته تحرص أشد الحرص على الحضور من أجل إسماع صوت الجزائر في المحافل الدولية ،ومن بين نشاطاته في الخارج ، شارك النقابي عبد القادر معاشو كممثل للاتحاد العام للعمال الجزائريين في مؤتمر طنجة بالمملكة المغربية الذي انعقد من 20 إلى 23 أكتوبر 1957 والذي تناول فيه المؤتمرون العديد من القضايا الهامة التي تهم شعوب المنطقة ومن أهمها قضية تحرير أقطار المغرب العربي تحريرا كاملا من جميع القيود التي تربطها بالاحتلال،وقد احتل هذا المؤتمر مكانة بارزة في تاريخ الحركة النقابية في المغرب العربي نظرا للموضوعات التي بحثها المجتمعون والذين أكدوا على تعزيز التضامن والعمل المشترك من أجل تحرير الجزائر من السيطرة الفرنسية (42)

لقد تعززت علاقات الاتحاد العام للعمال الجزائريين بالنقابيين التونسيين وخاصة بعد أن قرر الوفد الخارجي للاتحاد الاستقرار في تونس ،حيث خصص الاتحاد التونسي للشغل مقرا خاصا للوفد الجزائري لمواصلة نشاطاته ونضاله الوطني. (43)

ونظرا للمكانة التي يحضى بها النقابيون الجزائريون في الخارج وخاصة لدى الدول العربية فقد عبر الاتحاد المغربي للشغل عن تضامنه مع الثورة الجزائرية وتأييده لكفاح النقابيين الجزائريين وقد جعل من الفاتح ماي 1957 عيدا لوحدة الشمال الإفريقي عقد خلاله تجمعا حافلا بالدار لبيضاء بحضور وفد من الاتحاد العام للعمال الجزائريين الذي حضي بترحيب الملك محمد الخامس وهو يفتتح هذا المهرجان ،وقد قام الاتحاد المغربي للشغل بمظاهرات واسعة من أجل مساندة الجزائر في كفاحها ضد الاحتلال الفرنسي. (44)

بعد لقاء طنجة الذي أشرنا إليه آنفا اجتمعت الحركات النقابية في بلدان المغرب العربي في جنيف السويسرية يومي الثامن والتاسع من مارس 1958 حيث تناول القادة النقابيون الأوضاع الراهنة في المغرب العربي وأهمها القضية الجزائرية وبذلك اقتحم

الاتحاد العام للعمال الجزائريين الساحة الدولية وأخذ مكانته فيها ،حيث تدعمت وأرتكزت بفضل الدعم المادي والمعنوي للحركات النقابية المغاربية المساندة له على الصعيد الإقليمي والدولي ،وقد كان لقاء جنيف متشددا إزاء القضية الجزائرية ،حيث خرج بتوصيات هامة تخدم القضية الحزائرية من أهمها:

إجماع القادة الأربع على إتهام الاتحاد الحر بالتقصير تجاه القضية الجزائرية وعدم إدانته للأعمال الإجرامية التي تقوم بها فرنسا في الجزائر. [45]كما وحدت القضية الجزائرية جهود الحركات النقابية المغاربية ضد فرنسا ،ازدادت صور التضامن مع الشعب الجزائري في كفاحه ضد الاحتلال الفرنسي من خلال مؤتمر النقابات المغاربية في مؤتمرهم الثالث في اصفاقص التونسية ،والذي شارك فيه الاتحاد العام للعمال الجزائريين وقد نُظم هذا المؤتمر في 6 أوت 1961 ،حيث تدارس المؤتمرون الأوضاع المزرية التي يمر بها الشعب الجزائري من جراء الجرائم الوحشية التي ترتكب ضده من طرف الاحتلال الفرنسي وقد خرج المؤتمرون بتوصيات هامة تخدم الأقطار المغاربية الأربعة منها :

– عزم الطبقة العاملة في الأقطار المغاربية الأربعة على مواصلة الكفاح المسلح لتحرير المغرب العربي الكبير تحريرا كاملا وتخليصه من جميع رواسب الاحتلال والقضاء على مظاهر الهيمنة الأجنبية.

– مناهضة الجماهير المغاربية لجميع الأحلاف مهما كان نوعها وتقويض القواعد الأجنبية المفروضة على بلادها حتى يتقلص ظل الاحتلال تقلصاً كاملاً وتكتمل سيادته الوطنية.

– قناعة المسؤولين عن الحركة العمالية في الأقطار الأربعة بأن تدعيم الحركة العمالية الصحيحة وتوحيد أهدافها وغاياتها،من شأنه تحقيق النهوض بالطبقات الشعبية وتحريرها من كل القيود للوصول بشعوبنا إلى حياة أفضل قوامها الحرية والرفاهية والعدالة الاجتماعية. [46]

خاتمة

بعد تعرضنا في هذه الورقة إلى الدور الذي لعبه الاتحاد العام للعمال الجزائريين على المستويين الداخلي والخارجي من أجل القضية الجزائرية،نستنتج بأن التاريخ قد سجل للنقابيين الجزائريين موقفا واضحا من أجل التعريف بالقضية الجزائرية وفضح الاحتلال الفرنسي لدى الرأي العام الدولي ،ونتيجة لهذه المواقف فقد كسب الاتحاد قاعدة جماهيرية ضخمة زادته قوة على الساحة الوطنية والإقليمية.وسجل لهم أيضا كما قال الأستاذ سعدي بزيان "إن كتابة تاريخ الثورة الجزائرية بمعزل وإقصاء لدور العمال الجزائريين في الثورة التحريرية يبقى ناقصا ومبتورا" لأن هذه الطبقة العمالية قد عانت من التمييز الاجتماعي بمختلف أشكاله ،لكن هذه الفئة عندما تهيكلت ونظمت صفوفها ،استطاعت أن تشكل نقابات ؛هذه الأخيرة التي أصبحت تشكل خطرا على التواجد الفرنسي في الجزائر وخاصة عندما نقل النقابيون الجزائريون نضالهم إلى العالم باشتراكهم في مختلف المؤتمرات التي تقام من أجل نصرة المضطهدين و إيصال صوت القضية الجزائرية إلى المحافل الدولية ،وقد أفلح النقابيون في ذلك ،ومقابل هذا لم يسلموا من الاعتقالات والملاحقات البوليسية الفرنسية في سبيل القضية الجزائرية.

ونختم دراستنا هذه بمقولة لأندري ماندوز صديق الثورة الجزائرية.

[العمال الجزائريون لايناضلون من أجل الحصول على علم وسفارات فقط ،بل يناضلون من أجل ضمان الأرض للفلاح والعمل للعامل وأفضل شروط الحياة ويناضلون أيضا لبناء اقتصاد وطني هادف وموجه من قبلهم لصالح الجماهير المعدمة حيث هم في المقام الأول ويجاهدون أخيرا في تأسيس نظام ديمقراطي حقيقي وتقدمي يلغي الامتيازات...]

الهوامش:

[1]-شطيبي(حنان):الحركة النقابية العمالية في الجامعة الجزائرية دافع أو معرقل للأداء البيداغوجي؟دراسة حالة جامعة منتوري –قسنطينة- مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في تسيير الموارد البشرية،جامعة منتوري-قسنطينة،2009-2010،ص 14

[2]-بولكعيبات(إدريس):"الحركة النقابية بين عصرين"،مجلة العلوم الإنسانية،عدد 12، جامعة محمد خيضر بسكرة،2007،ص150

[3]-المرجع نفسه

[4]-يحي(بوعزيز):السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري(1830-1954)،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1995،ص 298

[5]-بولكعيبات،مرجع سابق ص 150

[6]-زوزو(عبد الحميد):دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربية (1919-1939)،المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع- الرغاية،لجزائر،د.ت ،ص ص،115،116

[7]-بن زروال (جمعة):الحركات المضادة للثورة التحريرية 1954-1962،،رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإنسانية،جامعة باتنة،2011-2012،ص 67

[8]-المرجع نفسه

[9]-المرجع نفسه،ص68

[10]-شرعة(سمية):دور الاتحاد العام للعمال الجزائريين إبان الثورة التحريرية 1954-1962، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الثورة التحريرية ،قسم العلوم الإنسانية،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإنسانية،جامعة باتنة،201362014،ص8

[11]-بولكعيبات،مرجع سابق ص 151

[12]-مرجع نفسه ص 152

[13]- حربي(محمد):جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع1954-1962،ترجمة كميل قيصر داغر،ط1،دار الكلمة-لبنان،1983،ص134

[14]- هارون(علي):الولاية السابعة،حزب جبهة التحرير الوطني داخل التراب الفرنسي 1954-1962،ترجمة الصادق عماري وآخرون،دار القصبة للنشر-الجزائر،2007،ص،ص 17، 18

[15]- سطورا(بن يامين): مصالي الحاج رائد الحركة الوطنية الجزائرية 1948-1974،ترجمة صادق عماري،مصطفى ماضي،دار القصبة-الجزائر،د.ت ،ص241

[16]- زعموش(فوزية):علاقة العمل النقابي بالعمل السياسي في الجزائر،رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم شعبة القانون العام فرع القانون الدستوري،كلية الحقوق،جامعة قسنطينة،2011-2012،ص34

[17]- بزيان(سعدي):"صفحات عن دور العمال الجزائريين في المهجر في ثورة نوفمبر 1954"،مجلة الذاكرة،عدد 3،المتحف الوطني للمجاهد،1995،ص177

[18]- المرجع نفسه،ص 179

[19]- "حقائق عن الوضع العمالي في فرنسا":جريدة المجاهد، عدد 21 المؤرخ في 8 أفريل 1958، ص9

(20)- Gilbert (Meynier) :Histoire Intérieur Du FLN 1954-1962 ,casbah édition-Alger,2003,p 523

[21]- رخيلة (عمر):التطور السياسي والتنظيمي لحزب جبهة التحرير الوطني 1962-1980،ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر،1993،ص 81

(22)- Harbi(Mohamed),Gilbert (Meynier) :Le FLN Document Et Histoire 1954-1962 ,casbah édition-Alger,2004,p 695

[23]- أندري(ماندوز):الثورة الجزائرية عبر النصوص، ترجمة ميشال صطوف ،الوكالة الوطنية للنشر والإشهار –رويبة،الجزائر،2007،ص-ص 129-131

[24]- البزاز(سعد توفيق عزيز): "تطور الحركة العمالية والنقابية في الجزائر بين عامي 1830-1962"،مجلة التربية والعلم،المجلد 19عدد5،كلية الآداب،جامعة الموصل،2012،ص،ص 161،162

[26]- نفسه ،ص 166

(27)- Harbi(Mohamed),Gilbert (Meynier) :OP,CIT,P,P 706,707

[28]- نفسه،ص 167

[29]- نفسه،ص 168

[30]- قليل(عمار):ملحمة الجزائر الجديدة ،ط1،ج1،دار البعث-قسنطينة،الجزائر،1991،ص،ص348،349

[31]- بزيان،مرجع سابق،ص،ص 176،177

[32] – بومالي (احسن)، "اضراب 28 جانفي 1957"، مجلة الذاكرة، ع4، المتحف الوطني للمجاهد-الجزائر، 1996، ص ،ص 35،36.

[33] – تاريخ الجزائر (1830-1962)، "إضراب الثمانية أيام " قرص مضغوط، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954،وزارة المجاهدين،2003.

[34] -Yacef(Saadi) : La Bataille d'Alger, T2,édition Casbah-Alger,1997 ,P36.

[35] – بومالي ،مرجع سابق، ص37.

[36] – بن خدة،"قرار الإضراب ووقائعه ونتائجه" مجلة أول نوفمبر ، عدد 81، المنظمة الوطنية للمجاهدين– الجزائر 1987 ، ص10.

[37] – بومالي،مرجع سابق ، ص 71.

[38]–Mameri(Khelfa) :Les Héros de la Guerre d'Algérie Larbi Ben M'hidi, édition Karim maameri-Alger, 1996, P56.

[39] – كافي(علي):مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962،دار القصبة للنشر والتوزيع-الجزائر،1999،ص 108

[40]– Guenatari(Mohamed) :Organisation Politiquo-Administrative Et Militaire de La Revolution Algerienne de 1954à1962,T1Office Des Publications Universitaires-Alger,2000,P105

[41] – قليل: مرجع سابق،ص 349

[42] – كرفاع(المختار الطاهر):"الحركات العمالية في بلدان المغرب العربي ودورها في ترسيخ الوحدة القومية"مجلة الذاكرة الوطنية،عدد خاص،المندوبية السامية بقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير،2002،ص185

[43] – مقلاتي(عبدالله):دور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة الجزائرية 1954-1962،مذكرة ماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر،جامعة قسنطينة،2001-2002،ص 288

[44] – نفسه،ص 289

[45] – كرفاع، مرجع سابق ،ص 192

[46] – مرجع نفسه،،ص189

التنمية المهنية للعلم كإحدى متطلبات الإصلاح
دراسة ميدانية على عينة من معلمي المدارس الابتدائية

أ.فاتحي عبد النبي
جامعة بسكرة

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص

في ضوء الاتجاهات التربوية المعاصرة وظهور أنماط وطرق جديدة تستخدم في التدريس،تتضح الحاجة إلى تغييرًا في أدوار المعلم المستقبلية،وبالتالي إعادة النظر في برامج إعداده وتدريبه ،ولكي تكون هذه البرامج فاعلة فإن ذلك يتطلب إحداث تطويرا لها سواء في أهدافها وآلياتها وأساليبها،لكي يتم من خلال هذا التطوير تخطى أوجه القصور الحالية،ورغبة في مواكبة الاتجاهات المعاصرة في إعداد المعلم وتنميته مهنيًا،جاءت هذه الدراسة للتعرف على أهم هذه الاتجاهات،آملين أن تساهم هذه المداخلة في بلورة ووضع لبنة إضافية لتطوير البرامج الخاصة بإعداد المعلم وتنميته مهنيًا .

Résumé :

A la lueur de toutes les directismes éducatifs contemporaines et la parution de nouvelles formes et méthodes ,utiliseés don notre apprentissage est évident que la rôles de futur enseignant (maitre) changement, Donc,il faut changer d'airs que ce dernier (le maitre) devrait avoir une restitutions de tous les programmes (sa préparation et son entrainement) conformément aux défaits modernes. Pour que ces logeâmes soient efficaces, il faut qu'il fait une amélioration deus tous les objectifs, ses mécanismes et ses styles(démarches).pour qu'on puisse dépasser ce manque posé. Aussi, dons le but de suivre les dei marches(directories) contemporaines ai la préparation de maitre et son développement professionnel.cet étude a été faite pour connaître les directories éducatifs les plus importantes. Encore, dans l'espoir de contribuer cet intervention fortement a la mise en place d'une nouvelle structure qui permet de développer des programmes propre meut ai la préparation de futur ensimant et de luit progresser professionnellement.

مقدمة

يشهد العالم منذ مطلع هذا القرن نقلة حضارية هائلة شملت كل أوجه ومجالات الحياة،حيث أنه في كل يوم يظهر على مسرح الحياة معطيات جديدة تحتاج إلى خبرات جديدة وفكر جديد ومهارات جديدة للتعامل معها بنجاح،وهذه التحولات قد ألقت بظلالها على بنية النظام التربوي،ومن ثم فنحن فى حاجة إلى تربية غير تقليدية كالتي عاهدناها،ومن ثمة فإن إعداد الإنسان القادر على التصدي لكل هذه التحولات والتغيرات يتطلب إعادة النظر فى النظم التعليمية مفهومًا ومحتوى وأسلوبًا،وذلك على أسس جديدة قائمة على استراتيجيات علمية فعالة تستوعب الإمكانات المادية والبشرية المتاحة،ومن هنا بدأت تتسابق الدول المختلفة على تطوير نظمها التعليمية بصورة شاملة أحيانًا وبصورة جزئية أحيانًا أخرى."وبدأت تشهد قضية التطوير والإصلاح المتعلقة بالمعلم قدرًا كبيرًا من الاهتمام في الدول المختلفة التي تنشد الارتقاء بنظمها التعليمية ومن ثم تجويد نواتجها،ومن أبرز النتائج المترتبة على التحديات المعاصرة والمستقبلية التي يواجهها التعليم في العالم تلك المرتبطة بدور المعلم في العملية التعليمية فى ضوء إطار التغيير والتحول المتسارع في المظاهر الاقتصادية والسياسية للعالم المعاصر،حيث يتطلب العالم المتغير نمطًا مختلفًا من التعليم."[1] ولكي يتمكن التعليم فعلا من تلبية متطلبات العصر،فإنه ينبغي تخريج نوعية من المتعلمين القادرين على تنمية أنفسهم باستمرار،ولا يتم ذلك إلا بتوفير المناخ التعليمي المناسب وتوفير المعلمين المؤهلين وهذا ما تسعي إلية الدول المتقدمة،وتعد التنمية المهنية للمعلم من أساسيات تحسين التعليم،وذلك لما لها من أهمية بالغة في تطوير الأداء التدريسي للمعلم،وتطوير تعلم جميع التلاميذ للمهارات اللازمة لهم مما يؤدي إلى تحقيق (مجتمع التعلم).والتنمية المهنية هي المفتاح الأساسي لاكتساب المهارات المهنية والأكاديمية،سواء عن طريق الأنشطة المباشرة في برامج التدريب الرسمية،أو باستخدام أساليب التعلم الذاتي،ولقد ساعدت الطفرة الهائلة في نظم المعلومات والالكترونيات والحاسوب وأساليب الاتصالات إلى ظهور أساليب جديدة في مجال التربية والتعليم،وظهور الكثير من الاتجاهات التربوية الحديثة في مجال إعداد المعلم وتدريبه مهنيًا كنتيجة مباشرة لتفاعل مؤسسات إعداد وتدريب المعلم مع المتغيرات المعاصرة. وانطلاقا من هذه الخلفية

فإننا نريد من خلال هذه الدراسة إلقاء الضوء على واقع إعداد المعلم من خلال العمل الميداني وإظهار واقع الخطاب على أرضية الميدان منطلقين من الإشكالية التالية: ما هو واقع التنمية المهنية للمعلم في المؤسسات التعليمية في سياق الإصلاح التربوي؟ للإجابة على هذا السؤال فإننا قمنا بتقسيم البحث إلى العناصر التالية:

1 مفهوم المعلم:

2-مفهوم الإصلاح التربوي

3-مفهوم التنمية المهنية للمعلم

5-أهداف التنمية المهنية للمعلم

6-واقع إعداد وتدريب المعلم في المؤسسات التعليمية (حقل وعينة الدراسة)

1-مفهوم المعلم:

المدرس هو العنصر الأساسي في الموقف التعليمي وهو المهيمن على مناخ الفصل والمحرك لدافع التلاميذ والمشكل لاتجاهاتهم وهو المثير لدواعي الابتهاج،الحماسة،التسامح،الاحترام،الألفة والمودة.فإحساسه بهم يثري حياة كل منهم، والمعلم لديه القدرة الكبيرة على كشف نقاط القوة والضعف عند التلاميذ،حيث يقوم بتمكينهم من الحصول على معارف جديدة ويعمل على كشف مهاراتهم وقدراتهم ثم توجيههم وجهة حسنة."المعلم هو الشخص آلذي يعمل على إثارة دوافع المتعلم وحاجاته والظروف الأخرى التي تحيط به وتؤثر عليه،والتي تدفعه إلى النشاط في الموقف التعليمي وتحديد الأغراض التي تشبع حاجات المتعلم ورغباته ."[2]في بحثنا نستعمل مصطلح المعّلم على المدرس حيث أن هذا الأخير هو صنف من أصناف المعلمين يقابله في الفرنسيةinstituteur .فالمعلم هو ذاك الشخص الذي يقوم بمهمة التعليم.أو الشخص المسؤول المفوض من طرف المجتمع لتربية وتعليم أبنائه.أو المسؤول عن تطبيق المنهاج الدراسي في المدرسة.

2-مفهوم الإصلاح التربوي

يسعى هذا المفهوم إلى تفسير التطور الذي تسعى إليه المدرسة من أجل تحسين وضعها التعليمي وممارساتها التربوية المستقبلية،هذا ما يتطلبه التصور المستقبلي للمدرسة في المراحل المعاصرة،ويرى "بيرش Birech " أن التجديد التربوي هو البرامج الجديدة والتغيرات والتعديلات التنظيمية في عملية التدريس والتعلم التي تختلف عن الممارسات القائمة،ويرى راو نتري Rowntree أن الإصلاح التربوي هو عملية تطوير أفكار وطرق جديدة في التربية لاسيما فيما يتعلق بالمنهاج المدرسي،ويرى منير مرسى أن الإصلاح التربوي عبارة عن "أية محاولة فكرية أو عملية لإدخال تحسينات على الوضع الراهن للنظام التعليمي سوى كان ذالك متعلق بالبيئة المدرسية أو التنظيم والإدارة أو البرنامج التعليمي أو طرق التدريس أو الكتب الدراسية وغيرها."[3]

ويبدو أن مفهوم الإصلاح له من المعاني والدلالات العديدة والتي لا تخلو من الاختلاف والتناقض،وقد قدم لنا "عامر حامد" تفسيراً لكلمة الإصلاح من منظور ثقافي على انه يتضمن-حركة وتحريكا-لأوضاع المجتمع القائم ووتيرة مسيرتها السائدة إلى صورة مغايرة.وقد تتم هذه الحركة بصورة جزئية في سياسة معينة كالإصلاح الضريبي،أو في قطاع من القطاعات المؤسسية كالإصلاح الثقافي أو التعليمي أو الاقتصادي،وقد تكون في رؤية شاملة إلى معظم قطاعات المجتمع.

يمكن تناول الإصلاح التربوي من خلال ذلك التغيير الشامل في بنية النظام التعليمي للتعرف على المستوى الكبير فهو تلك التعديلات الشاملة الأساسية في السياسة التعليمية التي تؤدي إلى التغيرات في المستوى والفرص التعليمية والبنية الاجتماعية في نظام التعليم القومي في بلد ما.

ونقصد بالإصلاح التربوي كل التغييرات الواعية التي حدثت في المدرسة الابتدائية والتي تهدف إلى تطوير وإدخال تحسينات على الوضع الراهن للنظام التعليمي،سواءً تعلق ذلك بالبنية المدرسية أو التنظيم والإدارة أو البرامج التعليمية أو طرائق التدريس أو الكتب الدراسية وغيرها،قصد الرفع من مستوى مخرجات العملية التعليمية.

3-مفهوم التنمية المهنية للمعلم:

يعرف نيفيل التنمية المهنية على أنها الجهد المنظم لتحسين ظروف التعليم ومصادره ومهمات تحسين أداء المعلمين،وهو عملية شاملة تهدف إلى تمكين جميع المعلمين من المحافظة على مستوى عال من أدائهم وتهيئتهم لأدوار جديدة تقتضيها متطلبات التطوير والتجديد.

وقد عرف بولام مفهوم التنمية المهنية للمعلمين بأنها تلك العملية التي تستهدف تحقيق أربعة أهداف هي:

-إضافة معارف مهنية جديدة إلى المعلمين.

-تنمية المهارات المهنية لديهم.

-تنمية وتأكيد القيم المهنية الداعمة لسلوكهم.

-تمكينهم من تحقيق تربية ناجعة لتلاميذهم

" أن النمو المهني هو زيادة فعالية عمل المعلمين عن طريق تحسين كفايتهم الإنتاجية،ورفع مستوى أدائهم الوظيفي،وتنمية قدراتهم وإمكاناتهم،وإنعاش معلوماتهم،وتجديد خبراتهم لمواجهة المواقف التعليمية،واستغلال كل ما حوله لتحقيق الأهداف المرجوة."[4]

ويمكن تعريف النمو المهني بأنه:عملية شاملة من الأنظمة المعرفية وأنظمة الإعداد والتدريب والسياسات والاستراتيجيات والتشريعات،تهدف إلى زيادة فعالية عمل المعلمين،من خلال تطوير كفاياتهم التعليمية والإنتاجية،بجانبيها المعرفي والسلوكي،ورفع مستوى أدائهم الوظيفي في مجالات عدة منها :إجراء البحوث التعاونية،استيعاب كل ما هو جديد في النمو المهني من تطورات تربوية وعلمية،إتقان استخدام الوسائل والتقنيات التعليمية والتعرف على طرق التدريس وأساليبه.

4-أهداف التنمية المهنية للمعلم

تكمن أهداف الإنماء المهني في إضافة معارف جديدة للمعلمين وكذلك تنمية مهاراتهم المهنية والتأكيد على تنمية القيم والأخلاق الداعمة لسلوكهم من خلال حب المهنة والعمل من أجلها لأن رسالة التعليم رسالة سامية وكذلك بناء القيادات التربوية الواعية بالمدارس،ويمكن أن نوجز أهداف التنمية المهنية للمعلم في ما يلي:

-وقوف المعلمين على أحدث طرائق التدريس والوسائل التعليمية وتكنولوجيا التعليم وكيفية تطبيقها ميدانيا.

-معرفة الجديد من وسائل التقويم والأساليب الحديثة في الاختبارات الشفهية والتحريرية .

-تنمية المعلمين في كافة الجوانب :أكاديميًا ومهنيًا وشخصيا وثقافيًا.

-إضافة معارف مهنية جديدة إلى المعلمين.

-تنمية وتأكيد القيم المهنية الداعمة لسلوكهم.

-تمكينهم من تحقيق تربية ناجحة لطلابهم.

-تنمية الجوانب الإبداعية لديهم وتحفيزهم على أن يشمل تدريسهم تلك الجوانب الإبداعية.

-ربط المعلم ببيئته ومجتمعه المحلي والعالمي وتدريبه على مهارات التخطيط لتوثيق الصلة بينه وبين بيئته المحلية ومهارات تنفيذ وتقويم هذه الخططات.

وتعتمد نوعية المعلمين إلى حدٍ كبير على البرامج التي تعدّ لهم قبل انخراطهم في مهنة التعليم،فإذا كانت البرامج جيدة فإن التربية تكون فعالة،وهكذا فإن برامج إعداد المعلمين في أي بلد من بلدان العالم تؤثر في نوعية التربية في ذلك البلد،وبالتالي أن وجود برنامج للتنمية المهنية سيحقق عدة فوائد منها إكساب المعلمين قوة ذاتية ومرونة في معالجة الأمور المتعلقة بالعمل اليومي وضمن مساهمة الجميع في مسؤولية نمو وتطوير وتحسين الأداء وبالأخص تطوير المدرسة وأدائها.

5- واقع إعداد وتدريب المعلم في المؤسسات التعليمية (حقل وعينة الدراسة)

تمّ إجراء هذه الدراسة،بولاية أدرار،سنة2013 وقد دامت مدة عامين،على عينة منتشرة في واقع العمل،تجسد كتلة الأساتذة والمعلمين والبالغ إجمالي عددهم 256معلما ومعلمة يدرّسون في عدة مستويات وموزعين على39 ابتدائية تابعة لثلاث مقاطعات إدارية،وهي:رقان،زاوية كنتة،فنوغيل،معتمدين على تقنيتي المقابلة والاستمارة في جمع المعلومات، مستخدمين المنهج الوصفي التحليلي لفهم وتأويل الأسباب الكامنة وراء الظاهرة.وهي عينة مقبولة حيث تمثل إلى حدٍّ كبير خصائص المجتمع الأصلي من حيث:السن،الخبرة،الجنس،المادة الدراسية،ومرجعية الوسط المتجانس-مجتمع شبه حضاري- في جغرافيته واجتماعيته وثقافته،مما يسقط مبدأ مراعاة الاختيار المقنن لأفراد العينة.ولم ندخل في العينة أفرادا آخرين عاملين في التعليم ولهم وظائف أخرى غير التدريس،لأننا نؤمن بأن للمعلم وجهة نظر خاصة تختلف في حيثياتها عن وجهة نظر المدير في المدرسة أو المفتش أو العامل الإداري،ولا يوجد مبرر منهجي لإلغاء هذه الاختلافات.إن الدارس لواقع إعداد وتدريب المعلمين يلاحظ عددًا من الخصائص المشتركة،منها:

- غياب السياسات الوطنية المتعلقة بإعداد وتدريب المعلمين:

لقد أخذ التكوين أشكالا مختلفة ومتعددة أهمها التكوين قبل الخدمة الذي يزوَّد من خلاله المربي بالأسس الضرورية للعملية التربوية،والتكوين أثناء الخدمة الذي يجدد فيه المربي معلوماته،وقد أخذ تسميات مختلفة كالتربية المستمرة أو الرسكلة أو التكوين ألتناوبي وهذا النوع من التكوين يزاوج بين النظري والتطبيقي حيث يخضع المربي لدروس نظرية لمدة معينة،ثم ينتقل إلى الميدان لتطبيقها ويتم هذا بطريقة دورية،غير أن حقيقة الواقع تشير إلى عدم تبني سياسة وطنية محددة لإعداد وتدريب المعلمين من الناحيتين الكمية والكيفية،سياسة مقننة يتحدد من خلالهما معايير ومواصفات المعلم في كل مرحلة تعليمية،ومعايير اختيار وانتقاء وإجازة المعلم للتدريس،كما تعجز مؤسسات إعداد وتدريب المعلمين عن توفير الكوادر الوطنية من المعلمين المؤهلين،ف90% من المبحوثين يرون بان إعداد المعلم مهنيا لم يرق إلى المأمول،وذلك لتهميش دور المعلم في المشاركة في اتخاذ القرارات التربوية أو المشاركة في تصميم المناهج وبنائها وفي قرارات النجاح والرسوب،وحرمانه من البعثات والدورات التدريبية التي تشحنه بالمعرفة والخبرة،حتى صار حقل التعليم يؤوي من لم يجد مجالا للتوظيف في غير التعليم،وإن حاول المشرفون على التعليم أن يساعدوا هؤلاء المقبلين على التعليم بغير تأهيل، بتدريبات قصيرة المدى قصد إسعافهم بالضروري من المعارف للأداء البيداغوجي،فإن اللجوء إلى هذا الحل لمواجهة كثرة طلب المعلمين نتيجته سدّ فراغا من ناحية الكم،شكّل هوة سحيقة من الناحية النوعية،كما أن طرق إعداد المعلمين، وتهيئتهم لإعطاء الدروس داخل قاعات الدرس،هي طرق في أغلب الحالات غير مجدية،وفي حالات أخرى بعيدة كل البعد عن تجارب المعلمين واحتياجاتهم.إن عدم الجدوى هذا يفسر غالبا بوجود هوة بين نظرية التدريس والممارسة العملية.فالتعليم ينظر إليه غلبا كمهنة ناقصة تعمل بها أعداد بكمية هائلة،تكاد تعادل مجموع أعداد قوى العمالة المهنية في القطاعات الأخرى،مما يستحيل معه التدقيق المطلوب في حسن اختيار قلة من أكفأ العناصر ذكراناً وإناثا،وتوفير برامج إعداد تربوي في مستوى جامعي مماثل لإعداد الأطباء والمهندسين...والتأكد من صلاحيتهم المهنية قبل التعيين والعمل على مواصلة تنميتهم مهنيا طوال سنوات الخدمة وربط الترقيات بالكفاءة الوظيفية

والنمو العلمي وتهيئة بيئة عمل تعزز فعاليات الممارسة مع تقديم رواتب مجزية ومكافآت تتناسب وحجم المسؤوليات وتغري البقاء في المهنة وتجذب الشباب المؤهل للعمل بها.

–النمطية :

خاصية النمطية في برامج إعداد وتدريب المعلمين التقليدية من الخصائص السلبية،ويتمثل ذلك بما تقدمه من برامج موحدة لجميع الملتحقين بها،وكذلك بتقديمها لمحتوي معرفي ومساقات دراسية موحدة،حيث ترتكز خاصية النمطية إلي فرضية خاطئة مؤداها أن احتياجات المعلم المهنية هي احتياجات موحدة للجميع،وهذا اعتقاد خاطئ،فالمعلمون لا يمتلكون نفس القدرات والاستعدادات،وهذا المعلم حين يكون بالمدرسة يجب أن يكون دوره مرنًا ومتنوعًا ومتجددًا وليس جامدًا.ولن يتأتى هذا إلا بتزويد المعلم الأساس المعرفي الذي يمكنه من أداء دوره على أكمل وجه.غير أن 84% من المبحوثين يقرُّون بأن أفق التكوين غير كافية ومؤهِلة لهذه الكفاية المنشودة،وذلك لِشُحِّ العمليات الإنمائية التي يتلقاها المعلم أثناء الخدمة لضمان مواكبة التطور الذي يطرأ على المناهج وطرق التدريس نتيجة التطور الاجتماعي والتقني المستمر،ضف إلى ذلك شعورهم بعدم جدية التكوين مبررين ذلك بأن الندوات لا تأتي بجديد وعدم جدية المكونين في مساعدة المعلمين لتجاوز صعوبات البرنامج التدريسي،وبما أن مستويات الإعداد المهني للمعلمين هابطة من حيث سنوات الإعداد ودرجة الصلابة العلمية والإتقان اللغوي واتساع الحصيلة الثقافية،فإن المعلمين الذين يتخرجون ويقدم لهم النجاح بثمن بخس،يجدون أنفسهم– دون المهنيين– في وضع إنحراجي مهينٍ،ونقصد بإنحراجية المهنة،أنها مهنة مكشوفة ومعرَّاة من سرِّ قوتها،فهي لا تملك– وبالذات في مستوى التعليم الابتدائي معرفة مهنية خاصة بها،فاليوم حيث ينتشر التعليم ويرتفع مستوى الثقافة لم يعد المدرس في القرية،أو في غمار العامة بأحياء المدينة،كما كان في الماضي رسول المعرفة وأستاذ العلم وصانع الحضارة،بل يمكن لآيّ فرد أن ينازع المدرّس في عمله ويجادله فيه،ويصدر أحكاما قيميّة تضعف من مركزه أمام العامة كمهنيّ كفء،فأدى ذلك إلى فقدان المعلمين سيطرتهم الثقافية ونفوذهم الأدبي والاجتماعي في أوساطهم،وأصبح من المضحك المبكي أن يصحح بعض التلاميذ النابهين أخطاء المدرسين،وان يقوموا نيابة عنهم بتشغيل بعض أنظمة الحاسوب لعجزهم في هذا المجال.

– الافتقار إلي إطار نظري لإعداد وتدريب المعلمين:

بعض برامج إعداد وتدريب المعلمين لا تؤمن بضرورة وجود مثل هذا الإطار(النموذج النظري)،من منظور أن مهنة التعليم لا تحتاج إلي إعداد وتدريب خاص باعتبار أن المعلم مصنوع بالفطرة،وليس مصنوعًا من خلال الإعداد والتدريب.ف46%من المبحوثين تلقوا تكوينات نسبية حول البرنامج الجديد، و34%لم يتلقوا إيّ تربصٍ أوتكوين،وهذا يضعنا أمام إشكالية كفاءة المعلم.وهي عقبة تتصل بخصوصية التعليم كمهنة يساء فهمها وتقديرها مما يزيد من حدة النقد الموجه لها كمهنة فاشلة عاجزة عن تحقيق أهدافها فهي لم تقدم انجازات حسية ملموسة تبرهن على كفايتها وتأديتها للحساب،كما هو الحال في مهن الإنتاج الصناعي والاقتصاد.غير أن النهوض بالعملية التربوية لا يتأتى إلا بالقيام بحشد أفضل الطاقات البشرية وتطبيق أفضل لأحدث المستجدات التربوية العملية منها والنظرية،وهذا يكون بتزويد المعلم بالأساس المعرفي قبل البدء بالتربية التخصصية أو المهنية،فإعداد المعلم بطريقة جيدة قد يجذب عددا أكبر لممارسة التدريس،وعليه فعلينا أن نحافظ على المستوى الرفيع لاختيار المعلمين العاملين في التدريس،وأن نرفع من مستوى إعدادهم وتدريبهم وتأهيلهم للعمل والاحتفاظ بمستوى رفيع من الإنجاز في تنمية قدرات التلاميذ وخبراتهم،بحيث أصبح من الضروري اليوم النظر وباستمرار في كل ما يتعلق بدور المعلم في العملية التربوية،وما يجب أن يقوم به إزاء ذلك وبنوع المعلومات اللازمة له،فضلا عن خصائصه الشخصية والأساليب التي يجب إتباعها في إعداده وتدريبه،الأمر الذي أدى إلى تعدد أساليب هذا الإعداد وهذا التدريب واختلاف نظمه.

– غياب أو عدم وضوح وتحديد أهداف مؤسسات إعداد وتدريب المعلمين:

تفتقر مؤسسات إعداد وتدريب المعلمين– الجامعات ومعاهد المعلمين– بالكامل إلي أهداف محددة وواضحة توجه مسيرتها،ولكنها قد اعتمدت أهدافًا تتصف بالشمولية والعمومية،وعدم وضوح وتحديد الأهداف يلقي ظلالا من الشك حول قدرة هذه المؤسسات على تحقيق أي هدف،وبالتالي انعدام القدرة علي تقويم أداءها للتأكد من مدي بلوغها للأهداف التي وجدت من أجل تحقيقها.وقد أيد هذا الطرح80% من المعلمين،فهي محكومة بشبكة واسعة من اللوائح والقوانين تخضع لبنية أدرية ومحلية لها سلطة تحكمية وتعليمات فوقية توجيهية تعامل المدرّسين وكأنهم أجزاء من آلة ضخمة،ولا تتمتع بتفويضية تعترف باستقلاليتها الإدارية على النحو الذي تتطلبه مهام الإدارة المهنية التي تراعي مبدأ الاحتياجات الحقيقية بحيث تُسيَّر بكل حريتها المسؤولة من خلال مجالسها المتنوعة كل ما يستلزمه الإشراف والتخطيط والتنظيم والتطوير،بروح الزمالة بين أعضائها كشركاء عاملين في خط أفقي واحد،إنها على العكس مؤسسة مروضة تمسك لجامها بأيديها طوعا أو كرها،مما يسقطها في طابع المحافظة والروتينية والبيروقراطية والتي تجسد وضعية سلبية للتعليم كمهنة خاملة لا تستطيع أن تفجر من داخلها ثورة مهنية تعمل للتجديد خصوصا وان المعلمين ينظر إليهم كأشباه مهنيين مبعدين عن كل مشاركة حقيقية في رسم سياسات التعليم وتنفيذها،وأصبحت المهنة كالديناصور الضخم الذي ناء بثقله ولم تكن له من الحركة والمرونة لمجاراة التطورات الحديثة من حوله فانقرض وانتهى به زمانه.

– التفاوت في التركيز علي المحتوي المعرفي للمكونات الأساسية لبرامج إعداد وتدريب المعلمين:

تتفاوت مؤسسات إعداد وتدريب المعلمين في حجم ووزن المكونات الأساسية لبرامج الإعداد والتدريب للمعلم،وهي (الثقافة العامة – الثقافة التخصصية – الثقافة السلوكية)،حيث أن هذه المؤسسات لا تمتلك معيارًا محددًا يتم علي أساسه تحديد حجم ونسبة كل مكون من المكونات الأساسية لبرنامج الإعداد والتدريب. لذا يجب علي هذه المؤسسات "تحديد أدوار ووظائف ومهام المعلم في كل مرحلة تعليمية وحسب كل تخصص،وأن يتم تصميم كل برنامج وتحديد مكوناته ومحتوياته المعرفية اعتمادًا علي الاحتياجات التدريبية لكل فئة من فئات المعلمين حسب تخصصاتهم من جهة،وحسب المرحلة التي سيعملون فيها من جهة أخرى."[5] ضف إلى ذلك أن البرنامج الدراسي لمختلف المستويات يشهد اختلالات بنيوية وموضوعية،تنعكس سلبا على ناتج التعلّم عند المتعلم،كما أن تعاطي المدّرس معها يشهد اختلالات نظرية ومنهجية،مما يعقد ويصعب الأداء الصفي،ويراكم السلبيات في اتجاه – التطبيع– بمعنى أن تصبح تلك السلبيات طبيعيّة دون تناولها بالنقد والتصحيح،والفريق التربوي يمكنه تفكيك شفرات هذا التطبيع بتعاون وتظافر جهود أعضاءه،فاجتماعات المعلمين –الفريق التربوي– ضرورة لا غنى عنها بسبب ما بينهم من فروق كبيرة في كثير من الأحيان،وفي أمور كثيرة،في قدراتهم الخاصة وفي مقدار ما اكتسبوه من خبرة وفي كفايتهم المهنية وفي تصورهم للتربية،وفي مناقشاتهم للمحتويات المعرفية للبرامج.فاجتماعات المعلمين تجعلهم يؤمنون بقيمة الجهود التعاونية وما لها من أثر في زيادة المردود،غيران البيانات التي تمثل شواهد كمية ميدانية عن دور الفريق في عملية النمو المهني للمعلم هي غير مبشرة،فقد أدلى76%من المبحوثين عن غياب شبه تام للفريق التربوي داخل المؤسسة التعليمية أو خارجها،مما اثر سلبا على كفاءاتهم،وسبب غياب الفريق التربوي تتحمل جزء كبير منه الإدارة المدرسية لأنها المسؤولة المباشرة عن تشكيله.

– عدم التوازن بين الجوانب النظرية والجوانب الأدائية أو العملية التطبيقية:

إن المحاضرات والأيام الدراسية والتربصات التي تنظم من حين لأخر تحت إشراف مفتشي المواد هي في نهاية المطاف غير مجدية،وذلك لأن الواقع كما وصفناه أعلاه يجعل توجيهاتهم التي تستند فقط على النظري،غير قابلة للتطبيق على أرض الواقع،فمن خلال الدراسة تبين ان54%من المبحوثين لم يجدوا المشرف الإنساني الكفء،الذي يلجؤون إليه عند

الحاجة،ولكن ماذا يمكن للمعلم أن يتعلمه من مؤطر يستوي معه في المستوى التعليمي وقد يتجاوزه في الأقدمية؟وبطبيعة الحال سوف يقوم المدّرس كعادته بمحاولة للحدّ من الضرر باستخدام الطريقة القديمة التي تعتمد على إلقاء الدروس بصورة آلية ثم حل التمارين،ولكن ذلك يكون بالمخاطرة بمساره،لأن توجيهات المفتشين تصرّ على عدم نقل المعرفة للتلميذ بتلك الطريقة،لأن هدف هذا الأخير في التعلّم أصبح الآن ليس كسب المعارف وإنما تنمية الكفاءات الذاتية.كما أن برامج إعداد وتدريب المعلمين في كليات التربية ومعاهد المعلمين لا توفر فرصًا للتدريب العملي أو الميداني يتناسب مع أهمية هذا التدريب وانعكاساته علي المستقبل الوظيفي والدور الذي سيضطلع به المعلم. وقد أكد 96% ممن تلقو تكوينا أن حجم ووزن التدريب العملي أو الميداني يشكل نسبة متدنية جدًا من المجموع العام لمكونات هذه البرامج،وهذا يصور لنا النظرة التقليدية لمهنة التعليم على أنها حرفة يمكن إتقانها عن طريق التقليد أو الممارسة أو الخبرة وليست مهنة تحتاج إلي إعداد وتدريب ميداني خاص،وفق شروط مقننة،وهذا تصور خاطئ."وتؤكد دراسات أخرى على أن عملية الإعداد والتنمية المهنية تفتقر إلي إطار مفهومي واضح،وإلى مساهمة المعلمين في تحديد موضوعات برامج التدريب،سواء في التخطيط أو في التنفيذ والتقويم،كما أن الدورات التدريبية شكلية إلى حد كبير،ولا تحقق عائدًا ملموسًا في تنمية الكفاءات المختلفة للمعلمين. كما أنها تفتقر إلي أساليب تقويم فعالة لمعرفة الأهداف التي تحققت منها،وتلك التي لم تتحقق وان برامج الدورات التدريبية قليلة الاهتمام بتكنولوجيا التعليم،نظرًا لضعف الإمكانات المادية وبالتالي عدم ربط المحاضرات النظرية بالتدريبات العملية،مما يؤدي إلي عزوف المعلمين عن حضور الدورات التدريبية بل تكونت لديهم اتجاهات سلبية نحو التدريب،وعدم إحساسهم بأهميته في تنمية مهاراتهم الفنية"[6].علاوة علي ذلك "تشير بعض الدراسات إلى أنه لا يوجد في برامج الإعداد والتنمية المهنية ما يفيد بأن هذه البرامج تساعد المعلمين علي التفاعل والتكيف مع التغييرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي تحدث في المجتمع،أو مع تأثير هذه التغيرات علي نظام التعليم."[7]

– الانفصال بين إعداد وتدريب المعلم قبل الخدمة وتدريب وتأهيل المعلم أثناء الخدمة:

ونجد هذا الانفصال في أن الإعداد قبل الخدمة تتولاه كليات الجامعة،بينما الإعداد والتدريب أثناء الخدمة تتولاه معاهد المعلمين والمشرفين التربويين،ويتأكد الانفصال في عدم وجود أي تنسيق أو اتفاق أو تعاون أو تبادل للخبرات بين هاتين الجهتين(أي الجامعة من جهة ومعاهد المعلمين والمشرفين التربويين من جهة أخرى).ف86%من المبحوثين يقرون بأن الدراسة التي تلقوها بالجامعة ليست لها علاقة بمهنتهم الحالية وأن لقاءاتهم مع الشركاء التربويين تعد غير كافية،معلّلين ذلك بان سياسة اللقاءات لم تستطع أن تتخطى المنطق التقليدي في مراحل انجازها لان النظرة إلى المرحلة الابتدائية تقوم على أنها اقل المراحل أهمية وكذا أتسام هذه اللقاءات بالذبذبة المستمرة وعدم الجدية في طرح رؤى واضحة المعالم والاستراتجيات،وهناك من يرى بأن المعلم يجب أن يبادر شخصيا وأن يطور مهاراته بنفسه لان وسائل الإعلام الحديثة قد سهّلت الطريق إمامه،وقد صرّح احدهم قائلا: أن الندوات لا تأتي بجديد لعدم توفر الإمكانيات الحقيقية للتدريس،ونقص الموارد المالية لمثل هكذا ندوات ضف إلى ذلك الدور السلبي للمعلمين وعدم تقديمهم لأية مبادرات أو دراسات لإنجاح الندوات، كما أن نصف المبحوثين(50%) يقرُّون بنقص المراقبة الواعية–الزيارات الصفية– التي تقوم بمساعدة المربي كي تَقِلّ أخطاؤه،لأنها في نظرهم–الزيارات الصفية– هي معلِّم خبير يمّكن من مساعدة المعلمين لا سيّما المتربصين منهم،أو الذين يجدون صعوبات في مهامهم.إذا خطط لهذه الزيارات بدقة ووضّحت أهدافها،شريطة أن لا تكون تعسفية وإدارية شكلية،فتطغى سلطة الإدارة على التربية،ويشعر المربي بالمساس بشخصه وتضييق لمبادراته وخنق لحرياته والحد من صلاحياته،فالزيارات التي يقوم بها المفتش أو المدير أو الفريق التربوي من حين لآخر داخل الفصول الدراسية،تهدف إلى مراقبة المعلمين وتوجيههم ومعالجة الصعوبات

التي تواجههم،والتأكد من قيامهم بواجباتهم،هذه الزيارات لها أثر إيجابي لاسيما إذا كانت بطلب من المعلمين أنفسهم،أما إذا كان الهدف منها تصفية حسابات مع معلم ما،أو عمل إداري نمطي فإنها تصبح وسيلة إرباك لا جدوى من وراءها.

– ضعف الإعداد المهني في استخدام التكنولوجية:

إن التطور التكنولوجي لعملية الاتصال أدى إلى الترويج الإعلامي لوسائل وتقنيات التعليم المتطورة، مما يجبرنا على إدخال هذه المستحدثات التعليمية مثل الكومبيوتر والفاكس والوسائط المتعددة بحجة تحديث التعليم وإصلاح النظام التربوي وتطوير اقتصاد المعرفة.غير أن الشواهد الواقعية والمتمثلة في89%ممن جرت عليهم الدراسة يستهجنون هذا الطرح ويقرّون بأنهم لم يزوّدوا بمهارات تصميم المادة التعليمية إلكترونيا وكيفية التعامل مع الوسائل الحديثة مثل الانترنيت والحاسوب وإن إعدادهم المهني في اختيار للمادة التعليمية وتنظيمها وتنفيذها باستعمال وسائل مسموعة أو مرئية أوفي شكل بيانات أو جداول ثابتة أو متحركة...لهي خطابات أقرب للخيال منها إلى الحقيقة،أضف إلى ذلك أن البيئة المدرسية لم تدخل عصر العولمة بعد،وأنها تعيش بمعزل عن محيطها فهي بيئة مفتقرة لعناصر التكنولوجية الحديثة والتي تجعل من التلميذ معدّ بطريقة علمية لمواجهة هذا المستقبل الذي لم تتضح معالمه بعد،فاستعمال الحاسوب يكاد يكون شبه معدوم للّهم على المستوى النظريّ فقط،وإن تجرّأ أحد المدرسين للولوج إلى هذا العالم فسيجد نفسه مكبل بمجموعة من العوائق الإدارية والتطبيقية التي تكرس معلما لا إلكترونيا غير ملِمٍ باستخدام التكنولوجيا الحديثة وكيفية توظيفها في أعباء الإشراف التعليمي وفق التدرج السنوي والمقرر الدراسي.مما يجعل المدرسة تغرّد خارج السرب حبيسة النظم القديمة معوّقة بذلك أساس تطوّر المجتمع و التقدم الذي يمكننا من خوض غمار ركب الحضارة.

– افتقار مؤسسات إعداد وتدريب المعلمين إلي البحث والتجريب التربوي:

إن مؤسسات الإعداد والتدريب التقليدية لا تعتمد علي البحث والتجريب التربوي كأساس لتحسين برامجها،مما أثر في تخلف التعليم كمهنة مقارنة بغيرها،ف96%من المبحوثين يقرّون بغياب شبه تام لمثل هكذا بحوث وان حدث وتمت،فهي كتابات مقالية ذات طبيعة إنشائية في نزعة علمية مزيفة قد تأتي بفروض أو بتجارب ميدانية،لكنها في معظم الأحوال أسيرة لآراء ذاتية وتخمينات حدسية لم تصمد نتائجها أمام النقد العلمي الموضوعي ومن ثمّ تتلاشى آثارها ولم تثبت لها فائدة علمية في تطوير التعليم وتحسين فعالياته،وتظل في أحسن أحوالها أفكار نظرية بينما يسير التعليم في عملياته اليومية بتقاليد فولكلورية.وكما تخلف التعليم في مستويات إعداد المعلمين وفي آداءات عملهم معرفيا وبحثيا،فانه تخلف كذلك في تقنياته المهنية،ف42%من المبحوثين يرون أن الدورات التكوينية قد ركزت على كيفية التجسيد الفعلي للمقاربة بالكفاءة،والتي تستند على فكرة أن الطالب يمتلك معارف قبلية وخبرات مكتسبة من خلال ممارساته اليومية ويكفي أن يوظفها،مع مساعدة من المعلم إن استلزم ذلك،حتى يحقق مختلف الكفاءات في مختلف الوضعيات،قد يكون هذا صحيحا نظريا إلى حد ما،إذا كان التلميذ يعيش في مجتمع منفتح ومثقف وسط مرافق مجهزة بالتكنولوجيا الحديثة،لأنه في هذه الحالة باحتكاكه بالمثقفين وبممارسته لنشاطات متنوعة فيها الكثير من التحديات،يكون قد اكتسب بالفعل بعض المهارات الأساسية التي يمكن للمعلم تنميتها وتفعيلها في القسم من خلال وضع التلميذ في ظروف مماثلة لتلك التي يعيشها يوميا.وعليه فإن المواضيع المقترحة في الكتب المدرسية الجديدة ترتبط كلها بواقع الحياة اليومية للمتمدرس،والمعلم مطلوب بإنهاء كل وحدة تربوية بمشروع يقوم به التلاميذ على أساس معلومات حقيقية يتم جمعها في الميدان مستعينا بالتقنيات والمعدات المستعملة في الحياة الحديثة.– من الواضح أن كلاً من المدّرس والتلميذ اللذان حالفهما الحظ في العيش في محيط حضري لا يمكن إلا أن يكونا راضييّن عن عملهما بهذه الطريقة الجديدة؛– اما58% من المبحوثين يرون في التعليم البنكي الذي يعتمد على حد كبير على ثقافة الحفظ واللفظ هو الأسلوب المسيطر فهو يعتمد بالدرجة الأولى على تخزين معلومات ذرية في ذاكرة سلبية،وتسترد حرفيا في امتحانات

تحصيلية أو استرجاعية ولم يستفد كما يجب من ثورة التكنولوجية.بينما نجد أن المؤسسات الحديثة تعتبر البحث والتجريب عنصرًا أساسيًا في برامج الإعداد والتدريب،وتستخدمه وتعتمد نتائجه كأساس للتحسين والتطوير المستمرين.

خاتمة

تعد إستراتيجية التنمية المستدامة للمعلمين من الاستراتيجيات المطلوبة،نظرا للارتباط بين التعليم وحركة الإنتاج في المجتمع من جهة،وبين التعليم والتقدم العلمي والتقني من جهة أخرى،ومن أبرز القناعات التي توصلت إليها هذه الدراسة أن إعداد المعلم عملية مستمرة تشمل الإعداد قبل الخدمة والتدريب في أثناء الخدمة،وعلية فإن التنمية المهنية للمعلم عملية تتصف بالديمومة ولا تنتهي عند تخرج الطالب من الجامعة،فقد أملت التطورات تفكيرا جديدا في مهام المعلم،ومراحل إعداده،والتي أصبحت تتوثق وتتم وتتكامل في منظومة تعليمية هدفها الاحتفاظ بكفاية المعلم مدى حياته المهنية.إن طرح الاستراتيجيات الجديدة داخل النظام التعليمي لتطوير أداء المعلم يتطلب شروطا أساسية مثل الاستجابة لحاجة يحس بها المعلم والمدرسة والمجتمع،وان تتوفر لها قيادة توجه وتحفز وتتبنى المنهج الإستحداثي،ولذلك فإن توفر المواد التعليمية والوسائل والتجهيزات والمباني الملائمة،فضلا عن التشريعات والتنظيمات الإدارية،وتوفير المناخ الملائم لاضطلاع المعلم بدور جديد فعال في تحديث وعصرنه التعليم،وممارسة البحوث،من خلال اعتراف المجتمع بأهمية دوره وترجمة ذلك إلى تقدير مادي اجتماعي،هو شرط أساسي لوضع الأمور في نصابها الحقيقي،وتحقيق التغير الاجتماعي المنشود،وهناك إجماعا على ضرورة امتلاك مهنة التعليم معارف واضحة ومحدودة فيما توجه مساراتها مجموعة من المهارات الضرورية للممارسة المهنية.و يتفق الجميع على أن الوضع القائم بحاجة إلى تغير أو إصلاح شامل،وإن إعداد وتدريب المعلمين وإن ادخل على برامجه الكثير من التوجهات التي تؤدي إلى تحقيق تعلم أفضل فانه لازال أكثر التصاقا بعجلة المؤسسات التقليدية التي لا تقدم عمليا الفرص المتكافئة للمعلمين،وما نتطلع إليه وينبغي حدوثه هو إن يتهيأ للمعلم كافة المعطيات والحوافز والظروف الموضوعية والدعم المؤسسي والمهني والنقابي ليمارس دوره المتغير في مختلف الجوانب.إن التعاون في مجال إعداد المعلم يجب أن ينفّذ على المستويات الثنائية والإقليمية والعالمية وذلك لتشجيع صياغة السياسات والخطط،وتدعيم تطبيقها في مجال التربية قبل الخدمة وأثنائها،من اجل أن تسهم الأنشطة التربوية على نحو أفضل في التقدم الاقتصادي والعلمي والتكنولوجي والاجتماعي والثقافي،وكذلك في تشجيع الأنشطة التربوية التي تسهل إدخال التجديدات المناسبة في إعداد المعلم وتنميته مهنيا،ولكي يمكننا الارتقاء بالعملية التعليمية والمعلم معا،ينبغي على الذين تقع عليهم المسؤولية أن يأخذوا بزمام المبادرة في اتخاذ قرار الإصلاح والتطوير على أن يشركوا في عملية التطوير والتنفيذ المؤسسات الحكومية والمهنية والمدارس.... فذلك ادعى لكسب دعم اكبر من جانب كل الفئات المعنية بتحسين نوعية التدريس.

الهوامش:

[1] غنيمة محمد متولي.سياسات وبرامج إعداد المعلم العربي وبنية العملية التعليمية التعلمية،الدار المصرية اللبنانية.ط1، القاهرة،1996،ص125

[2] رشيد لبيب وجابر عبد الحميد ومنير عطاالله،الأسس العامة للتدريس،دار النهضة العربية للطباعةوالنشر،ط1، بيروت ،1983 ،ص32

[3] محمد منير مرسي،الاصلاح والتجديد التربوي في العصر الحديث،عالم الكتاب،مصر،1996. ص8

[4] حواشين برهان،الممارسات الإدارية لمديري المدارس الابتدائية لتحقيق النمو المهني للمعلمين كما يراها المعلمون والمديرون في الأردن،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة اليرموك،إربد،الأردن، 1988.ص98

[5] لخطيب،أحمد "دور مؤسسات إعداد وتدريب المعلم في تعزيز مهنة التعليم،مجلة دراسات تربوية،رابطة التربية الحديثة، المجلد4،الجزء 16،القاهرة 1989.ص135

[6] أحمد دينا علي،الاعتماد المهني للمعلم في ضوء خبرات بعض الدول المتقدمة،دار الجامعة الجديدة،الإسكندرية،2007 ،ص78

[7] البهواشي السيد عبد العزيز،تصور مقترح لتطوير النمو المهني في ضوء التغيرات المستقبلية في وظائف وأدوار المعلم وتجارب بعض الدول، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر العلمي السادس المعنون بـ تكوين المعلم،الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس،القاهرة،2004 ، ص147

الخطاب والممارسة الدينية في الجزائر قراءة في بندول التأرجح والتعدد

د.بووشمة الهادي

جامعة سيدي بلعباس

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص

تعدد الخطاب الديني ومن ثمة الممارسة الدينية في الجزائر هو نتاج طبيعي في حقيقته للتأرجح الذي يصيب هذا الخطاب وهذه الممارسة، فمن منظور البندول يمكن الوقوف وتفكيك هذا التأرجح والتعدد على جميع أطياف الخطاب الديني المكونة لمورفولوجية الحقل الديني بالجزائر، والتي هي بدورها ترجمة عملية لأنساق مختلفة من الممارسة، حيث يحضر الخطاب والممارسة الأرثوذوكسية – النصية للدين الاسلامي ويهمن لدى فئات اجتماعية بعينها، في مقابل الخطاب والممارسة الصوفية – الطرقية للإسلام عند فئات أخرى، مرورا إلى خطاب وممارسة شعبية للدين الاسلامي لدى عامة الشعب، وانتهاء إلى خطاب وممارسة سياسية وحركية وراديكالية وجهادية للإسلام من طرف منظمات وأحزاب سياسية وسلطوية أو حتى جماعات متطرفة.إذن كل هذا جعل من الحقل الديني في الجزائر يتموضع بين اتجاهات خطابية مختلفة، متضاربة أحيان ومتصارعة في أحيان أخرى، كل يعتبر نفسه الوصي على نسق الأسلمة الصحيحة وأن الآخر تتسم ممارساته بالبدعية والشرك أو حتى بالكفر، هذا جعل من علاقتها تتسم بهذا الشكل وتدور في شكل من التأرجح البندولي، الذي يفسر مجرى الأمر من خلال أربعة مستويات هي البعد والقرب مع الله والتوحيد والشرك، من زاوية أن كل واحد يستند في اتصاله مع الله على مرجعية سنية صحيحة، وأن خطابه وممارساته للإسلام هي الصحيح وهي الرابطة بالسلف والمؤدية إلى النجاة، بدورها تضاربت الاتجاهات المفسرة لذلك بين موضعة الأمر بين تعددية مرجعية ومن ثمة خطابية وممارساتية للإسلام بعد خروجة من الجزيرة العربية وأقلمته مع خصوصيات المجتمعات الأخرى، وبين تفسير يؤكد على أحادية الخطاب والمرجعية، في مقابل تعدد التأويل واختلافه تبعا لاختلاف السياقات الزمانية والمكانية والتاريخية والاجتماعية التي وضع في إطارها النص الديني

الكلمات المفتاحية:الخطاب، الممارسة الدينية، المرجعية، البندول، الاسلام الواحد، الاسلام المتعدد.

Résumé

La multiplicité du discours religieux et ensuite la pratique religieuse en Algérie et un résultat naturelle en sa réalité du swing qui touche ce discours et cette pratique, au point de vue de la pendule en peut s'arrêté et décomposer ce swing et cette multiplicité sur toute les spectres du discours religieux qui compose la morphologie du champ religieux en Algérie, et quelle est à son tours une traduction opérationnelle de plusieurs genre de pratique, ou se présente le discours et la pratique orthodoxie-textuelle de la religion islamique et domines chez des catégorie sociale précise, en vis-à-vis du discours et la pratique sophiste-mystique de l'islam chez d'autre catégorie, passant à un discours et pratique populaire de la religion islamique chez le peuple, à un discours et pratique politique et mobilité et radical et djihadiste de l'islam par des organisation et des partie politique et des partie du pouvoir ou même des groupes radicales.

Alors, tout ça à situer le champ religieux en Algérie entre de différent destination du discourt, contrarier quelque fois et combative en d'autre, tous se considéré comme le tuteure de la vrais islamisation et décrire les pratique de l'autre de hétérodoxie et la polythéiste et même l'incroyance, ce qui a fait de sa relation de cette façon et tourne dans une forme de swing pendulaire, qui explique le déroulement des faite par quatre niveaux sont le proche et l'éloignement avec dieu et unification et polythéisme , du point que chaque 'un ce base dans sa communication avec dieu sur une vrais référence sunnite, et son discours et ça pratique de l'islam est la vrais et la reliant avec les ancêtre et qui conduit au salut, de son tours les explication de ca se sont contrarier entre celle qui la mise entre multiplicité référentielle et ensuite discursif et exerçante de l'islam après sa sortie du péninsule arabique et sa rétablissement avec les spécificité des autres sociétés, et entre une explication qui assure l'unité du discourt et référence, en vis-à-vis de la multiplicité des interprétation et ca variation d'après la variation des processus temporaire et spatiale et historique et sociale qui a encadré le texte religieux.

تمهيد

على رغم من تسنن أهل الجزائر ومالكيتهم، إلا البلاد عرفت منذ العصور التاريخية القديمة لتعدد مذهبي وفي المرجعية من خلال وجود مرجعية سنية مالكية تتعايش إلى جانب المذهب والمرجعية الإباضية (الخوارج) المنتشرة في نسقها الممارساتي بمدينة غرداية أساسا، بالمقابل تعرف بقية الدول المجاورة جزءا من هذه النسق في المرجعية والمذهب ولو باختلاف عن الحالة الجزائرية حيث إلى جانب تسنن الغالبية من السكان المغاربة ومالكيتهم، إلا أن مجتمعاتهم تعرف حضورا لفئات سكانية أخرى يهودية ومسيحية.

من الناحية المعرفية لن نركّز من خلال هذا العمل على أمر تعدد المرجعية، بقدر ما التركيز بالبحث سينصبّ على تعدد الخطاب والممارسة وتناقضهما ضمن المرجعية السنية المالكية بالجزائر، حيث تشكيلات مختلفة تكوّن نسق الدين وممارسته بالجزائر، نقصد بها أساسا الاسلام النصي والمصطلح عليه بمسميات الأرثوذوكسي أو التقليدي واسلام الفقهاء والعلماء والطهوري والتوحيدي في مقابل الاسلام الشعبي الموصوم بالمغاربي والصوفي واسلام الأولياء والصلحاء واسلام المعيش، أما التشكيل الثالث فهو الاسلام غير المرئي والموصوم بالإسلام الاعدادي والسرّي واسلام المجموعات الطرقية القريبة من الصوفية.

إذن، هذا يعكس لنا ثلاثة خطابات وممارسات متعايشة تحت ستار الاسلام ومرجعيته السنية بأغلب المناطق الجزائرية مع استثناء للإسلام الإباضي، والملاحظ أن هذا التعايش يخفي في داخله تعارضا وتضاد بين النماذج المختلفة لبنية الاسلام(1) ونسقه في التعبد بالمنطقة المغاربية والجزائر بالخصوص.

إذن، العمل هذا سينصب ويتمحور أساسا على إشكالية الاسلام الواحد في مرجعيته ومذهبه والمتعدد في خطابه وممارساته، فعلى مدار تاريخ الجزائر والمغارب كان الصراع والتناقض والتضاد السمة الغالبة في نسق العلاقة بين هذه الاسلاميات والتدينات والخطابات، كل ادّعى لنفسه امتلاك الإسلام المثالي، في مقابل الآخر الذي رمي في خانة الخرافة والخروج والكفر وغيرها.

في هذا السياق تبنى الخطاب الفقهي المتعدد في نسقه التاريخي والمذهبي منذ سلفية ابن تيمية إلى الحركات الاصلاحية والاسلام الحركي والسياسي والجهادي في أسسه مجموعة من التأويلات والتفسيرات، التي اعتبر من خلالها الكتاب والسنة والاجماع والاجتهاد كأساس وقوام كل اسلام مثالي وصحيح، وبالتالي هو الأحق بالممارسة والاتباع، وما دون ذلك فهو من البدع والشركيات والمحرمات.

لأجل كبح ذلك، اتجه الفقهاء ممثلي هذا الخطاب إلى الدخول في جدال فكري وعقائدي مع ممثلي الخطابات الأخرى والممثلة أساسا في المتصوفة (الاسلام غير المرئي) وممارسي الاسلام الشعبي وطقوسه العملية، حيث اتسمت العلاقة بينهم في غالب الأحيان بالتوتر خصوصا مع التحول، الذي عرفه التصوف من النخبوي وانتقاله إلى العملي، ومن ثمّة الشعبي ابتداء من القرن 16 ميلادي، وما أفرزه ذلك من عقائد وتقاليد وعادات وممارسات دخلت ضمن نسق الممارسة للدين الاسلامي في هذه المجتمعات، وعكرت حسب الخطاب الفقهي صفوته ونقاءه الأول، وهددت نسق التوحيد الإلهي من خلال الأعمال الشركية والبدعية المتضمنة فيها.

ومن ثمّة كان من الواجب بالنسبة لهذا الخطاب ولممثليه تصحيح واصلاح ما اعتبر فسادا وانحرافا للإسلام، بعدما اعتنقته مجتمعات جديدة، مصاحبة في ذلك بطقوسها وعاداتها وتقاليدها قبل الأسلمة، ومعه تلون الاسلام بألوان وخصوصيات هذه المجتمعات خصوصا المغاربية، حيث احتوى نسقها الثقافي النسق الديني، وأصبحت ممارساتها تحيل إلى المقدس أكثر منه الدين الاسلامي، الذي اعتنقته طواعية أو لأغراض مبيّتة.

إذن، ستتلخص وتبوب هذه الخطابات الدينية، التي سنحاول المقاربة بينها في متن هذا العمل في ثلاثة تشكيلات مختلفة، تتماشى والتقسيمات الشائعة للإسلام في المناطق المغاربية خصوصا، حيث هذه التشكيلات تضم ما يسمى بالإسلام العَالِم، وهو يشمل في معناه ما يسمى بإسلام الخاصة والإسلام النصي والفقهي والأرثوذوكسي والطهوري والتوحيدي والسلفي والشرعي، أو اسلام الفقهاء والعلماء والاسلام الرسمي والاصلاحي [...]، وضمنه أيضا هناك أنساق فرعية لأنماط من الاسلام كالإسلام العالم الاحتجاجي، السياسي (الوصولي) والتكفيري والجهادي، والاسلام العالم المعلمن وغيره.

هذا النوع من الاسلام تاريخيا بالجزائر هو نتاج لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، يتميز بانتشاره بين فئات الطبقات المتوسطة، ويختلف عن التشكيلات الأخرى بكونه يرتبط أكثر بالممارسة المعرفية للنصوص الدينية المقدسة(2) وهو لا يؤمن ولا

يعتقد إلا في الله الأحد، ويعتمد على العلاقة الفردية والمباشرة مع الله، كما يُعتبر إسلاما يخصّ الحضر وأهل المدن والحواضر والأمصار الكبرى، فهو اسلام العلماء واسلام النص المكتوب والمرجعية النصية الموافقة لمصادر الشرع: (الكتاب والسنة والاجماع والاجتهاد)(3).

يقابل هذا النوع، ما يعرف بالإسلام العامي، والاسلام الشعبي، والاسلام المغاربي والاسلام المتعدد، والعملي والاسلام المعيش، يتميز هذا النوع بخصائص توفيقية ووظائف استرضائية، علاقته ضعيفة بالتأويل النصي المكتوب وهو أكثر تفتحا من أنواع الاسلام الأخرى حيث يتكيف مع دعاة التغيير الاجتماعي، إنه اسلام عملي عند الطبقات الشعبية(4) بما يُمكّنُهم من الاجابات عن بعض انشغالاتهم الآنية والسريعة، فهو "يسمح بالتوسط والتوسل والتجاوز الطقوسي والتعبدي والهرمية الدينية"(5)، كما يعرف بأنه "اسلام البوادي والهوامش، وهو اسلام التقاليد، التي يتداخل فيها ما هو اسلامي مع غيره من الممارسات والمعتقدات السابقة والشفهي والعرف، والتي لا تتطابق دائما مع النص الديني، والتي يصنفها الفقهاء في باب البدع، التي يجب محاربتها وخاصة منها ظاهرة التبرك وزيارة الأضرحة"(6).

التشكيل الثالث وإن لم يعد حضوره بنفس النسق الذي عليه التشكيلتين الأوليتين اللتين تكونان معظم إدراكات وممارسات الجزائريين، إلا أنه لم يختفي تمام ويبقى يعرف كإسلام غير مرئي بسبب طقوسه الدينية التي تحميه، وهو أيضا اسلام اعدادي من جهة وسرّي من جهة ثانية، لأنه مفتوح فقط لأتباع الأصوليين (المريدين)، إنه اسلام المجموعات الطرقية القريبة من الصوفية، وهو نوع لتدين اعتزالي للحياة اليومية حيث ممارسيه يفضلون اعتزال زخرف الحياة الدنيا والتوجه إلى الحياة الروحية(7)، فهو اسلام ذي خصوصية عرفانية ذوقية.

إذن، رغم أحادية المرجعية السنية للفئة الغالبة من الشعب إلا أن الاسلام بالمغارب والجزائر أنتج في معيشه تشكيلات وخطابات متصارعة ومتنافية، كل طرف ضمنها، يعتبر نفسه الوصي الشرعي على نسق الأسلمة الصحيحة والطاهرة، وأن الطرف الآخر تندرج ممارساته للإسلام في سياق الانحراف والبدعية والتشوه، وحتى التطرف والكفر، كل هذا سننقاش إشكاليته من خلال الطرح الفرعي المتضمن في العنوان، والذي نشير من خلاله أنه رغم أحادية المرجعية السنية العامة للفئة الغالبة من المجتمع الجزائري إلى أن نسق الممارسة والخطاب الديني الاسلامي يتراوح ويتعدد بندلومه بصيغة غيلنّر إرنست إلى تشكيلات متصارعة ومختلفة كما أشارنا إليهما سلفا.

إذن، يبدو من خلال هذا أن الحقل الديني الاسلامي بالجزائر يبقى دائما فضاء للتجاذب مثلما هو فضاء للهيمنة والتهميش بين مختلف الأطراف والخطابات المتصارعة والمتنافسة، فكل خطاب من الخطابات السالفة الذكر يريد أن يكتسب موقعا ويضع موطأ قدم على نسق الممارسة للإسلام ومن ثمة الهيمنة على حقلها، ولأجل ذلك يوظف كل خطابه آلياته المقعّدة المبنية في أسسها على رأسمال مستنبط من النص الديني وتأويله بما ينسجم وبحثه على التمركز المهيمن في مقابل بقية التشكيلات والخطابات الدينية الأخرى.

I- تحديد مفاهيم البحث:

1- الخطاب:

بداية الخطاب بالمعنى المعاصر هو كما يقول محمد عابد الجابري: "مجموعة من النصوص، والنص رسالة من الكاتب إلى القارئ، فهو خطاب. فالاتصال بين الكاتب والقارئ إنما يتم عبر النص، تماما مثلما أن الاتصال بين المتكلم والسامع إنما يتم عبر الكلام، أي عبر الاشارات الصوتية. وكما يسهم السامع مساهمة ضرورية في تحقيق هذا الاتصال الكلامي يسهم القارئ بدوره مساهمة ضرورية في تحقيق الاتصال الكتابي عبر النص. وبعبارة أخرى، فكما إن المعنى الذي تحمله الإشارة الصوتية هو في آن واحد من إنتاج المتكلم والسامع، فكذلك المعنى الذي يحمله النص في آن واحد من إنتاج الكاتب والقارئ. الكاتب

يريد أن يقدم فكرة أو وجهة نظر معينة في موضوع معين، وهذا خطاب، والقارئ يتلقى هذه الفكرة أو وجهة النظر كما يستخلصها هو من النص وبالطريقة التي يختارها بفعل العادة أو بوعي وإرادة، وهذا تأويل للخطاب أو قراءة له. هناك إذن جانبان يكوّنان الخطاب: ما يقوله الكاتب، وما يقرأه القارئ"(8).

من خلال هذا إذن، يمكن استخلاص أن الخطاب يشير في ما معناه، إلى مضمون رسالة موجهة لجمهور مستهدف من المتلقين، والخطاب الاسلامي في هذا السياق هو خطاب ذي صبغته اسلامية مدعمة بالدليل الشرعي، الذي يستند إلى نص القرآن الكريم والسنة النبوية من جهة، وتأويلات وتفسيرات العلماء والمفكرين المجتهدين وغيرهم، ومن ثمّة كان مستند هذا الخطاب إلى مرجعية اسلامية من أصول دين الاسلام، القرآن والسنة، أو أي من سائر الفروع الاسلامية الأخرى، سواء أكان منتج هذا الخطاب جماعة اسلامية أم مؤسسة دعوية رسمية أو غير رسمية أو أفرادا متفرقين جمعهم الاستناد إلى الدين وأصوله كمرجعية لرؤاهم وأطروحاتهم(9).

من حيث ممارسة هذا الخطاب ميز الباحث محمد جمال باروت بين ثلاثة مستويات من الممارسة:

– المستوى الأول: سماه بالإسلام الشعبي وهو اسلام يرتبط حسبه بآليات التدين التقليدي الذي تكتسب فيه العبادة صفة العادة المتكيفة مع عادات وتقاليد المجتمع المحلي وخصوصياته الثقافية والحضارية والاجتماعية(10).

– المستوى الثاني: وصمه بالإسلام الرسمي المرتبط حسبه بالمؤسسة الفقهية المشيخية التي غالبا ما تكوّن جهازا إيديولوجيا من أجهزة الدولة، ويمكن وصفه على نحو ما بإسلام رجال الدين.

– المستوى الثالث: وصمه بالإسلام السياسي، هذا النوع يرتبط حسبه نظريا وحركيا بشعار الدولة الاسلامية، الذي تتبناه الجماعات والحركات الاسلامية السياسية المعاصرة(11).

2– المرجعية:

في معناها اللغوي المرجعية من فعل (رجع)، أي عودة الشيء إلى الشيء، وهو الأكثر استعمالا، وهذا المعنى متحقق في مصطلح (مرجع) و (مرجعية)، إذ حقيقته عودة السائل والباحث والعالم إلى أصل يستند إليه، كما هي في معناها ردّ القضايا والأمور إلى مستند ما، مثلما تعني النموذج العلمي والمعرفي الذي يصدر عنه الجواب وتتم العودة إليه طلبا لذلك(12).

في سياق متصل لفظ المرجعية هو من المصطلحات المتأخرة، التي لم يكن لها وجود في الكتب القديمة، واصطلاحاها يستعمل بكثرة عند الطائفة الشيعية عنها السنية حيث تختلف المرجعية في معناها وأهميتها ومداه، والمقصود بها، فالشيعة يستعملون مثلا المرجعية للتعبير عن مقام علمائهم وفقهائهم ومنزلتهم شبه المطلقة في الطاعة والاتباع(13)، وهي مرتبة يصل إليها الشيعي بعد معراج طويل من المريديّة والتعليم الديني في الحوزات العلمية.

عموما المرجعية هي "الإطار الكلي والأساس المنهجي والركيزة الجوهرية في أي خطاب أو ملة أو مذهب أو دستور أو نظام"، فهي إذن المصدر النهائي الذي تردّ إليه الأمور وتنسب إليها، كما يمكن تعريفها بالنظام الكليّ العام والمصدر الضروري لتفسير كل شيء من خلال هذا النظام المرجعي الكلّي، وفي هذا المستوى تفترق المرجعيات السائدة في عالمنا اليوم إلى مجموعتين الأولى ترى أن المرجعية النهائية والكلية تعود إلى واحد أعلى من الانسان والكون والمادة والطبيعة وهو الله، والثانية ترى أن المرجعية النهائية والكلية تعود إلى العالم، أي أن هذا العالم يحوي داخله ما يكفي لنشأته وصيرورته واستمراره وتفسيره في إطار المادة التي يتكون منها كل شيء ويؤول إليها كل شيء وليست هناك حاجة لأي مرجعية خارج النظام الطبيعي، كما هناك مرجعيتان أخريان هما السماوية المحرفة والوثنية(14).

إذن، المرجعية بهذه المعاني تنتهي إلى اعتبارها "الفكرة الجوهرية التي تشكل قاعدة لكل الأفكار والمعتقدات في اتجاه ما أو مذهب ما، وتبرز أهمية في كونها تمثل الركيزة الثابتة، والتي لا يمكن أن يقوم أي خطاب أو معرفة أو رؤية بدونها"(15).

3- البندول (Pendulum):

لفظ البندول استخلصه بداية الفيلسوف الانجليزي ديفيد هيوم (1711- 1776) حينما بدى له في تفسيره لممارسة الإنسان للدين أن هذا الأخير يتأرجح مثل ما تتأرجح مطرقة الصوت بالكنيسة، فالإنسان حسبه تأرجح في تدينه من التعددية إلى التوحيد ثم إلى التعددية من جديد، عندما أصبح مفهوم الله شديد التجريد، حينذاك احتاج حسبه المؤمن إلى وسيط حسي يصل بينه وبين الله(16).

إذن، من هذا المنطلق استخلص بدوره غيلنر (Gellner) وطوره إلى نظرية مسماها بـ"البندلوم (Pendulum)"، والتي توصل فيها إلى تشكيلتين مميزتين ومتصارعين لإسلام المغاربة، تتأرجحان بين "دين رسمي وهو ممثل في قطب التوحيد والوحي والمساواة في الايمان، ودين شعبي ممثل في قطب التعبد للأولياء والاختبار والحدس والتدرج في علاقة المؤمن بالله"(17)، فالحاجة الانسانية إلى ذلك تبدو واضحة حسب غيلنر (Gellner)، "فالتقرب من الذات العلية القوية في حاجة إلى التوسل والوسطاء والشفعاء، كما أن من شأن استخدام هؤلاء الوسطاء المعترف بهم أن يعبر في حد ذاته عن احترام مناسب وتبجيل، ومن ثمة يقوي امكانية الاستجابة والقبول، والإله نفسه يحتاج هو الآخر أمثال هؤلاء الوسطاء، وهذا يقوي مواقعهم ومكانتهم، وهو ما يدفع البندلوم للتأرجح في الاتجاه المعاكس"(18).

فهذا التأرجح البندولي يفسره غيلنر (Gellner) من مستويات متعددة أولها التركيز على عنصر تدفق الدين وممارساته وإعادة تدفقه، وثانيها فكرة البعد والقرب من الله، وثالثا فكرة التوحيد والشرك والتعدد، ومن ثمة الايمان والكفر، فحسبه كل ذلك يسير بشكل من التأرجح البندولي الذي لا ينتهي سواء في ممارسات الانسان للدين أو حتى عندما يتعلق الأمر بخطابه ورؤاه واتجاه الذي يحدده في ذلك.

II- الإسلام الواحد أو المتعدد:

بداية، الثيولوجيون المعتدلون نظروا إلى اسلام واحد وليس متعدد فليس هناك اسلام تقدمي وآخر رجعي حسبهم وليس هناك اسلام ثوري وآخر استسلامي، وليس هناك اسلام سياسي وآخر اجتماعي، أو اسلام للسلاطين وآخر للجماهير، بل إن الاسلام واحد، وكتاب واحد أنزله الله على رسوله وبلغه رسوله إلى الناس، هذا القول يبدو متناقضا مقارنة بتاريخ الاسلام ذاته، ذلك أن هذا التاريخ شهد تعددا في الاتجاهات والتيارات والفرق، التي قامت لأسباب اجتماعية واقتصادية وسياسية وصاغت مواقفها بالتأويل والاجتهاد في فهم النصوص.

إذن، لا يمكننا أن ننكر هذا التاريخ الاسلامي الذي عرف الخلافات العدة والتعدد في الرؤى، بسبب تعدد تفسيرات النص الديني الإلهي خصوصا، وبسبب تغير الظروف الاقتصادية والعلمية والاجتماعية والسياسية أيضا، فقد فسر النص الديني بتوجهات عدة ومستويات مختلفة ومن وجهة نظر متعددة، فالنص لم يرتبط فقط بالفقه وعلم الكلام، ولم يكن بالإمكان استيعاب الحقائق القرآنية بشكل واحد ونهائي ولكل البشرية(19)، ولذلك جرى تفسيره ومن ثمة تأويل ذلك بما يتناسب وسياقات الحضور.

إذن، الاصرار على الاسلام الواحد ورفض التعددية في مقابله يؤدي حسب حامد أبو زيد إلى نتيجتين: الأولى أن للإسلام معنى واحدا ثابتا لا تؤثر فيه حركة التاريخ، ولا يتأثر باختلاف المجتمعات، فضلا عن تعدد الجماعات بسبب اختلاف المصالح داخل المجتمع الواحد، أما النتيجة الثانية فهي أن هذا المعنى الواحد الثابت يمتلكه جماعة من البشر هم علماء الدين قطعا، وأن أعضاء هذه الجماعة مُبرَّأُون من الأهواء والتحيزات الانسانية الطبيعية(20).

تفكيك وفهم علاقة التناقض هذه عادت إليه الدراسات السوسيو تاريخية حول الدين، والاسلام بالخصوص، حيث أول ما انطلقت منه هو تفكيكها لهذه المنظومة الدينية الاسلامية إلى تشكيلات مختلفة، الاسلام العالم والفقهي وهو المثالي يقابله

الاسلام الصوفي في مقابل الشعبي والعام والمعيش والمغاربي، أما النقطة الثانية في تفكيك وفهم هذه العلاقة، هي أن هذا الصراع والتناقض والنقد المتبادل بين الاسلام الأول من جهة والثاني والثالث من جهة أخرى يتأسس في أساسه وأصوله ومرجعه إلى وجود ودعم "سلطة نافذة تستأثر بوظيفة تقعيد الممارسات والعقائد، وتؤمّن ضبط "الصراط المستقيم" ضبطا صارما يؤدي إلى رمي العقائد، التي لا تعترف بها هذه السلطة في دائرة منفصلة عن دائرة الاسلام الرسمي"(21).

في هذا السياق يتأسس نقد ممثلي الخطاب الأرثوذوكسي والرسمي مثلا للإسلام الشعبي على معايير دينية مقعّدة، تستند حسبهم على الكتاب والسنة النبوية، على أساسها تمّ تصنيف عقائد الاسلام الشعبي، كنمط للتدين الشعبي البدعي والشركي، الذي يتضمن عقائد العوام، وتتداخل فيه مجموعة من الطقوس والممارسات والمعتقدات البدعية والانحرافات، التي تمُتُّ إلى تجربة دينية وتراثية قديمة لهذه الشعوب سبقت حركة الأسلمة، واستمرت معها، وهي ذات رواسب ومرجعية وثنية بدائية أو جاهلية، لذلك اقترن الاسلام الشعبي في كليته – حسب الفقهاء- بكل أشكال البدع والانحرافات والمحرمات، التي هدّدت وتهدد باستمرار صفو العقيدة الاسلامية الصحيحة(22).

السؤال الذي يمكن أن يطرح في هذا السياق على لسان الباحث المغربي الزاهي نور الدين هو: "من يملك حق الوصاية على الاسلام؟ من يمتلك حقيقته؟ ومن له الحق في تحديد الحدود بين الاسلام الطاهر والاسلام المشوه؟"(23).

من ناحية أخرى عندما نتحدث عن المرجعية السنية هل نحن نتحدث عن مرجعية واحدة بمعناها العملي أم أن الأمر يحيل إلى مرجعيات نظرية متعددة كما هو حال الاسلام الاصلاحي مثلا والصوفي وغيره؟، أمام هذا كيف يمكن تفسير ممارسات الاسلام وخطاباته بالمنطقة المغاربية والجزائر بالخصوص؟، هل يمكن تفسير ذلك من منطلق نظري يحيل إلى اعتبار أن الاسلام بخروجه من بيئته الأصل إلى بيئات وجغرافيات وثقافات أخرى أدى إلى تلونه بها ومن ثمة تعدده، أم أن الاسلام هو واحد على مرّ العصور والجغرافيات والثقافات، فقط تأويل الفاعلين الدينيين هو الذي تبدّل وتلون واختلف تبعا لاختلاف وتبدل السياقات، التي وضع وفكك من خلالها النص الديني؟؟.

لإجاد الممكن الموصل للإجابة عن هذه التساؤلات ارتئينا أن نفكّك هذا المبحث إلى نقطتين مختلفتين تبعا لتعدد الطروحات، التي قدمت في هذا السياق وعكس العنوان الرئيس لهذا المبحث سنبدأ من فرضية التعدد وننتهي بطروحات الاسلام الواحد.

1- الاسلام المتعدد بتعدد الثقافات:

الرأي المنحاز لهذا الطرح ينطلق من مبدأ التعدد الذي عرفه الاسلام في مرجعيّته وممارساته وخطابه، هذا الأخير لا نقصد به كلام الله، فالقرآن الكريم فقط هو كلام الله لفظا ومعنى، أو أحاديث الرسول (صلعم) الموحى بها معنى ولفظها من عند الرسول الكريم، فالخطاب الذي ندرسه هنا هو عبارة عن اجتهادات المسلمين داخل الزمان والمكان تاريخيا. ولذلك فهو يتسم بالتنوع والتعدد والكثرة، ومحطات التاريخ الاسلامي حبلى بهذه الكثرة والتعددية والتنوع من خلال الاجتهادات المختلفة(24).

فمنذ أن خرج الاسلام من المشرق (دار الاسلام) بين زمني الهجرة والعصر العباسي إلى مصر والمغرب وأوروبا وآسيا(25)، ومنذ موقعة الصفين عام 657م بدأت مرحلة جديدة من التعدد المذهبي والمرجعي والتعصب للرأي والخطاب(26) ذلك انعكس لاحقا على الاسلام بالمغارب والجزائر، وإن ليس بنفس الحدية التي عرفها اسلام المشارق، ولكن فسيفسائه وممارساته أخذت من ذلك، مثلما تلونت بلون الثقافات والبيئات التي نزل بها الاسلام، وهنا تطرح الدراسات الأنثروبولوجية وسوسيولوجيات الاسلام خصوصا منها الكولونيالية أن الاسلام بالمغارب والجزائر عرف نمطين وتشكيلتين وخطابين بارزين للإسلام، الأول صنف كما سلف في خانة الاسلام العالم والثاني صنف ووصم بالإسلام الشعبي والصوفي والعملي والمعيش وغيره، نشير في هذا سياق أن النمطين الثاني والثالث المشار إليهم سلفا قد أُدْمِجَا ضمن نسق واحد هو نسق الاسلام الشعبي والصوفي.

إذن، كل طرف من هذه الأطراف حسب هذه التفسيرات قدم نفسه كمرجع ووصي شرعي على نسق الاسلام الصحيح والطاهر وممارساته، فرأ كل "مذهب أنه التجسيد العملي للنص مع أنه لم يكن هناك مقياس موضوعي لقياس هذا الادعاء"(27) وبالمقابل رمى كل طرف وكل مذهب الآخر وممارساته للإسلام في خانة الانحراف والبدعية والتشوه، أو في التطرف والكفر، ولكي نفهم بعض ذلك لابد من التأكيد على أن نسق الممارسة للإسلام بالمغارب، ارتبط شعبيا عبر كل الزمن، الذي مرّ به بِكمّ من المعتقدات والخرافات ما قبل اسلامية، التي بقيت موازية ومتواجدة جنبا إلى جنب مع طقوس ومعتقدات الاسلام الرسمي.

لنفهم ذلك أكثر، ما يُوصم بالإسلام المغاربي اليوم حسب الباحث عناية عز الدين: "لم يكن في تاريخه بترا أو تجاوزا للعقل الميثي في شمال أفريقيا، وإنما قام بعملية أسلمة للميراث الأسطوري المحلي،[...]، إذ الاسلام ما كان له ليتجذّر لو لم يقم بعملية تبنّ وأسلمة للأسطوري والشعبي الموجود، وبهذا العمل أكسب المحلي ديمومة الاستمرار وأكسب الوافد شرعية التواجد، فأنتج الاثنان المقدس المحلّي"(28).

يتقف محمد صالح الهرماسي مع هذا الرأي إلى حد كبير، في اعتباره أن الدين لم يكن لينجح لو لم يتلون بلون الثقافات ويتفاعل مع العادات والتقاليد المحلية للمجتمعات التي أسلمت، ومنه حسب فتحي تريكي، "بدون انكار عنصر العقيدة، فإن الاسلام كان متعددا في كل الأيام، مثلما كان من الضروري له أن يتأقلم وأسس المجتمعات حيث يكون وظيفيا"(29)، لذلك حسب صالح الهرماسي وباستثناء حقبة الرسول (صلعم)، التي يكاد أن يكون فيها التطابق تاما بين النص وسلوك المسلم اليومي، فإن بقية الحقبة، التي اتسعت فيها رقعة الاسلام، كانت فاتحة لمجال تغير سلوك المسلم، ومن ثمّة كان لابد للإسلام أن يؤثر فيها ويتأثر بها، لينجم عن ذلك رؤى وممارسات مختلفة، وهذا ما يفسره التعدد المذهبي وفي المرجعية (سنية – شيعية مثلا) وكذا تنوع سلوك المسلم الفردي والجمعي(30).

نجم عن ذلك إذن، تلون الاسلام بثقافات وعادات وتقاليد ومعتقدات الشعوب قبل الأسلمة، فأصبح هناك اسلامات بدل اسلام واحد، من ذلك الاسلام المغاربي، الذي اتجه من خلاله المغاربة إلى التخفيف من صرامة الشريعة الاسلامية، وادخال بعض تقاليدهم في ممارسة هذا الدين، أدى في النهاية إلى ما يمكن تسميته حسب الهرماسي صالح "بالإسلام المعيش"(31).

في السياق نفسه يسري الباحث الجزائري علي الكنز على نفس المنحى التعددي للإسلام، حيث اعتبر الاسلام لم يكن أبدا الوحدة المنسجمة، والتي تخفي الممارسة الجماعية، بل إنه نماذج متعددة للإسلام، الذي تراوح حسبه بين أربعة نماذج، الأول سماه بالإسلام الشعبي والثاني بالإسلام الأرثوذوكسي أو التقليدي أما الثالث فسماه بالإسلام غير المرئي والطرقي في حين سمى الرابع بالإسلام الوصولي واختصر نموذجه في الاسلام السياسي والراديكالي(32).

سوسيولوجيا، وتوافقا مع رؤية عناية عز الدين خصوصا، يمكننا تفسير وتحليل ذلك من زاوية أن الاسلام في شكله الأول لم يكن بإمكانه أن يجيب مهما اتسعت شبكته الفقهية العقدية والوجودية والغيبية عن كافة مسائل الوجود، خصوصا منها التي تتعلق بقلق الانسان وتساؤلاته المتولّدة باستمرار، جراء المرض، صعوبات حياتية، غموض مستقبلي وغيره، ومن ثمّة شكّل التصوف ومن خلاله الاسلام الشعبي بديلا لإسلام الفقهاء، الذي نعت بالتشدّد والجفاء، بينما التصوف في البوادي وجد فيه الانسان الشعبي الاشباع الروحي الكامل حيث كان له فيه المتنفس والتأويل، كما وجد في الاسلام الشعبي، الدين الأكثر اتساعا والأكثر مرونة واستيعابا للخرافي الغيبي من الدين الرسمي، ورغم كل ضروب المحاصرة للإسلام الشعبي ولممارساته وطقوسه من طرف فقهاء وممثلي الدين الرسمي الأرثوذوكسي، ووضع عقائده ضمن الوثنية والبدعية، إلا أنه استمر وبقي ساريا لتمكنه من الاجابة عن بعض حاجات الانسان المقهور اجتماعيا(33).

أكثر من ذلك، لم يعد الاسلام الشعبي بمحموله الطقوسي والعقائدي مجيبا فقط عن الحاجات الفردية، بل إن الحاجات الجمعية بدورها أصبحت ضمن نطاقه، خصوصا عندما يتعلق الأمر بالطقوس الجماعية الاحتفالية والقدسية خصوص منها الموسمية التي تقوم به الجماعات والقبائل والطرق والزوايا حول أضرحة أوليائها، والتي بدورها تتضمن في نسقها التركيبي لعدد من الطقوس، كطقس التضحية والزيارة والأكل الجماعي، والفروسية والرقص، والتي تحيل بدورها إلى اعتبار مثل هذه الطقوس كفضاء "يمتزج فيه الديني بالدنيوي، الجسدي بالروحي، والخارق بالعادي، كما يكون في بعض المناطق مجالا سانحا للممنوع، خلال طقوس الحضرة خصوصا"(34).

هذه العناصر، التي تصنف في الممنوع، هي ما جعل الخطاب الفقهي والثيولوجيا الاسلامية النصية ترمي ممارسات وطقوس الاسلام الشعبي بالبدعية، الشيء الذي كان دافعا للفقه والفقهاء إلى فترات من التوتر مع المتصوفة، ورغم ذلك كان هناك فترات لنوع من التعايش بين الاسلامين في الأقطار المغاربية خصوصا، نظرا لأن الاسلام الشعبي على اختلاف وتشعب ممارساته وطقوسه ومصادرها، إلا أنه لم يبلغ أبدا في تاريخه حد تغيير العقيدة الاسلامية ومرجعية الدين الاسلامي أو التشكيك في وحدانية الله، بل يبقى ذلك كما يقول صالح الهرماسي "وجها من أوجه التفاعل بين الاسلام كدين والخصوصية المغاربية، خصوصا أن الاسلام في شكله الأول يحمل صورة لذلك الدين المثقل بالنواهي والمحرمات الفقهية، التي لا تكاد تجد لنفسها مكانا في المجتمعات المغاربية، حيث جرى ما يمكن اعتباره نزوع المغاربة إلى أقلمة النص مع المعيش، وبذلك يبدو الاسلام المعيش في المناطق المغاربية متحررا إلى حدّ بعيد من قيود الشريعة، دون أن يفقد شيئا من قوة العقيدة"(35)، الأمر لم يختلف مع الباحث التونسي الآخر الهرماسي محمد عبد الباقي، الذي اعتبر أن "الاسلام المغربي هو نتيجة تكيف تاريخي متبادل بين القيم التي طرحتها الرسالة، وبين الهياكل الاجتماعية والثقافية للمنطقة"(36).

2- الاسلام الواحد وتأويلاته المتعددة:

الأمر يختلف مع الباحث المغربي الزاهي نور الدين مثلا في تفسيره لهذا التناقض بين تشكيلات الإسلام والصراع بينها حيث يبدو له أن الاسلام واحد "خصوصا بوصفه نموذجا ومرجعية نظرية، لكن الاختلاف حاصل في التأويل حسب كل سياق تاريخي- اجتماعي، بمعنى الشروط التي أطرت نزول القرآن ليست هي ذاتها التي أطرت حضور الاسلام في المجتمعات المغاربية، هذا الاختلاف والمفارقة يحتضنان الاختلافات بين الاسلام النموذج أو المرجع النظري للإسلام التاريخي والسياسي والاجتماعي [...] فكما أوّل الصلحاء والزوايا الاسلام أولته بقية الحركات الاصلاحية"(37)، هذا الرأي يتوافق والحاصل في تاريخ " 1900 بالجزائر مثلا، التي كان يقتضي فيها أن تكون مسلما تام الاسلام المشاركة في الطقوس الصوفية، وبعدها بخمسة عقود، كان الرأي المسيطر هو أن مثل هذه المشاركة تحرم صاحبها من حق ذلك الادعاء"(38).

من هذه الزاوية إن البحث عن الرجوع إلى الاسلام الأول غير ممكنة حسب هذه الآراء، لأن التاريخ لا يمارس الرجوع أو العودة، وهنا يَحْضُرُ الخطاب الديني كخطاب ايديولوجي، لأنه يخفي ارتباطاته بالسياق الاجتماعي آلياته المعقدة، فالإسلام الطاهر أو اسلام السلف، الذي تعلن الحركات الاصلاحية تشبثها به لا يمكنه أن يكون كذلك نظرا لسببين اثنين: "الأول يتمثل في أن الاسلام الطاهر لا يمكن تحديده إلا بمقارنته مع الاسلام المشوه والمنحرف، وبذلك لا يمكن لأحدهما أن يوجد إلا في ظل وجود الآخر، والثاني أن الاسلام الطاهر أي اسلام المدينة ليس خاليا من العناصر "غير الطاهرة"، فحتى اسلام المدن لا يخلو من المعتقدات الطبيعية ومن الاعتقاد في الجن وتقديس الأولياء. خصوصا عند الفئة الأنثوية حيث اسلامها يغرق في العناصر الريفية المنعوتة بالبدع والخرافات"(39).

في نهاية هذه الآراء ينبغي التأكيد ابستمولوجيا على أن أحادية الاسلام أو تعدده من حيث المرجعية والمذاهب والممارسات والتأويلات تبقى من الإشكالات المطروحة والتي تشغل بال عديد الباحثين إلى اليوم سواء منهم في الثيولوجيا وتاريخ الأديان

أو حتى في سوسيولوجيا الدين والاسلام، إلا أن المختلف يبقى في نسق التحليل والتفكيك وفي آلياته المستخدمة، ومن ثمة وباعتبار أن تحليل هذا العمل سيكون من زاوية سوسيولوجية محضة فلن يكون لنا موقف رجل الدين أو الثيولوجي، فنحن لا يمكننا ممارسة نفس الفعل، فقط المطلوب أن نقف بموضوعية من ذلك، هذا ما سنحاول الوقوف عليه في المباحث اللاحقة من خلال التركيز على مرجعية وخطاب وممارسات مختلف التشكيلات من حيث الوحدة والتعدد.

III– مرجعية الاسلام العالم– الأرثوذوكسي وخطابه المتعدد:

هذا الخطاب إذن، يندرج ضمن ما وُسِمَ بالإسلام العالم والنصي والفقهي والأرثوذوكسي والطهوري وغيره من الاصطلاحات والمعاني، التي تتضمن نوع من الاسلام "يشدد على النصوص والشريعة والتوحيد والسنّة والوحي ومساواة المؤمنين أمام الله (غياب الوسيط بين المؤمن والله)، ويمارس في الأغلب في المدن من قبل المثقفين ورجال الدين الرسميين"(40)، فهو نوع من الاسلام ذي الأساس الفقهي الكلامي الذي ضبط أفقه المفاهيمي والتأسيسي في مجال الشريعة والنصوص الرسمية(41)، وقد صيغت مبادئ هذا الخطاب في إطار سلفية الاصلاح الديني التي بدأت في القرنين الماضيين، من خلال ممارسة فعل العودة إلى النص الخالي من التاريخ الاجتماعي والكهنوت وهي عودة وصمت بعودة النخبة(42).

يعرف هذا النوع إذن في إطار المقارنة مع نوع آخر مختلف وتعرفه العديد من المناطق المغاربية والجزائر بالخصوص، وُصِمَ هذا النوع بالإسلام العامي، أو الاسلام الشعبي والمغاربي وغيره، وهو نمط من الدين "يسمح بالتوسط والتوسل والتجاوز الطقوسي والتعبدي للأجداد والأولياء والهرمية الدينية"(43)، هذا النوع هو دين القاعدة العريضة من الشعب، والتي على عكس النخبة فكت ارتباطها بالنص وتأويلاته وصاغت لنفسها ايديولوجية شعبيّة من عقائد السابقين واللاحقين، وهي ايديولوجية اللاوعي المتحرر من أنماط الفكر النخبوي(44)، كلا هذين النوعين يتميزان بنمط ومنظومة طقوسية وعقدية وممارساتية مختلفة، توصف أولها بالعقيدة الرسمية والأخرى بالمعتقدات الشعبية.

ولأجل مجابهة هذه المعتقدات والطقوس الشركية والبدعية المرتبطة بها نشط خطاب فقهي نصوصي، حمل مهمة إعادة تصحيح مسار الاسلام والتدين بشكل يعيده إلى نقاوته النبوية، وكان ذلك متسلسلا في تاريخيته مع بداية سطوة وسيطرة الاسلام الشعبي والتصوف على قرائح وعقل الانسان الشعبي المغاربي والجزائر خصوصا.

1. الخطاب السلفي: نحو أحادية المرجع والمذهب:

مضمون هذا الخطاب ومنهجيّته يقومان على رفض التقليد المذهبي الفقهي والعقائدي، والعودة في ذلك إلى الأصل: الكتاب والسنة وتجربة الخلفاء والأصحاب والتابعين، ومحاربة الوسائط بين الخالق والمخلوق بتقديس الأضرحة والتقرب إليهم ومحاربة الطرقية والبدع في الدين، كما تقوم منهجيته على أولوية النص المطلقة على العقل(45).

يمثل هذا الخطاب كل من الشيخ ابن تيمية (1263م / 1328م) كرائد وشيخ للحركة، كان حنبلي المذهب، وتلامذته ابن القيم الجوزية وابن كثير [...] وخلفائهم من بعد أمثال محمد بن عبد الوهاب، وفي زمن قريب الشيخ ناصر الدين الألباني وعبد العزيز بن باز، ويُدرج خطاب هذين الأخيرين ضمن ما يسمى اليوم بالسلفية العلمية بالجزائر، وتحت مسمى حركة الأصوليين التي تمجد "العصر الذهبي" الأول وتدعو إلى العودة إلى أصوله وتعمل على فرضه بصورة مطلقة وشاملة باعتباره المعيار الأوحد لتصور ما حدث في التاريخ وما سيحدث في المستقبل، فالجهد الفكري لأصحاب هذا الخطاب انصبّ ووجه تماما للرجوع باستمرار إلى الكتاب والسنّة لفهم كل المشاكل التي تطرحها علاقة الانسان بالعالم والطبيعة والانتاج والمجتمع والقانون وغيره، فكل تفكير سواء أكان علميا أم غير علمي، جماليا، أخلاقيا أو سياسيا، هو في النهاية مجرد عمل تفسيري وتأويلي لما جاء في الكتاب والسنّة(46).

كل هؤلاء ناهضوا في دعوتهم وفتاويهم ومناظراتهم ما سموه بالخرافات والبدع(47) وتقديس الأضرحة ومقابر الأولياء والصالحين التي تميز اسلام العامة، والتي اعترت ممارسته بالمشارق والمغارب، وركز بالمقابل هؤلاء على وحدانية الألوهية والربوبية والبعد عن التوسل إلى الله بمخلوقاته، والعودة بالمسلمين إلى الممارسة النبوية الأولى(48)، أو ما يمكن وسمه بالإسلام المثالي، الذي ينشد إعادة احياء الاسلام الأول، المعتمد في مشروعيته على الكتاب والسنة والاجماع والاجتهاد.

هكذا إذن، كانت فلسفة ابن تيمية والوهابية عموما كحركة اصلاحية(49) كما يقول دعاة هذا الخطاب، تتخذ – حسبهم- الخطاب الأصولي الحنبلي نسبة لمذهب ابن حنبل لدحض الابتداع أكثر منها اجتهاد في الأصول، فهي الرجوع الى الماضوية الاسلامية النقية، على سنة النبي (ص) والقرآن الكريم وسيرة السلف الصالح كما يدعي هؤلاء.

2. حركة التجديد الاسلامي من أحادية المرجع إلى تعدد المذهب:

بعد زمن الحركة الوهابية وما تلاها مما عرف بـ "الحركة الاصلاحية أو العودة إلى الأصول أو التحديث أو الأرثوذوكسية الجديدة"(50)، جاء الدور على حركة التجديد الإسلامي كحركة اصلاحية أرثوذوكسية جديدة مع بداية القرن 19 ميلادي، شملت كلا من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وتلميذه رشيد رضا، حيث حاول هؤلاء من خلال حركة الاصلاح، التي باشروها في العالم الاسلامي إلى ضرب البدعة والأمراض الاجتماعية، التي أصابت العقيدة والدين(51)، إلا أن المختلف رغم أحادية المرجعية تعددت مذاهب المنتمين إلى هذا الخطاب سواء المتقدمين منهم أو المتأخرين مثل رشيد رضا حيث المذاهب الحنفية والحنبلية والشافعية كلها تعايشت في نسق خطاب التجديد الاسلامي.

3. الخطاب الاصلاحي بين أحادية المرجعية وتعدد المذهب:

حركة الاصلاح أو ما عُرِف بجمعية العلماء المسلمين تأسست تاريخيا سنة 1931(52)، لكن أصولها وبذورها الأولى حسب المؤرخ علي مرّاد (Ali Merad)، تعود إلى زيارة المصلح المصري محمد عبدو إلى الجزائر سنة 1903 حينما زار قسنطينة(53) ، فرغم أن وصول موجة الاصلاح إلى الجزائر كانت متأخرة في الواقع مقارنة ببقية الأقطار العربية، نظرا لجملة ظروف سوسيو ثقافية وسياسية كانت تعرفها الجزائر عن غيرها(54)، إلاّ أن تأسيس الجمعية ولو متأخرا كان مهما لمجابهة التغريب الاستعماري الفرنسي للجزائر، الذي كان قد مرّ بالمئوية الأولى لوجوده، ومن جهة أخرى خلت الساحة الدينية في الجزائر خلال هذه الفترة وما سبقها لتصوف طرقي وشعبي أطبق على ممارسات الفئة الغالبة من الشعب، ما دفع ابن باديس كزعيم للتدين الطهوري السلفي الجديد كما يقول غيلنر (Gellner)، "إلى التمييز بين جزائر عهد حركته وقبل ظهورها، حيث أكد على أن لا أحد كان في الجزائر يرى في الاسلام شيئا سوى دين الصوفية والأولياء"(55)..

إذن، ذلك كان دافعا لتشكل معالم خطاب إصلاحي في الجزائر، لمجابهة متغيرين أحدهما خارجي هو التغريب الممنهج على الشعب الجزائري من طرف فرنسا، وداخلي متعلق بكل الانحرافات والبدع، التي كانت تعم حقل الممارسة للدين الاسلامي في الجزائر، فكانت بذلك محاولات الجمعية بإعادة تصحيح وضبط ذلك بما يتوافق واسلام السلف، وبذلك اتجهت الجمعية منذ تأسيسها إلى صياغة خطاب اصلاحي ذي إيديولوجية دينية رافضة لكل مظاهر وطقوس وممارسات الصوفية والطرقية والاسلام الشعبي في عمومه، حيث اعتبرتها خارجة عن الدين والسنة، ونعتت أنها العودة إلى الجاهلية والوثنية ومعتقدات الأقدمون، ووصل الحد بكثير من شيوخ الحركة الإصلاحية خصوصا ابن باديس والبشير الإبراهيمي والميلي مبارك والطيب العقبي إلى حد التحريم للعديد من ظواهر الممارسة الشعبية للدين من قبيل ظواهر الزردات والوعدات ومواسم الأولياء، التي اعتبروها جزء من البدع، التي شوهت الإسلام وأُلصقت به(56).

هذه هي إذن، صورة الصراع بين الإيديولوجية الإصلاحية والطرقية، فرغم المرجعية السنية الواحدة إلا أن كل طرف من هذه الأطراف حاول إفناء الآخر وابراز مدى امتلاكه الإسلام الحقيقي والصحيح، فكانت البصائر والبعث والمنتقد وسائل اعلامية

لهجوم الإصلاحيين على الطرق لضرب كل مواقع الانحراف والشعوذة وإنهاء سلبيتهم، بالمقابل حاول الطرقيين المحافظة على كيانهم وهبتهم، ولو بلجوء بعض الطرق إلى الاستعمار، الذي وسع من سلطانهم ومكنهم من المحافظة على استمرارية طقوسهم، وشعائر العامة اتجاههم، واتجاه الأولياء والمرابطين، وقد حاول في ذلك كل طرف كسب العامة لايديولوجيته، فالطرق الصوفية لجأت بعد سنة 1937، وبمساعدة ميلو (MILLO) – الذي كان مساعد إدارة الشؤون الاسلامية– على جمع شتاتها وتأسيس جمعية رؤساء الطرق الدينية بالجزائر، برئاسة الشيخ قاسمي مصطفى الرئيس الديني للطريقة الرحمانية بزاوية الهامل (بوسعادة) والشيخ أحمد التيجاني من زاوية تقرت، وانجذب آخرون من الشرق للجمعية هذه(57).

بعد الاستقلال كان دور مجابهة مظاهر السلام الشعبي وممارساته على أحد تلامذة ابن باديس وهو الشيخ أحمد حماني(58) أحد علماء الجزائر المستقلة، الذين قادوا المجلس الإسلامي بالجزائر، وطبعوا الساحة الدينية الجزائرية والإقليمية بأفكارهم وآرائهم وفتاويهم وجهودهم، لذلك ارتئينا أن نضعه ضمن الخطاب الاصلاحي، الذي جابه مختلف مظاهر وطقوس هذا النمط من التدين واعتبرها من الأمور، التي تحيل إلى الوثنية والشرك والبدعية(59).

بالنسبة لعلاقة الإصلاحيون الجزائريين بالمذاهب الأربعة، يذكر المؤرخ علي مراد (Ali Merad)، أن هؤلاء لم يكن لهم تعصب لأي من المذاهب الأربعة، وهنا يسجل هذا المؤرخ تأرجح رواد الخطاب الاصلاحي بين هذه المذاهب مع اعتبار أن المالكية كانت المرجع المذهبي الأول للإصلاحية، ثم تتالى بقية المذاهب منها بالخصوص الحنبلية حيث يعكس جزء من الخطاب الاصلاحي الجزائري تشبع رواده بفكر ابن حنبل ومذهبه وشيوخه كابن تيمية وابن القيم الجوزية وفي زمن متأخر مع محمد بن عبد الوهاب ورشيد رضا(60).

في سياق آخر وعلى العكس من المجابهة التي كانت على أشدها بين جمعية الاصلاح والطرق الصوفية السلبية بتعبير ابن باديس، اتسمت العلاقة مع الإباضية الجزائرية بصلات موسومة بالتعاطف بين العناصر الإباضية الموالية للإصلاحيين وأصدقاء ابن باديس، هذا التقارب بين الطرفين يفسره ويردّه المؤرخ الجزائري علي مرّاد إلى عديد العناصر منها تحرر الاصلاحيون من نزعة الانغلاق على الآخر ومن ثمة لم تكن بينهم وبين الإباضية عقبة الشبهة السنية، إضافة إلى التسامح بين الاصلاحيين كأتباع للحنبلية الجديدة إزاء الخوارج، بالمقابل اشترك الطرفين في التشديد في مسألة التوحيد وهو أمر جمعهما ضد الطرق الصوفية، يضاف لذلك أن فلسفة الاصلاح قامت على نفي ونسيان الخصائص العرقية الاثنية التي كان من شأنها تشتيت جسد المجتمع الجزائري، بالمقابل دعا الاصلاحيون إلى وحدة الدين والأخوة في الاسلام ودليلهم في ذلك استحضارهم للتاريخ المشترك بين الإباضيين والسنّة المالكيين بالجزائر على مدار أكثر من ألف سنة من التعايش والتسامح والعيش المشترك، ذلك خلق حسب علي مرّاد صلات للوصل بين الطرفين وخلق تيار موال للإصلاحيين في صفوف الإباضيين الجزائريين، ويذكر في هذا السياق للتمثيل فقط تأثير الشيخ بيوض(61).

IV– خطاب الاسلام الصوفي من تعدد الخطاب إلى تعدد الطرق:

بداية الخطاب الصوفي في مضمونه هو جملة لمجموعة من الرؤى والمواقف، التي اتخذت ما يتوافق والمرجعية الصوفية، التي ترى فيه المنهج والملجأ الروحي والاخلاقي للشعوب، وكخلاص ديني للمرور إلى السعادة الأخروية عبر قناطر البحث عن الباطن والحقيقة، مرورا بطريق التصوف المتنوع بالمشاهدات والأذكار والأوراد، عبر حلقات الذكر الجماعي والتناسق الروحي مع الالهي من خلال السماع والزهد، والتي اتخذت منهجيا فلسفات كثيرة في الإتباع، في المقابل كان الارتباط شعبيا، نظرا لبحث العامة دوما عن أشياء لهم، عن ذواتهم، عن الطمأنينة الروحية والوجدانية، فوجدوا التصوف أهلا لذلك ومنقذا لهم.

إذن، في مقابل الاسلام الفقهي، الذي يعتمد فيه الفقهاء في اثبات مشروعية تأويلهم على "رباعية الكتاب والسنة والاجماع والاجتهاد"، فإن أهل التصوف لأجل اضفاء مشروعيتهم، – رغم أن المجتمعات القبلية ضعيفة الصلة بالكتاب بسبب الأمية،

التي كانت متفشية وبسبب عجزها عن رعاية طبقة من العلماء- (ولهذا فهم) أضافوا واستندوا إلى سند الوراثة، التي قد تكون سلالية أو روحية، وقد تجتمع في نسب من الأنساب بشقيها السلالي والروحي، فالوراثة بالدم ممكنة، بينما يستمد الصنف الثاني شكله من نموذج المذهب الصوفي عبر انتقال السر الصوفي من الشيخ إلى المريد الوارث، يتم ذلك بطريقة تُكفل بها المشروعية كما هي مكفولة بالانتقال من الأب إلى ابنه الوارث له"(62).

ومنه، وعلى مستواه العام، فقد اعتمد خطاب المتصوفة على قاعدة باطنية في تفسيره للأحاديث والآيات وحوادث ومعجزات الأنبياء والرسل لإثبات وجوده وأحقيته كمنهج للمسلمين، مركزا قوته دوما على الجانب الداخلي أو الجانب النفسي الوجداني كما سلف الذكر، وسنحاول في مقامه الأول التركيز قليلا على الخطاب الصوفي النخبوي وممارساته، قبل الوصول الى رؤية التصوف الطرقي والشعبي وخطابه.

1. الخطاب الصوفي النخبوي من الأحادية إلى التعددية:

في الحقيقة فترة التصوف النخبوي – الذي امتد بين القرن السادس هجري إلى نهاية القرن الثامن هجري، هي الفترة والمرحلة "التي عرفت إعادة تشكيل حدود المقدس في الثقافة العربية الاسلامية، إذ لم يعد الخطاب الفقهي وحده قادرا على تشكيل فضاء المقدس وضبط امتداداته، بل صار مضطرا إلى اقتسام هذه الوظيفة وملئ الفضاء الشاغر مع التصوف بأبعاده النخبوية والعملية الشعبية"(63)، ومنذ هذه المرحلة بدأ ازدهار التصوف في مقابل تقهقر الفقه سواء بالمشرق أو بالمغارب والمغرب الأوسط خصوصا.

من حيث التأسيس الزمني لظهور التصوف بالمغرب الإسلامي فقد امتد ذلك عبر عهود، بدايته من عهد الجنيد وأبي يزيد البسطامي كما يرى ذلك علال الفاسي وميشو بلير، إلى عهد عبد القادر الجيلالي، ومن عهد أبي مدين شعيب(542هـ) وعبد السلام بن مشيش(624هـ)، إلى زمن حسن الشاذلي(656هـ)، ومنه إلى زمن وعهد الجازولي إلى يومنا هذا، وبذلك اتسم دخول التصوف إلى المغرب والشمال الإفريقي عموما، بمرحلتين الأولى تميزت بتصوف نخبوي مثلته بروز نخبة من العلماء أمثال أبا مدين شعيب ومحي الدين بن عربي(561هـ)، وأبو الحسن الشاذلي خلال بين القرن 6هـ- 7هـ، أما المرحلة الثانية خصوصا خلال القرن 9هـ فشملت مرحلة انتقال التصوف من تصوف فكري إلى تصوف عملي طرقي شعبي ذات تنظيم جماعي(64)، حيث عرفت المنطقة وكل الشمال الإفريقي إلى الشرق انتشارا للتصوف في مجمل الأوساط الشعبية وذلك خلال القرن 15 ميلادي(65).

بالمقابل بدأت المنطقة تعرف التعدد الطرقي وبدايته كانت مع القطبين عبد القادر الجيلالي، وأبو الحسن الشاذلي، مؤسسا القادرية والشاذلية، ليمتد ذلك مع القرن 13 هجري إلى ظهور أكثر من ثلاثة عشر طريقة شاذلية من مجموع ستة عشر طريقة كانت موجودة بالمغارب منها طرق الرحمانية والقادرية والسنوسية والتيجانية والدرقاوية والعيساوية وغيرها وهذا حسب المفكر الكولونيالي بوسكيه (G.H. Bousquet 66).

من ناحية ثانية يمكن الاشارة إلى أن الخطاب الصوفي النخبوي كان مقتصرا في صياغته الأولى على "صفوة من الناس، الذين انكفأوا على أنفسهم واستنبطوا ذواتهم وسعوا إلى القرب من مولاهم، فكان بذلك تصوفهم أشبه بحركة نخبوية تخصهم"(67) وحدهم، دون الطبقات الشعبية، التي لم تعرف انتشاره بينها، حيث بقي محصورا في الحواضر الكبرى(68)، كما لم تعرف فترته هذه وجودا للممارسات التي نعتت بالبدعية، والتي بدأت في الترسُّخ تدريجيا بداية القرن السادس عشر ميلادي.

2- التصوف الطرقي والشعبي من تعدد الخطاب إلى تعدد الطرق والممارسة:

إذن، ابتداء من القرن 16م بدأ الانحراف ومن ثمة كان ذلك مبعثا لصدام في الرؤى والخطابات، بين ممثلي الاسلام الأرثوذوكسي، والمتصوفة الطرقيين الذي طقسنوا عددا من الممارسات وجعلوها ضمن نسقهم في التصوف، هذا أدى إلى اعتبار

ذلك من باب البدعة، التي استفحلت في ممارسة الدين، والتي أوجبت المحاربة من طرف الحركة الاصلاحية والنصوصية الدينية سواء بالجزائر أو ببقية المناطق المغاربية الأخرى.

بالمقابل الخطاب الصوفي الطرقي لم يتوان في مجابهة الخطاب الاصلاحي– الفقهي، فعلى مدار التاريخ عبّر أهل التصوف عن احتقارهم لعلم الفقه، الذي سموه بعلم الدنيا، يلخص ذلك المكي بقوله " علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم نهر، لا هي تشرب الماء ولا تترك الماء يخلص الى الزرع، وكذلك علماء الدنيا قعدوا على طريق الآخرة فلا هم نفذوا ولا تركوا العباد يسلكون الى الله عز وجل"(69).

في الجزائر، ومنذ بداية صراع الزوايا والطرق مع الحركة الاصلاحية بداية 1931، اتجه خطاب أصحاب الطرق والزوايا إلى نقد لاذع لذلك، مؤسّسين خطابهم على أساس محلية التصوف وسنيته ومالكيته في مقابل جمعية العلماء، التي "حاولت إلحاق البلاد بالشرق الأوسطيين بعد الاستقلال، بعد ما استلهم علمائها الأفكار النهضوية المشرقية، نفس النقد طال الاسلام المتطرف، الذي مثلته الجبهة الاسلامية للإنقاذ، أما على الصعيد المذهبي فقد أظهر خطاب الزوايا والطرق تعصبا للمذهب المالكي السنّي، وأخذوا على جمعية العلماء تركيبة علمائها، التي تضم بين صفوفها المعتزلة والشيعة والخوارج والإباضيّين"(70).

عموما تعكس هذه الآراء – التي تحتاج إلى كثير من الفحص والتعقيب والنقد، وفيها الكثير من التناقض–، ردة الفعل اتجاه كل ما يرمز ويمتّ إلى أهل الفقه والنص، حيث سعى علماء التصوف سواء في الجزائر أو في المناطق المغاربية الأخرى، في إطار صراعهم مع حركات الاسلام الأرثوذوكسي، إلى تأكيد كرامة الأولياء وصحة ولايتهم، ومشروعية زيارتهم، مثل مشروعية السماع والتوسل بهم وطلب الشفاعة، مستدلين في ذلك ببعض من القرآن وسنة النبي (ص) وسيرة صحابته، مكذبين في نفس الوقت حشر هذه الممارسات في خانة البدع والشرك والانحراف، وتطور هذا الرد والصراع إلى نقد للفقه والفقهاء الذين وُصِفَ دورهم بالسلبي وبالجمود والتجريد الذي أصابه.

يؤكد في ذلك ابن خلدون عبد الرحمن بأن تعقيل الدين وجموده من قبل الفقهاء كان له الأثر السيّء على إبعاد الروح الدينية عن الجماهير الشعبية، بالمقابل قرّبها إلى التشبث العقيم بالقواعد التجديدية، وزاد في إبعاد تلك الجماهير عن بساطة الدين الأولى، وأصابتها بالفراغ الروحي، الذي لا تطيقه، فلم تجد غير التصوف، الذي وجدت فيه الحرية الروحية وحماس تسلل إلى جماهير كثيرة، مثلما دخل عن طريق التصوف أقوام كُثر في الإسلام، فرسخ خلال قرون انتشاره مذاهب القرآن وأصوله جنبا الى جنب مع طقوس الشعوب وعقائدها.

في النهاية سلّم الخطاب الصوفي بمسلمة اعتبر فيها أن كل الذي حدث ويحدث هو ناتج عن مسؤولية الفقهاء، الذين تصلبوا على القواعد الفقهية، التي جعلت من الدين حروفا ميتة فاقدة للحماس الروحي العميق، هذا الحماس الذي وجدته الجماهير في التصوف، وهو الأمر الذي حصل ويحصل في الجزائر من خلال استمرار صراع الزوايا والطرق وممثلي الخطاب الاصلاحي.

– خلاصة:

إن التعدد الذي عرفه ويعرفه الخطاب الديني ومعه نسق الممارسة الدينية للإسلام في الجزائر هو في حقيقته نتاج طبيعي للتأرجح الذي حصل يصيب هذا الخطاب وهذه الممارسة، فمن منظور البندول يمكن الوقوف وتفكيك هذا التأرجح والتعدد على جميع أطياف الخطاب الديني المكونة لمورفولوجية الحقل الديني بالجزائر، والتي هي بدورها ترجمة عملية لأنساق مختلفة من الممارسة، منها الخطاب والممارسة الأرثوذوكسية – النصية للدين الاسلامي في مقابل الخطاب والممارسة الصوفية – الطرقية للإسلام مرورا إلى خطاب وممارسة شعبية للدين الاسلامي وانتهاء مع الخطاب والممارسة السياسية والحركية والراديكالية والجهادية للإسلام من طرف منظمات وأحزاب سياسية وسلطوية أو حتى جماعات متطرفة.

إذن، كل هذا جعل من الحقل الديني في الجزائر يتموضع بين اتجاهات خطابية مختلفة، متضاربة أحيان ومتصارعة في أحيان أخرى، كل يعتبر نفسه الوصي على نسق الأسلمة الصحيحة وأن الآخر تتسم ممارساته بالبدعية والشرك أو حتى بالكفر، هذا جعل من علاقتها تتسم بهذا الشكل وتدور في شكل من التأرجح البندولي، الذي يفسر مجرى الأمر من خلال أربعة مستويات هي البعد والقرب مع الله والتوحيد والشرك، من زاوية أن كل واحد يستند في اتصاله مع الله على مرجعية سنية صحيحة، وأن خطابه وممارساته للإسلام هي الصحيح وهي الرابطة بالسلف والمؤدية إلى النجاة.

بدورها تضاربت الاتجاهات المفسرة لذلك بين موضعة الأمر بين تعددية مرجعية ومن ثمة خطابية وممارساتية للإسلام بعد خروجة من الجزيرة العربية وأقلمته مع خصوصيات المجتمعات الأخرى، وبين تفسير يؤكد على أحادية الخطاب والمرجعية، في مقابل تعدد التأويل واختلافه تبعا لاختلاف السياقات الزمانية والمكانية والتاريخية والاجتماعية التي وضع في إطارها النص الديني.

عموما انتهى بحثنا هذا إلى محاولة متواضعة للمقاربة بين عدد من الخطابات التي وصمت بالأرثوذوكسية والنصوصية، والأخرى التي وصمت بالصوفية والطرقية والشعبية، من حيث مرجعيتها ومذاهبها وخطاباتها والممارسات المتضمنة في أنساقها، مع محاولة التركيز على الجزائر كمجال ميداني للبحث ومن خلاله المنطقة المغاربية.

-البيبليوغرافية المعتمدة:

( )- الكنز علي، "الاسلام والهوية: ملاحظات للبحث"، من الكتاب الجماعي: الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2000، ص 106-107.

(2)- الكنز علي، نفس المرجع السابق، ص 106.

(3)- بوبريك رحال، بركة النساء: الدين بصيغة المؤنث، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2010، ص 178.

(4)- الكنز علي، نفس المرجع السابق، ص 106.

(5)- غيلنّر إرنست، مجتمع مسلم ((Muslim Society، ت. باقادر أبو بكر أحمد، دار المدار الاسلامي، بيروت، ط1، 2005، ص 300.

(6)- بوبريك رحال، نفس المرجع السابق، ص 178.

(7)- الكنز علي، نفس المرجع السابق، ص 106-107.

(8)- شحادة مروان، تحولات الخطاب السلفي: الحركات الجهادية- حالة دراسة (1990- 2007)، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2010، ص 23.

(9)- نفس المرجع، ص 23- 24.

(10)- نفس المرجع، ص 24- 25.

(11)- نفس المرجع، ص 24- 25.

(12)- الغامدي سعيد بن ناصر، "المرجعية: معناها وأهميتها وأقسامها"، من مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الاسلامية، نشر جامعة أم القرى، المدينة المنورة، العدد 50، رجب 1431، ص 376.

(13)- نفس المرجع، ص 378- 379.

(14)- الغامدي سعيد بن ناصر، نفس المرجع السابق، ص 380.

(15)- نفس المرجع، ص 383.

(16)- بركات حليم، المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5، 1996، ص260.

(17)- نفس المرجع، ص 260.

(18)- غيلنّر إرنست، مجتمع مسلم ((Muslim Society، ت. باقادر أبو بكر أحمد، دار المدار الاسلامي، بيروت، ط1، 2005، ص 33.

(19)- زهر الدين صالح، الحركات والأحزاب الاسلامية وفهم الآخر، دار الساقي، بيروت، ط1، 2012، ص 12.

(20)- أبو زيد نصر حامد، "الخطاب الديني المعاصر: آلياته ومنطلقاته الفكرية"، من الكتاب الجماعي "الاسلام والسياسة"، موفم للنشر، الجزائر، 1995، ص 47.

(21)- جويرو زهية، الاسلام الشعبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ورابطة العقلانيين العرب، بيروت، ط1، 2007، ص 13-14.

(22)- نفس المرجع، ص 14.

(23)- الزاهي نور الدين، الزاوية والحزب: الاسلام والسياسة في المجتمع المغربي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط3، 2003، ص 133.

(24)- شحادة مروان، نفس المرجع السابق، ص 31.

(25)- الكنز علي، نفس المرجع السابق، ص 91.

(26)- طحّان أحمد، الحركات الاسلامية بين الفتنة والجهاد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2007، ص 591.

(27)- زهر الدين صالح، نفس المرجع السابق، ص 13.

(28)- عناية عز الدين، "فعالية بنى المقدس في المغرب العربي"، من مجلة دراسات عربية، السنة الرابعة والثلاثون، العدد 12/11، دار الطليعة للنشر والتوزيع، 1998، ص 59-60.

(29)- الهرماسي محمد صالح، مقاربة في إشكالية الهوية: المغرب العربي المعاصر، دار الفكر، دمشق، ط1، 2001، ص 80.

(30)- نفس المرجع، ص 80- 81.

(31)- نفس المرجع، ص 81- 82.

(32)- الكنز علي، نفس المرجع السابق، ص 106- 107.

(33)- عناية عز الدين، نفس المرجع السابق، ص 61- 62.

(34)- الهرماسي محمد صالح، نفس المرجع السابق، ص 84-85.

(35)- نفس المرجع، ص 85- 87.

(36)- الهرماسي محمد عيد الباقي، " الاسلام الاحتجاجي في تونس"، من الكتاب الجماعي: "الحركات الاسلامية المعاصرة في الوطن العربي" ، اصدار ونشر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5، 2004، ص288.

(37)- الزاهي نور الدين، الزاوية والحزب، نفس المرجع السابق، ص 133.

(38)- غيلنر إرنست، مجتمع مسلم، نفس المرجع السابق، ص 311.

(39)- الزاهي نور الدين، نفس المرجع السابق، ص 134- 135.

(40)- بركات حليم، المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 5، 1996، ص 258.

(41)- مرزوقي حسن، "الاسلام الطرقي ومستويات التأصيل"، من مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والانسانية، عدد خاص بعنوان: "تغير أنماط التدين في الوطن العربي"، اصدار المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، العدد 2، المجلد الأول، خريف 2012، ص 17.

(42)- شكري غالي، "العرب بين الدين والسياسة"، من الكتاب الجماعي "الاسلام والسياسة"، موفم للنشر، الجزائر، 1995، ص 89.

(43)- غيلنر إرنست، مجتمع مسلم، مرجع سابق، ص 253، 300.

(44)- شكري غالي، نفس المرجع السابق، ص 89.

(45)- الغنوشي راشد، "تعقيب: تحليل للعناصر المكونة للظاهرة الاسلامية بتونس (حركة الاتجاه الاسلامي)"، من الكتاب الجماعي: "الحركات الاسلامية المعاصرة في الوطن العربي"، نفس المرجع السابق، ص 301.

(46)- الكنز علي، نفس المرجع السابق، ص 93- 94.

(47)- البدعة هي: " الأمر المستحدث في الدين بقصد التعبد" أي إضافات وزيادات يقصد بها التعبد، لأكثر تفصيل أنظر: الجابري محمد عابد، التراث والحداثة، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1994، ص52.

أنظر أيضا كل من:

- ابن تيمية تقي الدين، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر، 1987، ص 191-194.
- ابن تيمية احمد تقي الدين، مجموع الفتاوي، تحقيق وجمع عبد الرحمن ابن محمد، المجلد 11، " كتاب التصوف" مطابع الرياض، ط 1381، ص 504، 528.
- ابن تيمية محي الدين، زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، اعداد علي عبد العال الطهطاوي، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 2001، ص 17- 33.
- الجوزية ابن القيم " إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان " ملحق من كتاب زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، مرجع سابق، ص 46-77.
- محمد بن عبد الوهاب، الرسائل الشخصية، القسم الخامس، (بدط)، (بتط)، ص111-112.

(48)- بوطالب عبد الهادي، "قراءة في مفاهيم الاصولية، الجمود (أو التطرف) الديني، العنف والارهاب، السلفية الصحوة الاسلامية"، من مجلة مطبوعات اكاديمية الملكة المغربية، الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، العدد 11/ 1999، ص 24.

(49)- بلقزيز عبد الاله، الخطاب الاصلاحي في المغرب: " التكوين والمصادر" (1844-1918) ، دار المنخب العربي للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1997، ص 138.

(50)- GEERTZ Clifford, Observer l'islam : changements religieux au Maroc et en Indonésie, traduit par GRASSET Jean- baptiste, éditions Découverte, Paris, 1992, p 87.

(51)- طهاري محمد، مفهوم الاصلاح بين جمال الدين الافغاني ومحمد عبده المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1992، ص 104.

- عثمان محمد فتحي، السلفية في المجتمعات المعاصرة، دار القلم، الكويت، ط2، 1981، ص 76-77.
- رضا محمد رشيد، الوحي المحمدي، دار الكتاب، الجزائر، 1988، ص 244.

(52)- Merad Ali, le réformisme musulman en Algérie, de 1925 à 1940, essai d'histoire religieuse et sociale, les Editions El Hikma, Alger, Deuxième Edition, 1999, p 109.

(53)- الراسي جورج، الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر إلى عبد القادر، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2008، ص 238.

(54)- غيلنر إرنست، مجتمع مسلم، مرجع سابق، ص 291- 292.

(55)- نفس المرجع السابق، ص 290.

(56)- لأكثر تفصيل أنظر الأعمال التالية:

- الخطيب أحمد، جمعية المسلمين و أثرها الاصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1995، ص 60.

- الابراهيمي أحمد طالب، آثار البشير الابراهيمي، ج3، (عيون البصائر)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص321.

- ابن باديس عبد الحميد، آثار عبد الحميد ابن باديس (رئيس جمعية المسلمين)، ج3، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط1، 1984 دار البحث للطباعة والنشر قسنطينة، الجزائر، ص 234 .

(57)- أبو الصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945)، دار البعث للنشر والتوزيع، قسنطينة، 1981، مرجع سابق، ص 193- 194.

(58)- حماني أحمد، صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس، ج2، نشر دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، ط1، 1984، ص 287-288.

(59)- حماني أحمد، "سائل من زمورة(ولاية غليزان)" من مجلة نور الهدى، منبر الفتوى، وجريدة الشعب اليومية، الاثنين 18-11-1991، ص06-07.

(60)- Merad Ali, le réformisme musulman en Algérie, op- cit, pp 191-194.

(61)-Merad Ali, op- cit, pp 195-196.

(62)- كلنير إرنست، "السلطة السياسية والوظيفة الدينية في البوادي المغاربية"، مرجع سابق، ص 44-45.

(63)- بونيت عز الدين، "الخطاب العربي القديم وأنوية الفرجة"، من الكتاب الجماعي: الفرجة بين المسرح والأنثروبولوجيا، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بتطوان ، سلسلة أعمال الندوات (8)، تطوان، 2002، ص 102.

(64)- لطيفة الأخضر، الإسلام الطرقي، دراسة في موقفه من المجتمع ومن القضية الوطنية، دار سراس للنشر تونس، 1993، ص18.

(65)- ألفرد بال، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي: من الفتح العربي حتى اليوم، ت. بدوي عبد الرحمن، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط3، 1987، ص394.

(66)-G.H BOUSQUET ; L'Islam Maghrébin, la maison des livres, Alger, 4eme Edition, 1954, p156.

(67)- بن الطيب محمد، اسلام المتصوفة، رابطة العقلانيين العرب ودار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2007، ص 95.

(68)- نقروش حميد، "التصوف والممارسة الصوفية: مقاربة سوسيو تاريخية للتصوف في الجزائر"، من مجلة حقول: نفس مرضيات وعيادة اجتماعية، مجلد 7، عدد 14، جامعة قسنطينة، 2011، ص 125.

(69)- شريط عبد الله، الفكر الاخلاقي عند ابن خلدون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص 501.

(70)- الراسي جورج، مرجع سابق، ص 238.

درجة تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مراكز تدريب مهني اربد وعلاقتها ببعض المتغيرات

د.بلال محمد المومني

أ.محمد عمر المومني

جامعة البلقاء التطبيقية– الاردن

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على درجة تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مراكز تدريب مهني اربد التابعة لمؤسسة التدريب المهني وعلاقتها ببعض المتغيرات كالجنس وسنوات الخبرة والعمر،وقد تكونت عينة الدراسة من (61) عضوا من أعضاء الهيئة التدريسية في المراكز،حيث قام الباحثان بتبني مقياس إدارة الجودة الشاملة من إعداد علاونه (2004)،وقد توصلت نتائج الدراسة بعد إجراء المعالجات الإحصائية اللازمة إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) في درجة تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مراكز تدريب مهني اربد من وجهة نظر أعضاء هيئتها التدريسية تعزى لمتغير الجنس، بالإضافة إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) في درجة تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في المراكز تعزى لمتغير سنوات الخبرة، كما توصلت النتائج إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) في درجة تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في المراكز تعزى لمتغير العمر.

الكلمات المفتاحية: إدارة الجودة الشاملة ، مؤسسة التدريب المهني.

Abstract:

This study aimed to identify the degree of the application of the overall quality management in the centers of irbid vocational training which affiliated to the institution of vocational training and it's relationship with some variables such as, the gender, years of experience and age. The sample of study consisted of (61) member of the members of teaching state at the centers. Where the researchers adopted the scale of overall quality management prepared by (alalawneh,2004), the results of study showed after the necessary statistical treatments the absence of statistically significant differences at the level of significance (α=0.05) in the degree of application of principles of overall quality management in the centers of irbid vocational training in the views of it's teaching state members attributed to the gender variable, in addition to the absence of statistically significant differences at the level of significance (α=0.05) in the degree of application of principles of overall quality management in the centers at tribute for the years of experience variable, the results also showed the absence of statistically significant differences at the level of significance (α=0.05) in the degree of application of principles of the overall quality management in the centers at rebutted to the variable of age.

The keywords: overall quality management, institution of vocational education.

مقدمة

تواجه مؤسسات التعليم في الوقت الراهن ضغوطا وتحديات تتمثل في النمو السريع في مجال المعرفة، والتطور الكبير في نظم الاتصالات ووسائلها، والثورة المعلوماتية والتكنولوجية، والتغيرات المفاجئة والسريعة في طبيعة المهن في السوق بسبب الاعتماد على التكنولوجيا الحديثة.(بن عيشي،2014:380) حيث حظيت عمليات إصلاح التعليم باهتمام كبير في معظم دول العالم وحظيت الجودة الشاملة بجانب كبير من هذا الاهتمام إلى الحد الذي جعل المفكرين يطلقون على هذا العصر عصر الجودة باعتبارها إحدى الركائز الأساسية لنموذج الإدارة الجديدة الذي تولد لمسايرة المتغيرات الدولية والمحلية، ومحاولة التكيف معها فأصبح المجتمع العالمي ينظر إلى الجودة الشاملة والإصلاح التربوي باعتبارهما وجهين لعملة واحدة ، بحيث يمكن القول أن الجودة الشاملة هي التحدي الحقيقي الذي ستواجهه الأمم في العقود القادمة (احمد ،2003 :9)

وتعد المرتكزات الأساسية لإدارة الجودة الشاملة ذات أهمية كبيرة في إطار التطبيق العملي لها في مختلف المؤسسات الإنسانية العاملة إذ إن هذه المرتكزات من شانها أن تشير إلى الحقائق الأساسية التي ينبغي أن يرتكز إليها عند الشروع باستخدام هذا الأسلوب تطبيقيا في مختلف المنظمات ، إذ يشير إلى البناءات الفكرية الفلسفية التي يستند إليها الجانب العملي في التطبيق وقد تباينت آراء المفكرين والأكاديميين في شأن تحديد أولويات وأهمية هذه المرتكزات من باحث لآخر إلا أنها من حيث المنطلق الفكري لا زالت تشكل المنعطف الحاسم في إمكانية تطبيق إدارة الجودة الشاملة ، وتتمثل هذه المنطلقات الفكرية بالتركيز على العميل ، وإدارة القوى البشرية والمشاركة والتحفيز ونظام المعلومات والتغذية الراجعة والعلاقة بالموردين

وتوكيد الجودة والتحسين المستمر والتزام الإدارة العليا والقرارات المبنية على الحقائق والوقاية من الأخطاء وإدارة الجودة استراتيجيا والمناخ التنظيمي وإدارة العمليات وتصميم المنتج (حمود، 2000: 98-103).

حيث تعد إدارة الجودة الشاملة من أهم المفاهيم الإدارية التي استحوذت على الاهتمام الكبير من قبل المديرين الممارسين والباحثين الأكاديميين كإحدى الأنماط الإدارية السائدة المرغوبة في الفترة الحالية، وقد وصفت بأنها الموجة الثورية الثالثة بعد الثورة الصناعية وثورة الحواسيب، إذ أنه نتيجة للنجاح الذي حققته في مجال التنظيمات الاقتصادية والصناعية والتجارية والتكنولوجية ونتيجة التطورات الحاصلة في العديد من المنظمات الإنتاجية والخدمية الأمر الذي أدى إلى اهتمام المؤسسات التعليمية بتطبيق منهج إدارة الجودة الشاملة في المجال التعليمي.(بن عيشي،2014:380)

فإدارة الجودة الشاملة تعتمد على تطبيق أساليب متقدمة لإدارة الجودة وتهدف للتحسين والتطوير المستمر وتحقيق أعلى المستويات الممكنة في الممارسات والعمليات والنواتج والخدمات (علام ، 2003: 105)

وتشير الجودة الشاملة في المجال التربوي إلى مجموعة من المعايير والإجراءات يهدف تنفيذها إلى التحسين المستمر في المنتج التعليمي ، وتشير إلى المواصفات والخصائص المتوقعة في المنتج التعليمي وفي العمليات والأنشطة التي تتحقق من خلالها تلك المواصفات والجودة الشاملة توفر أدوات وأساليب متكاملة تساعد المؤسسات التعليمية على تحقيق نتائج مرضية (Taylor and Bogdan, 1997:10).

فالاهتمام بإدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية لا يعني أننا نخطط لجعل المؤسسات التعليمية منشات تجارية أو صناعية تسعى إلى مضاعفة أرباحها عن طريق تحسين منتجاتها ولكن ما ينبغي أن نستفيد منه مدخل إدارة الجودة الشاملة في التعليم هو تطوير أساليب الإدارة التعليمية تحقيقا لجودة المنتج ، وسعيا إلى مضاعفة إفادة المستفيد الأول من كافة الجهود التعليمية وهو المجتمع بكل مؤسساته ، وجماعاته وأفراده في مجال التعليم ، ما أحوجنا أن نطلق شرارة المنافسة من اجل تحقيق أفضل نتائج منتج يرضي الجهود التعليمية (احمد ، 2003: 10).

إن بؤرة تركيز إدارة الجودة الشاملة في التعليم تنصب أساسا في مجال تقويم المؤسسة التربوية بقصد تطويره وتحسينه ، باعتبار هذا الأسلوب احد الأساليب الحديثة المستخدم في تقويم المؤسسات بشكل عام والمؤسسات التعليمية بشكل خاص وتوظيف مبادئ وأفكار إدارة الجودة الشاملة في أنظمة التعليم يعود بالنفع على المؤسسات إذ يضع حجر الأساس لرؤية فلسفية جديدة لأهداف المؤسسة التربوية ورسالتها ويرفع معنويات العاملين فيها ويمنحهم فرصة التعبير ويعير مفاهيمهم واتجاهاتهم نحو المهنة مما يضفي على البيئة التعليمية مناخا منتجا (الموسوي،2003 : 92-93)

مبادئ إدارة الجودة الشاملة:

يمكن إبراز المبادئ العامة لإدارة الجودة الشاملة في ما يلي:

ا- التزام الإدارة العليا بالجودة: إن من أهم مبادئ إدارة الجودة الشاملة هو مبدأ قيام إدارة المؤسسة بتنفيذ و دعم إدارة الجودة الشاملة، لأنه في ظل غياب هذا الدعم تصبح الجودة مجرد شعار، وكذلك من الضروري إدراك الإدارة العليا والعاملين بها لما ستحققه عملية التطبيق من حيث الترشيد وزيادة الأرباح .

إن تبني الإدارة العليا وحماسها لمفهوم إدارة الجودة الشاملة ودعم تطبيقها، يعتبر حجر الأساس في نجاح المنظمة، ونجاح تطبيق مفهوم إدارة الجودة الشاملة، كما أن ذلك يسمح بمكافأة العاملين على بلوغ الامتياز في مستوى جودة المنتج/الخدمة (عليمات،2004:115)

ب- التركيز على العميل: إن رضا الجمهور هو الهدف الأساسي لأي منظمة سواءً في القطاع العام أو الخاص، و نجاح المنظمات يعتمد على مدى قناعتها وإدراكها لأهمية تقديم الخدمات/المنتجات بكفاءة وفعالية عالية، حيث تقود رغبات

العميل نظام إدارة الجودة الشاملة بالمنظمة، فيتم التعرف على الخصائص التي يرغب بها العملاء من مرحلة التصميم إلى مرحلة الخدمات ما بعد البيع، ويتفاوت القصد بالعميل حسب المؤسسة. كما انه يجب التمييز بين الزبون الداخلي (الطالب، المدرس، الإدارة، كل العاملين) والزبون الخارجي وهو الشخص أو الأشخاص أو الجهة أو المنتج الذي يستفيد في نهاية الأمر من الخدمة بشكل مباشر أو غير مباشر وهو الحكم الأخير للجودة.(بن عيشي،2014:382)

ج- التحسين المستمر: لا بد من التخطيط المستمر لتحسين جودة ونوعية الخدمات المقدمة بشكل يساعد الإدارة على تطبيق مفهوم إدارة الجودة الشاملة، والعمل على وصول الإدارة إلى أهدافها و توجد خطوتان يجب اتخاذهما للسير في عملية التحسين المستمر للجودة:- أن يكون لدى كل مدير فكرة عن كيفية إدارة المنظمة من حيث تعبئة الطاقات التنظيمية تجاه أغراض محددة، واستخدام الوقت والموارد بفعالية.- التأكد من أن معايير اتخاذ القرارات ووضع الأولويات تتعلق بالمنظمة من حيث الأغراض، الأهداف، والخطط الإستراتيجية والتشغيلية شاكر،2003:126)

د-تدريب العاملين على إدارة الجودة الشاملة: يتطلب نجاح إدارة الجودة الشاملة الاهتمام بتزويد الأفراد العاملين بالمهارات والقدرات اللازمة لتطبيقها ونجاحها، ويمكن أن يتخذ التدريب عدة أشكال من أهمها الندوات و ورشات العمل، وللتدريب مكانة مهمة في إنجاح عملية تطبيق إدارة الجودة حيث يساعد على تحقيق الأهداف التالية :

- تزويد الأفراد بمعلومات متجددة عن طبيعة الأعمال والأساليب.
- إعطاء الأفراد الفرص الكافية لتطبيق هذه المعلومات والمهارات. (بن عيشي،2014:382)

هـ- مشاركة العاملين: ينظر للمشاركة على أنها عملية تفاعل الأفراد مع جماعات العمل في التنظيم، وبطريقة تمكّن هؤلاء الأفراد من تعبئة الجهود والطاقات اللازمة لتحقيق الأهداف التنظيمية، وتحظى عملية المشاركة من قبل العاملين في عمليات اتخاذ القرارات بأهمية كبيرة نظراً لمساهمتها في تحقيق الأهداف، لأن القرار يتم اتخاذه بشكل جماعي، ومن ثم تكون له القدرة على إيجاد الحلول المثالية للمشكلات القائمة، وتتطلب إدارة الجودة الشاملة مشاركة ذات مستوى عالٍ من جميع الأفراد العاملين وبمختلف المستويات الإدارية، حيث يجب على الإدارة الاستجابة لاقتراحات وأراء العاملين الإيجابية، لأن مشاركتهم تؤدي أيضاً إلى رفع الروح المعنوية و تحقيق الرضا الوظيفي ومن ثم زيادة مستوى الانتماء والولاء للمنظمة، و رفع مستوى الأداء (الطائي والعبادي،2005:118)

و- اتخاذ القرارات على أساس الحقائق والوقائع الفعلية: القرارات الفعالة تركز ليس فقط على جمع البيانات بل تحليلها ووضع الاستنتاجات في خدمة متخذي القرار. وتتميز المؤسسات المطبقة لنظام إدارة الجودة الشاملة بأن قراراتها الإستراتيجية أو الوظيفية أو التشغيلية مبنية على حقائق ومعلومات صحيحة وجديدة ودقيقة، لا على التكهنات الفردية أو التوقعات المبنية على الآراء الشخصية (أبو نبعه ومسعد،2000:28).

أهمية الجودة الشاملة في التعليم:

إن تحديات ثورة المعلومات التكنولوجية التي يواجهها العالم المعاصر جعلت نظام الجودة الشاملة الحل الأمثل لمواجهة مشكلاته الإنتاجية، و لقد أثبت هذا الأسلوب جدارته، لذلك أصبحت كافة مؤسسات العالم اليوم بما فيها المؤسسات التعليمية أحوج ما تكون إلى الارتقاء بالإنتاجية و تحسين الجودة لمواجهة هذه التحديات و التغيرات التي تسير في سباق البقاء للأفضل، و عليه يمكن إيجاز مجموعة من الفوائد التي يمكن أن تتحقق في حالة تطبيق الجودة الشاملة في التعليم، و منها(نشوان،2004:86)

- ضبط و تطوير النظام الإداري في أي مؤسسة تعليمية نتيجة لوضوح الأدوار و تحديد المسؤوليات بدقة.
- الارتقاء بمستوى الطلاب في جميع الجوانب الجسمية و العقلية و الاجتماعية و النفسية و الروحية.

- زيادة كفايات الإداريين و المعلمين و العاملين بالمؤسسات التعليمية و رفع مستوى أدائهم.
- زيادة الثقة و التعاون بين المؤسسات التعليمية و المجتمع.
- توفير جو من التفاهم و التعاون و العلاقات الإنسانية بين جميع العاملين بالمؤسسة التعليمية، مهما كان حجمها و نوعها.
- زيادة الوعي و الانتماء نحو المؤسسة من قبل الطلاب و المجتمع المحلي.
- الترابط و التكامل بين جميع الإداريين و العاملين بالمؤسسة التعليمية للعمل بروح الفريق.
- تطبيق نظام الجودة الشاملة يمنح المؤسسة المزيد من الاحترام و التقدير المحلي و الاعتراف العالمي.
- خلق بيئة تدعم و تحافظ على التطوير المستمر، و إشراك جميع العاملين في التطوير.
- التزام كل طرف من أطراف العملية التعليمية بالنظام الموجود.
- وجود نظام شامل و مدروس سينعكس ايجابيا على سلوك الطلاب، و تحقيق التنافس الشريف بينهم.
- التركيز على تطوير العمليات أكثر من تحديد المسؤوليات.

ومن هنا فان البحث الحالي يهدف إلى تحديد مدى تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مراكز التدريب المهني في محافظة اربد باعتباره أسلوبا إداريا حديثا.

مشكلة الدراسة:

لقد تحددت مشكلة الدراسة في استقصاء مبادئ إدارة الجودة الشاملة المطبقة في مراكز التدريب المهني في محافظة اربد والتابعة لمؤسسة التدريب المهني كما يدركها أعضاء هيئة التدريس فيها من خلال مجالات الدراسة الأربعة وهي (تهيئة متطلبات الجودة في التعليم – متابعة العملية التعليمية التعلمية – تطوير القوى البشرية – اتخاذ القرارات وخدمة المجتمع) وبالأخص فقد انحصرت مشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة التالية :

ما درجة تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مراكز التدريب المهني في محافظة اربد من وجهة نظر أعضاء هيئتها التدريسية التعليمية؟

هل تختلف درجة تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مراكز التدريب المهني في محافظة اربد من وجهة نظر أعضاء هيئتها التدريسية التعليمية باختلاف متغيرات الجنس، وسنوات الخبرة ، والعمر.

أهداف الدراسة :

وقد هدفت هذه الدراسة وبالتحديد إلى التعرف على الأمور الآتية :

ما درجة تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مراكز التدريب المهني في محافظة اربد من وجهة نظر أعضاء هيئتها التدريسية التعليمية وتحديد أكثر مبادئ إدارة الجودة الشاملة تطبيقا في المراكز كما يراها أعضاء هيئة التدريس .

مقارنة مستويات إدراك أفراد عينة الدراسة لدرجة تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مراكز التدريب المهني في محافظة اربد وفقا للمتغيرات الآتية : الجنس ، سنوات الخبرة و العمر.

تزويد المهتمين والقائمين على شأن مراكز التدريب المهني في محافظة اربد بمبادئ إدارة الجودة الشاملة المطبقة بالمراكز للعمل على تعزيزها وتطويرها .

فرضيات الدراسة :

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) في درجة تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مراكز التدريب المهني في محافظة اربد من وجهة نظر أعضاء هيئتها التدريسية تعزى لمتغير الجنس.

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) في درجة تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مراكز التدريب المهني في محافظة اربد من وجهة نظر أعضاء هيئتها التدريسية تعزى لمتغير سنوات الخبرة .

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) في درجة تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مراكز التدريب المهني في محافظة اربد من وجهة نظر أعضاء هيئتها التدريسية تعزى لمتغير العمر .

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في أنها تتناول موضوع إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية الحكومية، بيئة لم يسبق أن تمت دراستها إذ تفتقر المكتبات الأردنية لمثل هذه الدراسات حيث تعد على حد علم الباحث الأولى من نوعها في المؤسسات الأردنية عموما ومؤسسة التدريب المهني خصوصا ، وبالتحديد فان هذه الدراسة تعد مهمة لكل من إدارات المؤسسات والباحثين في هذا المجال ، ويتوقع للتوصيات التي يمكن اقتراحها – اعتمادا على نتائج هذه الدراسة- أن تساعد إدارات المؤسسات في حالة تطبيقها على إلقاء الأهمية للمؤشرات ذات العلاقة بمستوى الجودة المطلوبة في التعليم المهني ، وكما يأمل الباحثان أن تشكل هذه الدراسة نقطة انطلاق للباحثين في هذا المجال.

حدود الدراسة :

تقتصر هذه الدراسة على أعضاء الهيئة التدريسية التعليمية في مراكز التدريب المهني التابعة لمؤسسة التدريب المهني في محافظة اربد خلال الفصل الدراسي الأول من العام 2014 / 2015 .

مصطلحات الدراسة :

1- إدارة الجودة الشاملة :

يعرفها هيكسون ولوفليس (Hixon and lovelace,1992,p6) بأنها عملية إستراتيجية إدارية تستند على مجموعة من القيم تستمد طاقتها من المعلومات، وبما يمكنها من توظيف إمكانات العاملين واستثمار قدراتهم الفكرية استثمارا إبداعيا، يضمن تحقيق التحسين المستمر للعملية التعليمية.

ويعرفها النجار (1999: 73)هي أسلوب متكامل يطبق في جميع فروع المنظمة التعليمية ومستوياتها ليوفر للأفراد وفرق العمل الفرصة لإرضاء الطلاب والمستفيدين من التعلم ، وهي فعالية تُحقّق أفضل خدمات تعليمية بحثية بأكفأ الأساليب ثبت نجاحها لتخطيط الأنشطة التعليمية وإدارتها.

ويعرفها عشيبه(2000،12) بأنها "إستراتيجية عمل أساسية تسهم في تقديم المنتجات والخدمات لإرضاء الزبون الداخلي والخارجي وتلبي توقعاته الضمنية والمعلنة.

وقد عرفها راضي (2006 :13) بأنها فلسفة إدارية حديثة تأخذ منهجاً أو نظاماً إدارياً شاملاً قائماً على أساس إحداث تغييرات إيجابية جذرية لكل شيء داخل المؤسسة بحيث تشمل تلك التغيرات الفكر، والسلوك، القيم، المعتقدات التنظيمية، المفاهيم الإدارية، ونمط القيادة الإدارية؛ للوصول إلى أعلى جودة في المخرجات.

ويعرفها جوده(2006،22) أنها فلسفة إدارية تشمل جميع أنشطة المنظمة التي من خلالها يتم تحقيق حاجات ورغبات الزبائن فضلا عن تحقيق أهداف المنظمة التي من خلالها يتم تحقيق حاجات و رغبات الزبائن فضلا عن تحقيق أهداف المنظمة بأقل كلفة ممكنة من خلال الاستخدام السليم لطاقات العاملين في المنظمة من أجل تحقيق التحسين المستمر في أدائها.

ويعرفها أيضا مجيد والزيادات(2008،92) بأنها جملة الجهود المبذولة من قبل العاملين في مجال التعليم لرفع وتحسين المنتج التعليمي، بما يتناسب مع رغبات المستفيدين ومع قدراتهم وسماتهم المختلفة

وتعرفها العيدروس(2012،3) بأنها الإجراءات المنظمة في الإدارة والتقييم للوصول إلى أعلى مستوى في الإتقان. وهذا يعني الارتقاء بمستوى جودة الأداء.

أما التعريف الإجرائي فهو مدى استجابة أفراد عينة الدراسة على فقرات مقياس إدارة الجودة الشاملة المستخدم في الدراسة.

2- مؤسسة التدريب المهني:

هي مؤسسة تقوم بتقديم خدماتها لكافة المواطنين بغض النظر عن مستواهم التعليمي من مبدأ التعليم المستمر مدى الحياة سواء في برامج الإعداد المهني بكافة مستوياتها المهنية أو برامج رفع الكفاءة لرفع كفاءة العمال الممارسين في سوق العمل ، كما تقوم المؤسسة بتقديم خدمات التدريب والاستشارات في مجال السلامة والصحة المهنية للحد من الحوادث في مواقع وتدريب المدربين والمشرفين في النواحي المسلكية والإدارية وتطوير عمل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة وتنظيم سوق العمل الأردني.(مؤسسة التدريب المهني،2015).

الدراسات السابقة :

فيما يلي عرض لبعض الدراسات السابقة والتي تناولت موضوع الدراسة الحالية وهي:

1) دراسة الشرقاوي (2003)

والتي هدفت إلى التعرف على إدارة الجودة الشاملة في مجال التعليم وواقع إدارة الجودة الشاملة في المدارس الثانوية العامة بمصر . وأشارت نتائج الدراسة إلى انخفاض إدارة الجودة الشاملة في المدارس الثانوية في مصر وأكدت على الرجوع إلى الخبرة في معالجة الأمور المدرسية .

2) دراسة الموسوي(2003)

والتي هدفت إلى بناء أداة لقياس إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي وذلك من خلال التحقق من صدقها وثباتها وقابليتها للتطبيق في المؤسسات التربوية وتوصلت الدراسة إلى بناء مقياس تضمن 48 فقرة موزعة على أربعة مجالات لإدارة الجودة في مؤسسات التعليم العالي وهي متطلبات الجودة والمتابعة وتطوير القوى البشرية واتخاذ القرار وخدمة المجتمع وأوصت الدراسة بتطبيق هذا المقياس في مؤسسات التعليم العالي بالمنطقة العربية.

3) دراسة جويلى (2002)

والتي هدفت إلى الكشف عن متطلبات تطبيق الجودة الشاملة في مجال التعليم ومعرفة المبررات التي تستدعي تطبيق الجودة في النظام التعليمي ومن اجل تحقيق ذلك استخدمت الباحثة المنهج الوصفي الميداني وأشارت نتائج الدراسة إلى أن أهم متطلبات تحقيق الجودة تحديد الأهداف والأفكار وإشراك جميع الأطراف المستفيدة والتركيز على المناخ التعليمي والإدارة الواعية والتركيز على المخرجات و التأكيد على التحسين المستمر والتغذية الراجعة.

4) دراسة جونسين (Johannsen ,2000)

والتي هدفت إلى التعرف إلى التحليلات النظرية لإدارة الجودة الشاملة والنماذج المقترحة ووصفت الدراسة إدارة المعلومات وجودة الرقابة وإدارة الجودة الشاملة ، وعرضت نظريا أوجه التشابه والاختلاف بين إدارة المعلومات وإدارة المعرفة ثم اقترحت نموذج لعمليات إدارة المعرفة .

5) دراسة الزامل (2000)

والتي هدفت إلى تقديم إطار عام لمفهوم إدارة الجودة الشاملة ومن ثم فحص مدى إلمام المنظمات بها والمعوقات الرئيسة لتطبيقها في المملكة العربية السعودية وسبل نشر الوعي بمفاهيمها ومبادئها ومن اجل تحقيق ذلك استخدم المنهج الوصفي

حيث قام الباحث ببناء استبانه وزعت على 161 منظمة تطبق الجودة الشاملة وقد توصلت الدراسة إلى أن 42% من المنظمات السعودية تطبق مفهوم إدارة الجودة الشاملة وان ا21,5% منها تخطط لتطبيق مفهوم إدارة الجودة الشاملة.

6) دراسة أبو نبعه ومسعد (1998)

والتي هدفت إلى التعرف إلى مفاهيم إدارة الجودة الشاملة ومجالات التعاون بين الجامعات ومنظمات الأعمال وتطبيقات الجودة في الجامعات الأجنبية ومجالات تطبيق سلسلة الايزو (9000) في مؤسسات التعليم العالي كما تناولت الدراسة إمكانية تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الجامعات الأردنية الأهلية والمعوقات المحتملة في التطبيق وتوصلت الدراسة إلى بناء إستراتيجية لإدارة الجودة الشاملة في الجامعات الأهلية الأردنية.

7) دراسة واكس وفرانك(Waks and Frank ,1996)

والتي هدفت إلى التعرف على مبادئ ومعايير إدارة الجودة الشاملة وناقشت مبادئ واستراتيجيات إدارة الجودة الشاملة في التعليم الهندسي كما وضعت عدة أدوات وطرق لإدارة الجودة الشاملة مناسبة لفاعلية التعليم واقترحت مقرر تعليمي عن إدارة الجودة الشاملة يتضمن مناقشات وقراءات ودراسة حالة واقتراحات .

8) دراسة موتواني (Motwani,1995)

والتي هدفت إلى التعرف على تطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم جهود حديثة واتجاهات مستقبلية وتضمنت الدراسة النظرية أربعة اتجاهات للجودة في التعليم وهي :التعريف والإجراءات، والدراسات المعيارية، والنماذج التصورية والتطبيق والتقويم . واشتملت الدراسة على مراحل تطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم وهي الوعي والالتزام، والتخطيط ، تطبيق البرنامج والتقويم والاتجاهات المستقبلية لتلك النواحي المقترحة.

9) دراسة الكساند وكيلير (Alexande & keeler ,1995)

والتي هدفت إلى التعرف على تطبيق مدخل إدارة الجودة الشاملة في التربية .حيث أشارت نتائج الدراسة إلى أن إدارة الجودة الشاملة تعمل على حل المشكلات التربوية ، وقد تم تنظيم هذه الدراسة في أربعة أقسام مرتبطة بنموذج إدارة الجودة الشاملة في الصناعة والأعمال وفي المدارس ،واللغة .

10) دراسة علاونه (2004)

والتي هدفت إلى التعرف على مدى تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في الجامعة العربية الأمريكية وعلاقتها ببعض المتغيرات كالجنس والتخصص والعمر والكلية والخبرة والمؤهل العلمي،حيث توصلت نتائج الدراسة إلى أن درجة تطبيق مبادئ الجودة الشاملة في الجامعة العربية الأمريكية كبيرة على مجال تهيئة متطلبات الجودة في التعليم ومجال متابعة العملية التعليمية التعلمية وتطويرها بالإضافة إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = 0.05) في مدى تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في الجامعة العربية الأمريكية من وجهة نظر أعضاء هيئتها التدريسية والتي تعزى للمتغيرات السابقة الذكر.

11) دراسة (الدقي، 2006)

التي هدفت إلى الكشف عن واقع تطبيق معايير وركائز إدارة الجودة الشاملة في وزارات السلطة الوطنية الفلسطينية في قطاع غزة، والمعوقات التي تحول دون تطبيقها. وقد توصلت الدراسة إلى نتائج كان أهمها وجود اقتناع ورغبة قوية لدى الإدارة العليا لتطبيق إدارة الجودة الشاملة، مع وجود تدني في درجة الالتزام والدعم لعمليات التحسين والتطوير، وسوء استغلال وتقييم فرص التدريب المتاحة، ووجود نقص في مستوى وعي العاملين حول عملية تطبيق إدارة الجودة الشاملة.

التعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال العرض السابق للدراسات والبحوث التي أجريت في موضوع الدراسة يمكن استخلاص الآتي:

- توصلت نتائج كافة الدراسات العربية والأجنبية إلى أهمية تطبيق إدارة الجودة الشاملة في العملية التعليمية.
- أكدت الدراسات والبحوث التي أجريت في مجال إدارة الجودة الشاملة في العملية التعليمية التعلمية على الاستمرار في تطبيق هذا الأسلوب الإداري لما له من فائدة تعود على المؤسسة والمجتمع على حد سواء.
- ركزت معظم الدراسات السابقة في هذا المجال على واقع إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية المختلفة .
- استفاد الباحثان من الدراسات السابقة في التعرف على مجموعة من الجوانب منها المنهجية العلمية ، والأدوات العلمية المستخدمة فيها ، والأساليب الإحصائية ، وطرق معالجة المعلومات ، والمراجع الأصلية في هذا المجال .
- معظم الدراسات السابقة تم تطبيقها على مؤسسات تعليمية خارج الأردن وركزت على مدارس وجامعات وهذا ما تميز به البحث الحالي حيث تم تطبيقية على مؤسسة تعليمية حكومية تدريبية وتأهيلية.

منهج الدراسة:

استخدم الباحثان في هذه الدراسة المنهج الوصفي المناسب لأهداف هذه الدراسة وهو المنهج الذي يهدف إلى وصف الظاهرة كما هي في الواقع ومن ثم تحليلها وتفسيرها وربطها بالظواهر الأخرى .

مجتمع وعينة الدراسة :

تكون مجتمع الدراسة من جميع أعضاء هيئة التدريس العاملين في مؤسسة التدريب المهني في محافظة اربد وهي : مركز تدريب مهني اربد للذكور ومركز تدريب مهني اربد للإناث وذلك للعام الدراسي 2015/2014 والبالغ عددهم (61) شخصا والجدول التالي يوضح خصائص العينة حسب متغيرات الدراسة.

جدول (1): يوضح خصائص عينة الدراسة على ضوء المتغيرات المستقلة

المتغير		العدد	النسبة
الجنس	ذكر	52	85.2
	أنثى	9	14.8
	المجموع	61	100
الخبرة	اقل من 5سنوات	29	47.5
	من 5-10	19	31.1
	أكثر من 10	13	21.3
	المجموع	61	100
العمر	اقل من 35	25	41
	من 35-45	23	37.7
	أكثر من 45	13	21.3
	المجموع	61	100

أداة الدراسة :

قام الباحثان بتبني مقياس إدارة الجودة الشاملة للموسوي (2003) والذي قام بتعديله علاونه(2004) حيث بلغ عدد فقراته (52) فقرة موزعة على أربع مجالات وهي متطلبات الجودة والمتابعة والتطوير والقوى البشرية واتخاذ القرار.

صدق الأداة :

للتأكد من صدق الاداه فقد قام الباحثان بعرض المقياس على مجموعة من الاساتذه المحكمين وعددهم ستة من أقسام المناهج والتدريس والإدارة التربوية والقياس والتقويم في جامعة اليرموك،حيث أبدا خمسة محكمين منهم رأيهم بمناسبة هذا المقياس لإجراء هذه الدراسة وبذلك تم اعتماده لغايات إجراء الدراسة الحالية. بالإضافة لذلك وللتأكد من صدق الاداه أيضا فقد تم استخراج صدق الاتساق الداخلي للمقياس من خلال حساب معامل الارتباط بيرسون بين كل بعد من المقياس ومع الدرجة الكلية للمقياس ونتائج الجدول التالي تبين ذلك :

جدول (2): معاملات الارتباط بيرسون بين مجالات المقياس والدرجة الكلية للمقياس

الرقم	المجال	قيمة معامل الارتباط
1	تهيئة متطلبات الجودة في التعليم	0.91**
2	متابعة العملية التعليمية التعلمية وتطويرها	0.94**
3	تطوير القوى البشرية	0.95**
4	اتخاذ القرار وخدمة المجتمع	0.93**

** دال إحصائيا عند مستوى الدلالة (α = 0.01)

ثبات الأداة :

حيث تم التحقق من ثبات الأداة على جميع أفراد عينة الدراسة المؤلفة من (61) عضو تدريسي تعليمي ، فقام الباحثان باستخراج معامل الثبات باستخدام معادلة (كرونباخ ألفا) لتقدير درجة التجانس وانسجام مجالات الدراسة الدرجة الكلية والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول (3): معاملات الثبات لمجالات الدراسة والدرجة الكلية للمقياس حسب معادلة ألفا

الرقم	المجال	عدد الفقرات	قيمة ألفا
1	تهيئة متطلبات الجودة في التعليم	14	0.90
2	متابعة العملية التعليمية التعلمية وتطويرها	14	0.92
3	تطوير القوى البشرية	12	0.93
4	اتخاذ القرار وخدمة المجتمع	10	0.93
#	الدرجة الكلية	52	0.97

كما تم استخرج معامل الثبات عن طريق التجزئة النصفية فبلغ (0.91) ثم باستخدام معادلة سبيرمان_ براون فبلغ معامل الثبات (0.95) وتعتبر معاملات الثبات المستخرجة لهذا المقياس مناسبة وتفي لأغراض الدراسة الحالية.

المعالجة الإحصائية :

لقد تم إجراء المعالجات الإحصائية اللازمة باستخدام البرنامج الإحصائي للعلوم الاجتماعية (Spss) حيث تم استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ولتحديد طول خلايا مقياس ليكرت الخماسي (الحدود الدنيا والعليا) تم حساب المدى (5-1=4) ومن ثم تقسيمه على اكبر قيمة في المقياس للحصول على طول الخلية أي(4÷5=0.80) وبعد ذلك تم إضافة هذه القيمة إلى اقل قيمة في المقياس (بداية المقياس وهي واحد صحيح) وذلك لتحديد الحد الأعلى لهذه الخلية وهكذا أصبح طول الخلايا كما يلي (علاونه،2004)

من 1- 1.80 لا تطبق

اكبر من 1.80- 2.60 تطبق بدرجة قليلة

اكبر من 2.60- 3.40 تطبق بدرجة متوسطة

اكبر من 3.40-4.20 تطبق بدرجة كبيرة

اكبر من 4.20- 5 تطبق بدرجة كبيرة جدا

بالإضافة لذلك فقد تم استخدم اختبار (ت) للعينات المستقلة لمعرفة دلالة الفروق لمتغير الجنس، وكذلك تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق لمتغيرات سنوات الخبرة والعمر.

نتائج الدراسة:

السؤال الأول والذي ينص على : ما درجة تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مراكز التدريب المهني من وجهة نظر أعضاء هيئتها التدريسية؟ وللإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل مجال من المجالات التي شملتها الدراسة وكذلك الدرجة الكلية للمجالات مجتمعة والجدول (4) يوضح ذلك:

جدول (4): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد عينة الدراسة حسب مجالات الدراسة والدرجة الكلية

الرقم	المجال	المتوسط الحسابي*	الانحراف المعياري	درجة التطبيق
	تهيئة متطلبات الجودة في التعليم	3.85	0.56	كبيرة
	متابعة العملية التعليمية التعلمية وتطويرها	3.55	0.70	كبيرة
	تطوير القوى البشرية	3.36	0.74	متوسطة
	اتخاذ القرار وخدمة المجتمع	3.05	0.83	متوسطة
#	الدرجة الكلية	3.45	0.66	كبيرة

أقصى درجة للاستجابة (5) درجات

يتضح من خلال استعراض نتائج الجدول السابق (4) أن درجة تطبيق مبادئ الجودة الشاملة في مراكز التدريب المهني في محافظة اربد كانت كبيرة على مجال تهيئة متطلبات الجودة في التعليم ومجال متابعة العملية التعليمية التعلمية وتطويرها فبلغت المتوسطات الحسابية على التوالي (3.85، 3.55) وكانت درجة تطبيق مجال تطوير القوى البشرية ومجال اتخاذ القرار وخدمة المجتمع متوسطة فكانت المتوسطات الحسابية على التوالي (3.36 ، 3.05) ، وفيما يتعلق بالدرجة الكلية لدرجة تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مراكز التدريب المهني فقد كانت كبيرة وذلك بدلالة المتوسط الحسابي الذي بلغ (3.45) وهذه النتيجة تعني أن مراكز التدريب المهني تطبق مبادئ الجودة الشاملة بدرجة كبيرة.

السؤال الثاني والذي ينص على : هل يختلف مدى تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مراكز التدريب المهني من وجهة نظر أعضاء هيئتها التدريسية باختلاف متغيرات الجنس ، سنوات الخبرة ، و العمر، حيث انبثقت عن هذا السؤال ثلاثة فرضيات وهي كالآتي :

أولا :الفرضية الأولى التي تنص على : لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = 0.05) في مدى تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مراكز التدريب المهني من وجهة نظر أعضاء هيئتها التدريسية تعزى لمتغير الجنس . ومن اجل فحص صحة الفرضية المتعلقة بمتغير الجنس فقد استخدم اختبار (ت) للعينات المستقلة لمعرفة الفروق الإحصائية في تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة والجدول رقم (5) يوضح ذلك :

جدول (5) : نتائج اختبار (ت) لدلالة الفروق لمجالات إدارة الجودة الشاملة حسب متغير الجنس (ن=61)

المجالات	ذكر(ن=52)		أنثى(ن=9)		قيمة (ت)	مستوى الدلالة*
	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف		
تهيئة متطلبات الجودة في التعليم	3.84	0.59	3.91	0.34	-0.31	0.75
متابعة العملية التعليمية –التعلمية وتطويرها	3.55	0.73	3.55	0.50	0.01	0.98
تطوير القوى البشرية	3.37	0.76	3.31	0.62	0.22	0.82
اتخاذ القرار وخدمة المجتمع	3.03	0.87	2.91	59 .0	0.54	0.59
المجموع	3.46	0.69	3.42	0.46	0.16	0.86

* دال إحصائيا عند مستوى الدلالة (α=0.05)

يتبين من خلال استعراض الجدول السابق (5) انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = 0.05) في درجة تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مراكز التدريب المهني في محافظة اربد من وجهة نظر أعضاء هيئتها التدريسية تعزى لمتغير الجنس على جميع مجالات إدارة الجودة الشاملة ، والدرجة الكلية حيث كانت جميع قيم مستوى الدلالة الإحصائية أعلى من (0.05) وهذا يشير إلى قبول الفرضية الصفرية المتعلقة بمتغير الجنس.

ثانيا :الفرضية الثانية التي تنص على : لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = 0.05) في مدى تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مراكز التدريب المهني من وجهة نظر أعضاء هيئتها التدريسية تعزى لمتغير سنوات الخبرة.

ومن اجل فحص صحة الفرضية السابقة المتعلقة بمتغير سنوات الخبرة فقد استخدم تحليل التباين الأحادي (ANOVA) لمعرفة الفروق الإحصائية في تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة والجدول رقم (6) يوضح ذلك:

جدول (6): نتائج تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق لمجالات إدارة الجودة الشاملة تعزى لمتغير سنوات الخبرة

المجالات	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف) المحسوبة	مستوى الدلالة*
تهيئة متطلبات الجودة في التعليم	بين المجموعات	0.03	2	0.01	0.04	0.95
	داخل المجموعات	18.94	58	0.32		
	المجموع	18.97	60			
متابعة العملية التعليمية التعلمية وتطويرها	بين المجموعات	0.92	2	0.46	0.92	0.4
	داخل المجموعات	28.85	58	0.49		
	المجموع	29.78	60			
تطوير القوى البشرية	بين المجموعات	0.78	2	0.39	0.71	0.49
	داخل المجموعات	32.2	58	0.55		
	المجموع	32.99	60			
اتخاذ القرار وخدمة المجتمع	بين المجموعات	1.41	2	0.70	1.01	0.36
	داخل المجموعات	40.29	58	0.69		

	المجموع	41.70	60			
الدرجة الكلية	بين المجموعات	0.64	2	0.32	0.72	0.49
	داخل المجموعات	25.84	58	0.44		
	المجموع	26.48	60			

* دال إحصائي عند مستوى الدلالة (α=0.05)

يتبين من خلال استعراض النتائج الموضحة في الجدول السابق (6) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = 0.05) في درجة تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مراكز التدريب المهني في محافظة اربد من وجهة نظر أعضاء هيئتها التدريسية تعزى لمتغير سنوات الخبرة على جميع مجالات إدارة الجودة الشاملة ، والدرجة الكلية حيث كانت جميع قيم مستوى الدلالة الإحصائية أعلى من (0.05) وهذا يشير إلى قبول الفرضية الصفرية المتعلقة بمتغير سنوات الخبرة.

ثالثا:الفرضية الثالثة والتي تنص على: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = 0.05) في درجة تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مراكز التدريب المهني في محافظة اربد من وجهة نظر أعضاء هيئتها التدريسية تعزى لمتغير العمر .

ومن اجل فحص صحة الفرضية السابقة المتعلقة بمتغير العمر فقد استخدم تحليل التباين الأحادي (ANOVA) لمعرفة الفروق الإحصائية في تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة والجدول رقم (7) يوضح ذلك :

جدول (7): نتائج تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق لمجالات إدارة الجودة الشاملة حسب متغير العمر

المجالات	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف) المحسوبة	مستوى الدلالة*
تهيئة متطلبات الجودة في التعليم	بين المجموعات	0.69	2	0.34	1.09	0.34
	داخل المجموعات	18.28	58	0.31		
	المجموع	18.97	60			
متابعة العملية التعليمية التعلمية وتطويرها	بين المجموعات	1.36	2	0.68	1.39	0.25
	داخل المجموعات	28.41	58	0.49		
	المجموع	29.78	60			
تطوير القوى البشرية	داخل المجموعات	1.57	2	0.78	1.45	0.24
	بين المجموعات	31.41	58	0.54		
	المجموع	32.99	60			
اتخاذ القرار وخدمة المجتمع	بين المجموعات	2.24	2	1.12	1.65	0.20
	داخل المجموعات	39.45	58	0.68		
	المجموع	41.70	60			
الدرجة الكلية	بين المجموعات	1.30	2	0.65	1.50	0.23
	داخل المجموعات	25.17	58	0.43		
	المجموع	26.48	60			

* دال إحصائيا عند مستوى الدلالة (α=0.05)

يتبين من خلال استعراض النتائج الموضحة في الجدول السابق (7) انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = 0.05) في درجة تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مراكز التدريب المهني في محافظة اربد من وجهة نظر أعضاء هيئتها التدريسية على جميع المجالات والدرجة الكلية تعزى لمتغير العمر حيث كانت جميع قيم مستوى الدلالة الإحصائية المتعلقة بمجالات الدراسة والدرجة الكلية أعلى من (0.05) وهذا يشير إلى قبول الفرضية الصفرية المتعلقة بمتغير العمر.

مناقشة النتائج:

أشارت النتائج في جدول (4) إلى أن درجة تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مراكز التدريب المهني كانت كبيرة ، كما أظهرت أن أكثر مجالات إدارة الجودة الشاملة تطبيقا في مراكز التدريب المهني كان مجال تهيئة متطلبات الجودة في التعليم ثم مجال متابعة العملية التعليمية التعلمية وتطويرها ، ثم جاء مجال تطوير القوى البشرية وفي المرتبة الأخيرة كان مجال اتخاذ القرار وخدمة المجتمع ، إلا أن درجة تطبيق مجال تهيئة متطلبات الجودة في التعليم و مجال متابعة العملية التعليمية التعلمية وتطويرها كانت كبيرة في حين كانت درجة تطبيق مجال تطوير القوى البشرية ومجال اتخاذ القرار وخدمة المجتمع كانت متوسطة ، وبشكل عام فقد أشارت النتائج إلى وجود درجة تطبيق كبيرة لمبادئ إدارة الجودة الشاملة وقد يعود السبب في ذلك إلى الأسلوب الإداري المتميز في مؤسسة التدريب المهني بشكل عام وفي مراكز تدريب مهني اربد بشكل خاص حيث أنها تقوم بتطبيق مفاهيم إدارية عصرية حديثة في المؤسسة. وهذه النتيجة تعطي انطباعا على اهتمام المؤسسة بتهيئة متطلبات إدارة الجودة الشاملة والاهتمام بتطوير العملية التعليمة على حساب تطوير القوى البشرية وخدمة المجتمع .

كما وأشارت النتائج الواردة في الجداول (5) إلى عدم وجود اختلاف بين اتجاهات الذكور والإناث حول تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مراكز التدريب المهني وهذه النتيجة تؤيد صحة الفرض الأول المتعلق بمتغير الجنس.

وأوضحت النتائج المبينة في الجدول (6) إلى عدم وجود فروق في تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مراكز التدريب المهني تعزى لمتغير سنوات الخبرة وهذه النتيجة تؤيد صحة الفرض الثاني بعدم وجود اختلاف بين اتجاهات أفراد العينة حول درجة تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مراكز التدريب المهني باختلاف سنوات الخبرة .

كما أظهرت النتائج المبينة في جدول (7) إلى عدم وجود اختلاف بين اتجاهات أعضاء هيئة التدريس في تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مراكز التدريب المهني باختلاف العمر وهذه النتيجة تؤيد صحة الفرض الثالث والمتعلق بمتغير العمر.

ومن خلال استعراض النتائج السابقة فيلاحظ أن هناك انسجام في استجابات أفراد عينة الدراسة حول مبادئ إدارة الجودة الشاملة المطبقة في مؤسسة التدريب المهني في مراكز تدريب مهني اربد بغض النظر عن خصائص أفراد العينة. وهذا قد يعود إلى أن مؤسسة التدريب المهني تركز في اختيار أعضاء هيئة تدريس أكفاء قادرين على التواصل مع العمل التعليمي والعطاء وذلك حرصا من إدارة المؤسسة على مواجهة التحديات التي تواجه المؤسسات التعليمية ، وكذلك من منطلق الحاجة لتعزيز جودة التعليم التي أصبحت تشكل هاجساً عند السلطة السياسية وعند الجامعات والمعاهد وعند الطلاب والجهات ذات العلاقة في المجتمع الأردني.

وبشكل عام فان هذه النتيجة تؤيد ما جاءت به دراسة (الموسوس ،2003) ودراسة (علاونه،2004) ودراسة خالد الزامل (2000) ودراسة عبد العزيز ومسعد (1998) بان مجالات إدارة الجودة الشاملة الواجب تطبيقها في مؤسسات التعليم تنحصر بتهيئة متطلبات الجودة ومتابعة العملية التعليمية التعلمية وتطوير القوي البشرية وخدمة المجتمع .

التوصيات والمقترحات:

2. زيادة اهتمام مؤسسة التدريب المهني بمتطلبات المجتمع المحلي.

3. الاهتمام بالبيئة التربوية التعليمية داخل مراكز مؤسسة التدريب المهني.

6. إجراء دراسات مقارنة حول مدى تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مراكز مؤسسة التدريب المهني المختلفة والمنتشرة في جميع محافظات المملكة.

7. إجراء دراسات حول إدارة الجودة الشاملة في مراكز مؤسسة التدريب المهني وباستخدام أساليب وأدوات تختلف عن المستخدمة في هذه الدراسة .

المصادر والمراجع:

المراجع العربية :

أبو نبعه ، عبد العزيز و مسعد فوزية.(1998).إدارة الجودة في مؤسسات التعليم العالي، بحث مقدم إلى مؤتمر التعليم العالي في الوطن العربي في ضوء متغيرات العصر ، جامعة الإمارات العربية المتحدة ، العين ، 13-15 ديسمبر 1998 ، ص : 1-34

أبو نبعه، عبد العزيز و مسعد، فوزية.(2000).نحو إدارة الجودة الشاملة في الجامعات"، مجلة تنمية الرافدين، جامعة الموصل، العدد21، العراق، 2000، ص28.

احمد ،احمد إبراهيم.(2003).الجودة الشاملة في الإدارة التعليمية والمدرسية ، الإسكندرية : دارا لوفاء لدنيا للطباعة والنشر .

بن عيشي،عمار.(2014). إمكانية تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في الجامعات الجزائرية

جودة ،محفوظ أحمد.(2006).إدارة الجودة الشاملة: مفاهيم وتطبيقات"، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 2006، ص22.

جويلي ، مها .(2002).المتطلبات التربوية لتحقيق الجودة التعليمية، دراسات تربوية في القرن الحادي والعشرون ، الإسكندرية: دار لوفاء لدنيا للطباعة والنشر، ص ص:41-106.

حمود ، خضر. (2000).إدارة الجودة الشاملة ، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع .

دراسة حالة جامعة بسكرة.مجلة الباحث،العدد(14)،380-389.

الدقي، أيمن .(2006). واقع إدارة الجودة الشاملة في وزارات السلطة الوطنية الفلسطينية في قطاع غزة"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التجارة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

راضي، ميرفت محمد. (2006). معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم التقني في محافظات غزة وسبل التغلب عليها.رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التجارة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

الزامل ، خالد .(1993).مفهوم إدارة الجودة الشاملة في المملكة العربية السعودية ، ورقة مقدمة للمؤتمر السادس للتدريب والتنمية الإدارية ، القاهرة ، 19- 21 ابريل ، 1993

شاكر، شفيق كايد.(2003).إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي"، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد 13، بغداد، 2003، ص126.

الشرقاوي ، مريم .(2003). إدارة المدرسة بالجودة الشاملة ، ط2 ، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

الطائي، يوسف والعبادي، هاشم فوزي.(2005).إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي"، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية ، العدد 03، المجلد الأول، جامعة الكوفة، بغداد،2005، ص118.

عشيبه، فتحي درويش.(2000). الجودة الشاملة وإمكانيات تطبيقها في التعليم الجامعي المصري" ، دراسة تحليلية في تطوير نظم إعداد المعلم العربي وتدريبه مع مطلع الألفية الثالثة، المؤتمر السنوي لكلية التربية، جامعة حلوان، القاهرة، 27-26 ماي2000، ص12.

علام ، صلاح الدين. (2003). التقويم التربوي المؤسّسّ ، عمان: دار الفكر العربي.

عليمات، ناصر صالح.(2004).إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التربوية التطبيق ومقترحات التطوير"، دار الشروق للنشر للتوزيع، عمان، الأردن، 2004، ص115.

العيدروس،أغادير.(2012).إدارة المعرفة مدخل للجودة في الجامعات السعودية(دراسة تطبيقية على جامعة أم القرى).مجلة التربية، كلية التربية جامعة الأزهر، العدد147 الجزء الثاني يناير 2012م.

مجيد، سوسن شاكر والزيادات، محمد عواد.(2008).الجودة والاعتماد الأكاديمي لمؤسسات التعليم العام والجامعي"، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008، ص92 .

مؤسسة التدريب المهني.(2015).نبذه عن مؤسسة التدريب المهني.تاريخ المشاهدة 15-1-2015،الأردن.
http://vtc.gov.jo/vtcar/index.php/subpage/index/view/id/5027

الموسوي ، نعمان .(2003).تطوير أداة لقياس إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي ، المجلة التربوية ، ع(67) ، 89- 118

النجار ، فريد. (1995) .إدارة الجامعات بالجودة الشاملة ، القاهرة: ايتراك للنشر والتوزيع.

نشوان، جميل.(2004).تطوير كفايات للمشرفين الأكاديميين في التعليم الجامعي في ضوء مفهوم إدارة الجودة الشاملة"، ورقة علمية أعدت لمؤتمر النوعية في التعليم الجامعي الفلسطيني الذي عقده برنامج التربية ودائرة ضبط النوعية في جامعة القدس المفتوحة في مدينة رام الله في الفترة الواقعة 3-2004/7/5، ص 86.

المراجع الأجنبية:

Alexander, Gary and Keeler, Carolyn (1995): Total Quality Management: The Emperor's Tailor, ERIC, ED: 387922.

Hixon, j. and K, lovelace, "Total quality management challenge to leadership", Academy of Management Review, Vol 50, No (3).1992, p6 .

Johannsen, Carl Gustav (2000): Total Quality Management in a Knowledge, Management Perspective, Journal of Documentation, V (56) N (1), ERIC NO: E1608496.

Motwani, Jaideep, (1995): Implementing T.Q.M in Education: Current Effort and Future Research Directions, Journal of Education for Business, V (71) N (2) November.

Taylor, Steve and Bogdan, Robert (1997): Introduction to Qualitative Research Methods, New York: John Wiley sons.

Waks , Shlomo, and Frank ,Moti (1996): Application of the T.Q.M Approach Principle and the ISO 9000 Standards in Engineering Education, European Journal of Engineering Education ,V (24) , N(3) P:249- 258 ,ERIC , ED: 607090.

الإغتراب الوظيفي في ضوء بعض المتغيرات– دراسة ميدانية بمصنع الاسمنت المسيلة –

د. نصيرة لمين

جامعة المسيلة

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الاغتراب الوظيفي في ضوء بعض المتغيرات الشخصية في مجال الصناعة (مصنع الاسمنت بولاية المسيلة)، حيث تكونت عينة الدراسة من 32 عاملا ، و استخدمت الباحثة مقياس الاغتراب الوظيفي من إعداد الكرداوي (2008).وأظهرت نتائج الدراسة ما يلي:

–لا توجد فروق ذات دلالة احصائية بين الجنسين في الاغتراب الوظيفي.

–توجد فروق ذات دلالة احصائية في الاغتراب الوظيفي تعزي لمتغير المؤهل العلمي.

–لا توجد فروق ذات دلالة احصائية في الاغتراب الوظيفي تعزي لمتغير الأقدمية.

–لا توجد فروق ذات دلالة احصائية في الاغتراب الوظيفي تعزى لمتغير السن.

Abstract of the study:

The objective of this study is to know the effect of professional alienation in light of some personal variables in the field of industry (cement of M'Sila Department), where the study sample 32 workers, the researcher used professional alienation of the scale of preparation AL Kirdawi 2008 , and the results of the study showed that:

-There are no sex differences in the professional alienation.

-There are differences in the professional alienation attributed to scientific qualification variable.

-There are no differences in professional alienation because of the seniority variable.

-There are no differences in professional alienation because of age.

مقدمة:

يعد موضوع الاغتراب من بين المواضيع المستخدمة في شتى مناحي الحياة، فقد كان لكلمة اغتراب تاريخ قديم انطلاقا من الفكر المسيحي و الإسلامي و قد تعددت استخدامات هذه الكلمة في العصور الوسيطة ما بين قانونية و نفس اجتماعية، و يرجع استخدام كلمة اغتراب إلى المرادف اللاتيني لكلمة Alinare و التي تعني غير المنتمي أو غير المتطابق مع الآخرين.

كما أن مصطلح الاغتراب له استخدامات متعددة باختلاف مجال الدراسة، و قد شاع استخدامه في العصر الحاضر في الطب النفسي و القانون و علم الاجتماع و الاقتصاد.[1]

و عليه فقد استخدم مصطلح الاغتراب بمعنى حالة الانفصال بين الفرد و الموضوع، و بين الفرد و الأشياء المحيطة به و بين الفرد و المجتمع مما يعني أن علاقة الفرد بالأشياء أو بالموضوع علاقة غير سوية، فهو يعيش بين أهله و في مجتمعه و لكن في دائرة الغربة و الانفصال إنه يعيش في عالم مجرد من القيم لدرجة أنه لا يرفض الحياة فقط بل يعاديها، فيدخل الفرد إلى عالم اللانتماء و يفقد الحس و الوعي .[2]

و على الرغم من الأهمية الكبرى لموضوع الاغتراب بصفة عامة، إلا أن الاغتراب الوظيفي يأخذ حصة الأسد كأحد أنواع الاغتراب، باعتباره أحد الظواهر التنظيمية التي تحد من تقدم العاملين و تطورهم و تؤثر بشكل سلبي في أدائهم الوظيفي و بالتالي في أداء المنظمة، عليه فإنه يعد من المفاهيم الهامة كونه يرتكز حول المورد البشري الذي يعد من الموارد التنظيمية الهامة، حيث يمثل ركيزة التطور و التقدم في أي منظمة.[3]

و بوجود ظاهرة الاغتراب الوظيفي لدى العامل ، فقد تظهر مشاعر عدم الرضا و فقدان الانتماء الوظيفي و نقص الدافعية التي تحول دون تحقيق الأهداف المرجوة.

لذا فإن الحاجة تدعو إلى القيام بدراسات لإزالة الستار عن إحدى القضايا الرئيسية التي يعاني منها العامل في وظيفته بمختلف جزئياتها، و العمل على اتخاذ الإجراءات اللازمة لمساعدتهم على تحقيق الانتماء و زيادة الدافعية ، لرفع إنتاجية المؤسسة.

1. إشكالية الدراسة:

تعد الوظيفة من أكثر الاهتمامات التي تشغل الفرد، لما توفره من استقرار مادي و راحة نفسية و حتى اجتماعية، و انطلاقا من المقولة الشهيرة "الرجل المناسب في المكان المناسب" تنطلق رحلة البحث عنها، ضمانا للمستقبل و مواجهة التحديات المحيطة به.

و لما كانت الوظيفة بهذه الأهمية لابد من جعلها أكثر ملاءمة للفرد العامل من خلال الاهتمام بمناخ و بيئة العمل، لما له من أثر فعال على تحسين الأداء الوظيفي الذي يخلق الانتماء و حسن التكيف.

فقد أثبتت نتائج العديد من الدراسات أن المناخ الذي يسوده روح الإيثار و التعاون و المسؤولية يؤثر إيجابا في أداء المؤسسة، و من ثم على العاملين فيها مما يحفزهم على توقيع العقد غير المرئي مع المنظمة الذي يجسد الرضا و الانتماء و المواطنة بكافة أبعادها، و من ثمة تقوية المناعة لديهم لقهر الشعور بالاغتراب الوظيفي.[4]

و يعد الاغتراب الوظيفي من جانب آخر أحد الظواهر التنظيمية، التي تحد من تقدم العاملين و تطورهم و تؤثر بشكل سلبي في أدائه الوظيفي و بالتالي تؤثر في أداء المنظمة، عليه فإنه يعد من المفاهيم الهامة كونه يرتكز حول المورد البشري الذي يعد من الموارد التنظيمية الهامة، حيث يمثل ركيزة التطور و التقدم في أي منظمة.[5]

و من هنا كان الاغتراب الوظيفي في أبسط معانيه هو شعور العاملين بمؤسسة ما بأن هذه المؤسسة التي ينتمون إليها لم تعد المكان المناسب للاستمرار بها، و يرجع ذلك لأسباب تتعلق بالمؤسسة أكثر ما تتعلق بالموظفين، و هذا في حد ذاته توجه خطير يمس علاقة انتماء و ولاء الموظف للمؤسسة و يترتب على ذلك نتائج وخيمة لكل من الطرفين.[6]

ففي الآونة الأخيرة يوجد بعض العاملين في المؤسسات الصناعية بوجه خاص و بعض المؤسسات التعليمية و الاستشفائية و غيرها بوجه عام يشعرون بالاغتراب الوظيفي مما يؤثر عليهم بنقص الدافعية و فقدان القدرة على الابتكار و الإبداع في العمل و هذا ما تؤكد عليه العديد من الدراسات الأجنبية و العربية مثل دراسة كل من :

(Alfred, 2005) و دراسة (Fusillo ,1995)، و دراسة (غوانمة 1990)، و دراسة (عمران 1990)، و دراسة (عويدات 1995)، و دراسة (عنوز 1999)، و دراسة (المطرفي 2005) و دراسة (غانم 2006).

و من خلال ما سبق يتضح لنا أن ظاهرة الاغتراب الوظيفي أصبحت منتشرة بشكل كبير و واضح، مما يؤثر بالسلب على العديد من العناصر فيما يخص المؤسسة و الوظيفة و العامل.

و بصورة أكثر دقة فإنه يمكن التعبير عن إشكالية الدراسة من خلال التعرف على الاغتراب الوظيفي في ضوء بعض المتغيرات بالإجابة على الأسئلة التالية:

- هل توجد فروق بين الجنسين في الاغتراب الوظيفي؟
- هل توجد فروق في الاغتراب الوظيفي تعزى لمتغير المؤهل العلمي؟
- هل توجد فروق في الاغتراب الوظيفي تعزى لمتغير الأقدمية؟
- هل توجد فروق في الاغتراب الوظيفي تعزى لمتغير السن؟

2. فرضيات الدراسة:

- توجد فروق ذات دلالة احصائية بين الجنسين في الاغتراب الوظيفي.
- توجد فروق ذات دلالة احصائية في الاغتراب الوظيفي تعزى لمتغير المؤهل العلمي.

- توجد فروق ذات دلالة احصائية في الاغتراب الوظيفي تعزى لمتغير الأقدمية.
- توجد فروق ذات دلالة احصائية في الاغتراب الوظيفي تعزى لمتغير السن.

3. مصطلحات الدراسة:

- **الاغتراب الوظيفي**: "هو شعور العاملين بمؤسسة ما بأن هذه المؤسسة التي ينتمون إليها لم تعد المكان المناسب للاستمرار بها، و يرجع ذلك لأسباب تتعلق بالمؤسسة أكثر مما تعلق بالموظفين، و هذا في حد ذاته توجه خطير يمس علاقة انتماء و ولاء الموظف للمؤسسة، و يترتب على ذلك نتائج وخيمة لكل من الطرفين".[7]
- أما التعريف الإجرائي فإنه: "الدرجة التي يحصل عليها العامل على مقياس الاغتراب الوظيفي المستخدم في هذه الدراسة".

4. أهمية و أهداف الدراسة:

أولا: الأهمية

تنحصر أهمية هذه الدراسة فيما يلي:

أ. على المستوى النظري:

- ترجع أهمية الدراسة الحالية إلى أهمية الموضوع (الاغتراب الوظيفي) فهو موضوع حديث التناول.
- أهمية العينة المستخدمة و هي العاملين بمصنع الاسمنت، فهم يمثلون طاقة في المجتمع، و بالتالي لا بد من استثمارها بالحد من ظاهرة الاغتراب الوظيفي.
- تنبع أهمية هذه الدراسة من تناولها لموضوع يؤثر على كافة العمال الذين هم مستقبل المؤسسة و إنتاجها.

ب. على المستوى العملي:

- تقدم رصيدا إضافيا من المعرفة العلمية و العملية، و ذلك من خلال تحليل ظاهرة الاغتراب الوظيفي و تأثيره على كل من العامل و المؤسسة.
- يتوقع أن توفر نتائج هذه الدراسة تغذية راجعة في إعداد و بناء برامج تنموية في هذا المجال.

ثانيا: الأهداف

تسعى هذه الدراسة إلى ما يلي:

- معرفة الفروق بين الجنسين في الاغتراب الوظيفي.
- معرفة ما إذا كان هناك فروق في الاغتراب الوظيفي تعزى لمتغير المؤهل العلمي.
- معرفة ما إذا كان هناك فروق في الاغتراب الوظيفي تعزى لمتغير الاقدمية .
- كما تهدف إلى الكشف عن الفروق في الاغتراب الوظيفي تعزى لمتغير السن.

5. منهج الدراسة:

يرتبط اختيار المنهج المناسب للدراسة بطبيعة المشكلة التي يعالجها ، لذلك تم اختيار المنهج الوصفي بما يناسب دراسة هذا الموضوع ، ذلك باعتبار هذا المنهج يقوم بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع وكذلك يهدف إلى جمع البيانات والمعلومات عن حقائق الأشياء والظواهر الموجودة وإخضاعها للدراسة العلمية.

6. عينة الدراسة:

اقتضت منا طبيعة الدراسة والمجال البشري للدراسة اللجوء إلى أسلوب المعاينة القصدي ، وعليه فإن حجم العينة الأساسية بلغ 32 عاملا بمصنع الاسمنت بولاية المسيلة مقسمين إلى 18 ذكور و 14 أنثى.

7. أدوات الدراسة:

لقد اعتمدت الدراسة الحالية على مقياس الاغتراب الوظيفي من إعداد الكرداوى (2008)

8. الخصائص السيكومترية لمقياس الاغتراب الوظيفي:

- **الثبات:(ألفا كرونباخ)**

تقوم هذه الطريقة على أساس حساب معدل ارتباطات العبارات فيما بينها أو ما يعبر عنه بالتناسق الداخلي عن طريق معامل الثبات لألفا كرونباخ حيث بلغت قيمته (0,94) وهذه القيمة تؤكد على ثبات هذا المقياس ، كما هو موضح في الجدول رقم (1) .

الجدول رقم (1) يوضح ثبات مقياس الاغتراب الوظيفي بطريقة التناسق الداخلي	
عدد العبارات	ألفا كرونباخ
41	0.945

- **الصدق : (المقارنة الطرفية)**

كما تم حساب صدق هذا المقياس كذلك باستخدام طريقة المقارنة الطرفية وذلك بترتيب الدرجات تنازليا ثم أخذ نسبة 27 %من طرفي المقياس الأعلى والأدنى أي ما يقابلها 8 درجات عليا و8 درجات دنيا ثم المقارنة بينهما باستخدام اختبار الدلالة الإحصائية (Ttest) وبعدها يتم تفسير هذه القيمة وقفا لحالتين هما:

إذا كانت قيمة الفرق لـ (Ttest) دالة عند مستوى الدلالة (0.05 أو α=0.01) فهذا يعني أن هذا المقياس صادق لأنه استطاع أن يميز بين الطرفين.

إذا كانت قيمة الفرق لـ (Ttest)غير دالة عند مستوى الدلالة (α= 0.05) فهذا يعني أن هذا المقياس غير صادق لأنه لم يميز بين الطرفين.

وبالنظر إلى قيمة اختبار الدلالة (Ttest) كما هو موضح في الجدول رقم (2) يتضح بأن هذا المقياس صادق حيث بلغت قيمته (13.67) وهي دالة عند درجة الحرية (8.22) ومستوى الخطأ أو الدلالة (α= 0.01)، كما هو مبين بالجدول التالي:

الجدول رقم (2) يوضح صدق المقارنة الطرفية لمقياس الاغتراب الوظيفي										
الطرفين		إختبار التجانس ليفين F	مستوى الدلالة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	t	مستوى الدلالة	القرار
الدرجات	الطرف الأعلى	**23.237**	**0.000**	8	143.00	4.472	8.22	13.67	0,000	**دال عند 0,01**
	الطرف الأدنى			8	67.00	15.07				

9. أساليب المعالجة الاحصائية:

أولا: الأساليب الإحصائية المستخدمة لحساب الصدق والثبات لأداة الدراسة:

- صدق المقارنة الطرفية.
- معادلة ألفا كرونباخ.

ثانيا: الأساليب الإحصائية المستخدمة لمعالجة فرضيات الدراسة:

- اختبار الفروق (T-test).

10. مناقشة نتائج الدراسة:

نتائج الفرضية الأولى:

نصت الفرضية الأولى لهذه الدراسة على: " توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاغتراب الوظيفي لدى عمال مصنع الاسمنت بالمسيلة تعزى لمتغيّر الجنس (ذكور/ إناث)"، وبعد المعالجة الاحصائية تحصلنا على النتيجة التالية:

الجدول رقم (3) يوضح الفروق بين أفراد العينة في درجاتهم على مقياس الاغتراب الوظيفي تبعا للجنس										
	الجنس	**اختبار ليفين للكشف عن التجانس (F)**	**مستوى الدلالة**	**حجم العينة**	**المتوسط الحسابي**	**الانحراف المعياري**	**درجة الحرية**	**قيمة (T)**	**مستوى الدلالة**	**القرار**
الاغتراب الوظيفي	**ذكور**	**0,478**	**0.495**	**18**	**102.83**	**30.759**	**30**	**-1.146**	**0.261**	**غير دال عند 0.05**
	إناث			**14**	**115.14**	**11.317**				

من خلال الجدول رقم (3) أعلاه نلاحظ أن قيمة اختبار التجانس ليفين (F) بلغت (0.47)، وهي قيمة غير دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة ألفا (0.05)، وهذا يستوجب استخدام اختبار الدلالة الاحصائية (T) بالنسبة لعينتين مستقلتين متجانستين.

وبالنظر إلى المتوسطات الحسابية بالنسبة لأفراد عينة الدراسة في الاغتراب الوظيفي والتي بلغت عند الذكور (102.83) وعند الإناث (115.14) يمكن القول بأنه هناك فروقا بين الجنسين في الاغتراب الوظيفي ، غير أن قيمة اختبار الفروق (Ttest) والتي بلغت (-1.14) جاءت غير دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة ألفا (α=0.05)، وهذا يعني أنه تم قبول الفرضية الصفرية التي تنفي وجود الفرق.

وبالتالي تم رفض فرضية البحث الأولى القائلة بـ " توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاغتراب الوظيفي لدى عمال مصنع الاسمنت بالمسيلة تعزى لمتغيّر الجنس (ذكور/ إناث) "، ونسبة التأكد من هذه النتيجة التي تم التوصل إليها هو 95% مع احتمال الوقوع في الخطأ بنسبة 5%.

و هذه النتيجة تنسجم مع نتائج دراسات سابقة عديدة مثل دراسات كل من: دراسة جلال إسماعيل شبات (2012)، و دراسة عنوز (1999) . و اختلفت مع دراسة كل من: عويدات (1995)، و دراسة المحمداوي (2007)، و دراسة العسال (2009).

نتائج الفرضية الثانية:

نصت الفرضية الثانية لهذه الدراسة على: " توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاغتراب الوظيفي لدى عمال مصنع الاسمنت بالمسيلة تعزى لمتغيّر المؤهل العلمي (ليسانس/ مهندس) ، وبعد المعالجة الاحصائية تحصلنا على النتيجة التالية:

الجدول رقم (4) يوضح الفروق بين أفراد العينة في درجاتهم على مقياس الاغتراب تبعا للمؤهل

	المؤهل	اختبار ليفين للكشف عن التجانس (F)	مستوى الدلالة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة (T)	مستوى الدلالة	القرار
الاغتراب الوظيفي	ليسانس	0,028	0.868	15	122.00	27.640	30	2.640	0.013	دال عند 0.05
	مهندس			17	96.05	27.830				

من خلال الجدول رقم (4) أعلاه نلاحظ أن قيمة اختبار التجانس ليفين (F) بلغت (0.02)، وهي قيمة غير دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة ألفا (0.05)، وهذا يستوجب استخدام اختبار الدلالة الاحصائية (T) بالنسبة لعينتين مستقلتين متجانستين.

وبالنظر إلى المتوسطات الحسابية بالنسبة لأفراد عينة الدراسة في الاغتراب الوظيفي والتي بلغت عند عند حاملي الليسانس (122.00) وعند المهندسين (96.05) يمكن القول بأنه هناك فروقا بين المجموعتين في الاغتراب الوظيفي ، وهذا ما أكدته قيمة اختبار الفروق (Ttest) والتي بلغت (2.64) جاءت غير دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة

ألفا (α=0.05)، وهذا يعني أنه تم رفض الفرضية الصفرية التي تنفي وجود الفرق، وبالتالي تم قبول فرضية البحث الثانية القائلة بـ " توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاغتراب الوظيفي لدى عمال مصنع الاسمنت بالمسيلة تعزى لمتغيّر المؤهل " ونسبة التأكد من هذه النتيجة التي تم التوصل إليها هو 95% مع احتمال الوقوع في الخطأ بنسبة 5%. و هذه النتيجة جاءت مختلفة مع نتيجة دراسة جلال اسماعيل شبات (2012)، و دراسة غانم (2006)، و دراسة السبيعي (2010).

نتائج الفرضية الثالثة:

نصت الفرضية الثالثة لهذه الدراسة على: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاغتراب الوظيفي لدى عمال مصنع الاسمنت بالمسيلة تعزى لمتغيّر الأقدمية "، وبعد المعالجة الاحصائية تحصلنا على النتيجة التالية:

الجدول رقم (5) يوضح الفروق بين عمال مصنع الاسمنت في الاغتراب الوظيفي تبعا لمتغير الأقدمية

مصدر التباين		مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	F	مستوى الدلالة
الاغتراب الوظيفي	داخل المجموعات	225.354	2	112.677	116.0	891.0
	ما بين المجموعات	28226.114	29	973.314		غير دال
	الكلي	28451.469	31		عند	0.05

من خلال الجدول أعلاه رقم (5) نلاحظ أن قيمة اختبار الفرق (F) "تحليل التباين الأحادي" بلغت (0.11) بالنسبة لأفراد عينة الدراسة على مقياس الاغتراب الوظيفي، كما أن هذه القيمة غير دالة عند مستوى الدلالة ألفا (α=0,05) ، وبالتالي يمكن القول بأنه لا توجد فروق بين أفراد عينة الدراسة في الاغتراب الوظيفي تبعا للأقدمية، ومنه فقد تم رفض فرضية البحث الثالثة القائلة بوجود فروق ذات دلالة إحصائية في الاغتراب الوظيفي لدى عمال مصنع الاسمنت بالمسيلة تعزى لمتغيّر الأقدمية ، ونسبة التأكد من هذه النتيجة المتوصل إليها هو 95% مع احتمال الوقوع في الخطأ بنسبة 5%. وتنسجم هذه النتيجة مع دراسة عنوز (1999).

نتائج الفرضية الرابعة:

نصت الفرضية الرابعة لهذه الدراسة على: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاغتراب الوظيفي لدى عمال مصنع الاسمنت بالمسيلة تعزى لمتغيّر السن "، وبعد المعالجة الاحصائية تحصلنا على النتيجة التالية:

الجدول رقم (6) يوضح الفروق بين عمال مصنع الاسمنت في الاغتراب الوظيفي تبعا لمتغير السن

مصدر التباين		مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	F	مستوى الدلالة
الاغتراب الوظيفي	داخل المجموعات	2475.047	2	1237.523	382.1	267.0
	ما بين المجموعات	25976.422	29	895.739		غير دال
	الكلي	28451.469	31		عند	0.05

من خلال الجدول أعلاه رقم (6) نلاحظ أن قيمة اختبار الفرق (F) "تحليل التباين الأحادي" بلغت (1.38) بالنسبة لأفراد عينة الدراسة على مقياس الاغتراب الوظيفي، كما أن هذه القيمة غير دالة عند مستوى الدلالة ألفا (α=0,05)، وبالتالي يمكن القول بأنه لا توجد فروق بين أفراد عينة الدراسة في الاغتراب الوظيفي تبعا للسن، ومنه فقد تم رفض فرضية البحث الرابعة القائلة بوجود فروق ذات دلالة إحصائية في الاغتراب الوظيفي لدى عمال مصنع الاسمنت بالمسيلة تعزى لمتغيّر السن ، ونسبة التأكد من هذه النتيجة المتوصل إليها هو 95% مع احتمال الوقوع في الخطأ بنسبة 5%. و هذه النتيجة جاءت متفقة مع دراسة جلال إسماعيل شبات (2012).و اختلفت مع دراسة جودن (1972)، و دراسة عمران (1990)، و دراسة عنوز (1999).

خاتمة:

استنادا لما تمخضت عنه هذه الدراسة تبين بأن درجة الاغتراب الوظيفي التي يعاني منها العمال بمصنع الاسمنت مرتفعة ، مع عدم وجود فروق في بعض المتغيرات الشخصية كالجنس و الأقدمية و السن عدا المؤهل العلمي الذي أحدث تأثيرا ، فباختلاف المؤهل العلمي تختلف درجة الاغتراب الوظيفي لديهم ، حيث بينت هاته النتيجة أن حاملي شهادة الليسانس أكثر اغترابا من المهندسين و هذا راجع إلى طبيعة و مكان العمل الذي يتواجد فيه هؤلاء ، فالوظائف تختلف عن بعضها البعض ، فمنها ما يخلق ضغطا و توترا دائمين ، كذلك العلاوات والامتيازات المقدمة بالنسبة للمهندسين فبلا شك أن هذه الحتمية تخلق مشاعر سلبية تجاه العمل و توجد الاغتراب واللا إنتماء للمؤسسة .

وبوجود ظاهرة الاغتراب التي تؤثر نفسيا و اجتماعيا على العامل لا بد من التدخل لتقصي هذه الظاهرة بمتغيراتها من أجل مساعدة هذا العامل بالاهتمام به و ببيئته لتحسين الكفاءة المؤسسية.

إقتراحات الدراسة:

- وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.
- توفير الجو النفسي و الاجتماعي للعامل مع الاهتمام به و بيئة العمل.
- ضرورة مراعاة العدل و عدم التمييز بين العمال.
- نظرا لأهمية الاغتراب الوظيفي تقترح الباحثة إجراء دراسات مستقبلية تبحث في متغيرات أخرى تؤثر فيه.
- تقترح الباحثة في إطار انتشار ظاهرة الاغتراب الوظيفي و خطورتها إعداد برامج وقائية و إرشادية و علاجية للحد منها.

الهوامش:

1- بحري صابر . (2009) . **الإجهاد المهني و علاقته بالإغتراب المهني لدى الأطباء العامون العاملون بالمستشفيات العمومية : دراسة ميدانية المستشفيات العمومية**. مذكرة ماجستير :علم النفس: جامعة قسنطينة

2- بن زاهي منصور . (2007) .**الشعور بالإغتراب الوظيفي وعلاقته بالدافعية للإنجاز لدى الإطارات الوسطى لقطاع المحروقات**. رسالة دكتوراه :علم النفس: جامعة قسنطينة

3- ناميدي، كرين مصطفى خالد . **أثر التمكين النفسي في الاغتراب الوظيفي : دراسة استطلاعية لآراء رؤساء الأقسام العلمية في جامعة دهوك** . [على الخط] متوفر على : http//www. ncys.ksu.edu.sa/. اطلع عليه يوم : 07-07-2015

4- سوزان صالح دروزة، دينا شكري القواسمي . (2014). **أثر مناخ العمل الأخلاقي في الشعور بالاغتراب الوظيفي دراسة تطبيقية – وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الأردنية** . عمان. المجلة الاردنية في ادارة الاعمال . المجلد 10 ، العدد 2 ، ص297

5- كرين مصطفى خالد ناميدي. المرجع السابق.

6- المطرفي، شعيل بن بخيت .(2005) . **الاغتراب الوظيفي وعلاقته بالأداء.دراسة مسحية على العاملين. بإدارة جوازات منطقة مكة المكرمة .** مذكرة ماجستير : علوم ادارية: الرياض : جامعة نايف العربية للعلوم الامنية . ص03

7- المطرفي، شعيل بن بخيت . المرجع السابق . ص 03

قائمة المراجع:

1. المطرفي، شعيل بن بخيت .(2005) . **الاغتراب الوظيفي وعلاقته بالأداء –. دراسة مسحية على العاملين. بإدارة جوازات منطقة مكة المكرمة .** مذكرة ماجستير : علوم ادارية: الرياض : جامعة نايف العربية للعلوم الامنية
2. بحري صابر . (2009) . **الإجهاد المهني و علاقته بالإغتراب المهني لدى الأطباء العامون العاملون بالمستشفيات العمومية : دراسة ميدانية المستشفيات العمومية**. مذكرة ماجستير :علم النفس: جامعة قسنطينة
3. بن زاهي منصور . (2007) .**الشعور بالإغتراب الوظيفي وعلاقته بالدافعية للإنجاز لدى الإطارات الوسطى لقطاع المحروقات**. رسالة دكتوراه :علم النفس: جامعة قسنطينة
4. جلال إسماعيل شبات . (2012) . **الاغتراب الوظيفي وعلاقته بالمتغيرات الشخصية في الجامعات الفلسطينية دراسة حالة– جامعة القدس المفتوحة**.غزة ، جامعة القدس المفتوحة .
5. حمدي ابو الفتوح عطيفة ، (2012) ، **منهجيات البحث العلمي في التربية وعلم النفس** ، دار النشر للجامعات ، القاهرة.
6. رجاء محمود ابو علام ، (2011) ،**مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية** ،دار النشر للجامعات ، القاهرة.
7. سمية الجعافرة ، فارس حلمي . (2005) . **الصحة النفسية للعاملين وعلاقتها ببعض جوانب بيئة العمل في قطاع الصناعات الدوائية الأردنية**. عمان . دراسات للعلوم الانسانية والاجتماعية ، المجلد 32، العدد 2 .
8. سوزان صالح دروزة، دينا شكري القواسمي . (2014). **أثر مناخ العمل الأخلاقي في الشعور بالاغتراب الوظيفي دراسة تطبيقية – وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الأردنية** . عمان. المجلة الاردنية في ادارة الاعمال . المجلد 10 ، العدد 2
9. محمد فوزي عبد العزيز ، عمرو احمد فؤاد محمد. **الاغتراب الوظيفي وعلاقته بالانتماء التنظيمي ودافعية الانجاز لدي الأخصائيين الرياضيين بمراكز الشباب في محافظات شمال الصعيد.**[على الخط] متوفر على : http://www.researchgate.net/publication/ اطلع عليه يوم :06 - 2015-07
10. ناميدي، كرين مصطفى خالد . **أثر التمكين النفسي في الاغتراب الوظيفي : دراسة استطلاعية لآراء رؤساء الأقسام العلمية في جامعة دهوك** . [على الخط] متوفر على : http//www. ncys.ksu.edu.sa/. اطلع عليه يوم : 2015-07-07

مشكلة الهوية بين تيارات الفكر العربي الحديث والمعاصر

أ.حوري بديع الزمان

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص

يتناول المقال مسألة الهوية في الفكر العربي الحديث والمعاصر ، تطرقنا فيه إلى مفهوم الهوية لغة واصطلاحا ثم عرضنا مواقف واتجاهات متباينة لمفكرين عرب ، فاقتصرنا على ثلاث نماذج : شكيب أرسلان وإقراره بوجود الهوية العربية الإسلامية وضرورة المحافظة عليها وعلي حرب الذي كان ضد القول بثبات الهوية وأما محمد عابد الجابري إضافة إلى كونه مع القائلين بالهوية المتفتّحة فقد تميّز بمقولة العقل العربي .

الكلمات المفتاحية :الهوية . الفكر العربي . شكيب أرسلان . علي حرب . محمد عابد الجابري .

Abstract

The article addresses the issue of identity in modern and contemporary Arab Thought, We discussed the concept of identity in the language and idiomatically then studied the positions and trends of different Arab intellectuals, We offered three models: Shakib Arslan and approving the existence of the Arab-Islamic identity and the necessity of maintain them, Then we gave the position of Ali Harb, who was against to say stability identity, But Mohammed Abed al-Jabri is with the view that says variable identity , and he come the concept of "Arab Reason"

Keywords:Identity - the Arab Thought - Shakib Arslan - Ali Mohammed Abed al-Jabri – Ali Harb.

المقدمة

إن مشكلة الهوية في الفكر العربي الحديث ليست مشكلة مستقلة بذاتها ، بل هي فرع من أصل ، والأصل هو مشكلة التخلف التي شملت جميع أقطار الأمة العربية الإسلامية منذ عصور الانحطاط إلى الآن ، وليس إلى عصر النهضة كما كان يُعتقد ، فبدأ المفكرون العرب يتساءلون بفعل التحدي الثقافي الخارجي (الحضارة الغربية) عن حقيقة أنفسهم ومحاولة التعرّف على كيانهم من خلال الرجوع إلى تاريخ الأمّة لمعرفة أخطائه إن كانت هناك أخطاء ، ومحاولة إصلاحها ،غير أن تحديد طبيعة الهوية العربية الإسلامية من حيث وجودها أو عدمها ، ثباتها أو تغيّرها لم يكن محل إجماع بين المفكرين ، ومن هنا ظهر الإشكال الآتي : ما مفهوم الهوية في الخطاب العربي المعاصر ؟ وهل للهوية العربية كيان ثابت مقدّس أم أنها هوية متغيّرة ومتبدّلة أم أنها مفهوم غير موجود أصلا ؟ وما هي علاقة الهوية بالآخر عند نماذج من المفكرين العرب المحدثين والمعاصرين ؟

العـرض

أولا : مفهوم الهوية

إن البحث في مسألة الهوية في الفكر العربي يستدعي البحث أولا عن مدلولات كلمة " هوية " ، غير أنه إذا رجعنا إلى تعاريف المفكرين للهوية فسنجدها متباينة ومختلفة قد تصل إلى درجة التعارض و التناقض ، وذلك بسبب المنطلقات التي ينطلق منها هذا الطرف أو ذاك ، فالذين يقولون بثبات الهوية مثلا يختلف مفهومهم لها عن الذين يقولون بتغيّرها وحركتها .

وقبل تعرّفنا إلى معاني " الهوية " عند المفكرين ، يجدر بنا أن نبحث عن أصل هذه الكلمة في اللغة العربية وبداية استعمالها .

إن كلمة " هوية " في القواميس اللغوية . بالمعنى المقصود منها الآن . ليست موجودة ، ففي معجم لسان العرب ترد كلمة " " هُويّة " : تصغير هُوّة ، وقيل : الهَوِيّة بعيدة المهواة "[1]. فكلمة " الهوية " هنا تعني الهاوية ، وهي المكان البعيد من البئر ، أي قاعه ، ونحن نلاحظ أن هذا المعنى بعيد عن معنى الهوية المستعمل اليوم في مجال الثقافة ، ومنه يمكن القول أن مصطلح الهوية في حد ذاته لا يمت بصلة إلى اللغة العربية ، فهو طارئ عليها ومن منظومة لغوية أخرى ، لأنه في قوانين اللغة العربية لا يمكن استخراج من الضمير " هو " اسم آخر وهو " هوية "[2].

وأما إذا رجعنا إلى الأصول الفلسفية لهذا المصطلح ومن ثم دخوله إلى اللغة العربية ، فنجد أن الجرجاني(740هـ-816هـ) يُعرّف " الهوُية : الحقيقة المطلقة ، المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق "[3].

وواضح من هذا التعريف أننا أمام مفهوم ميتافيزيقي جديد للهوية مقتبس من الفلسفة اليونانية وبالضبط من فلسفة أرسطوARISTOTE الذي يجمع ويوحّد بين الهوية والماهية[4].

وقد ورد أيضا وعلى لسان بعض الفلاسفة المسلمين المشائين وبعض المنطقيين لفظ " الهوية " ، وهؤلاء جميعا نقلوا هذا اللفظ عن الفلسفة اليونانية في تعاليم أرسطو .

فمعلوم أن أرسطو تكلّم عن " مبدأ الهوية " كأحد مبادئ العقل الخمسة وهي : مبدأ الهوية ومبدأ عدم التناقض ومبدأ الثالث المرفوع ومبدأ السبب الكافي ومبدأ الغائية ، ومضمون مبدأ الهوية " أن الشيء هو هو ، بمعنى أن الفكر عندما يحمل معنى على معنى فإنه يُبقي كلا منهما على ما هو عليه وقت الحمل ولا يتحوّل عنه إلى غيره "[5].

ولنأخذ مثالا على ذلك ، فإنه من يحكم بأن هذا القلم أحمر ، فإن معنى القلم لا يصير في ذهنه آنذاك معنى المسطرة ، وأن معنى أحمر لا يصير معنى أسود ، وأن إثبات الحمرة للقلم لا يتحوّل إلى نفيها في نفس الوقت[6].

ومعنى كل هذا أن مبدأ الهوية القائل بأن : (أ هي أ) يمنع الفكر من أن يتصوّر موضوعه موجودا ومعدوما في آن واحد ، إذن هناك عملية مطابقة بين الشيء وذاته .

وواضح من هذا المعنى أنه توجد علاقة وطيدة بينه وبين المعنى المستعمل اليوم في الجانب الثقافي والفكري ، ولذلك يمكن أن نجمع نقاط التشابه في :

1- إنّ مبدأ الهوية باعتباره يتطابق مع الماهية ، فإنه إجابة لسؤال : ما هو ؟ وبالتالي البحث عن المكونات الأساسية وغير الأساسية التي جعلت الموصوف يكون كذلك ، وإذا أسقطنا هذا على الموضوعات الفكرية والروحية كالأمة والثقافة والمجتمع ، فإن الهوية تصبح حينئذ إجابة لسؤال : ما الأمة ؟ أو ما هي أمتنا ؟ وستكون الإجابة : ذكر الخصائص و الأوصاف الجوهرية التي جعلت الأمة بما هي كذلك .

2- إنّ مبدأ أرسطو يعني به ثبات الصفة في الشيء لحظة الوصف ، فكذلك اتخذ بعض المفكرين العرب من " الهوية "كعلامة وصفة لثبات بعض الخصائص والأوصاف ، سواء أكان ذلك لحظة الوصف أو حتى ما بعدها .

وأمّا ما يعنينا هنا من " مشكلة الهوية " هو تلك المسألة التي عالجها المفكرون العرب في الفترة الحديثة والمعاصرة والتي تتعلق بالبحث عن مقومات وخصائص الأمة العربية الإسلامية إن كانت هناك خصائص تميزها عن باقي الأمم بغية فهم وتفسير الانقلاب الحضاري أي ظاهرة التخلف .

ثانيا : مشكلة الهوية بين تيارات الفكر العربي :

لقد انقسم المفكرون العرب في محاولتهم للإجابة على مشكلة التخلف ومن ثمة إلى تحديد موقفهم من الهوية إلى ثلاثة تيارات واتجاهات : الاتجاه الأول ويمثله المحافظون الذين نادوا بضرورة الحفاظ على مقومات الأمة وحمايتها من الضياع والذوبان ، ويمكن أن نَظُمّ الحركات الدينية الإصلاحية في العصر الحديث في هذا القسم ومن أعلامها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والكواكبي و أرسلان وابن باديس ..إلخ

وأما الاتجاه المقابل وهو الذي لا يعترف أصلا بوجود الهوية الثقافية في كل مكان وزمان ، وبالتالي كانت دعوتهم لمسايرة العصر والعيش فيه ، وهذا الاتجاه يمكن أن نُطلق عليه : **الاتجاه الليبرالي التحرري** ، ممثلا بالمفكر علي حرب .

وأما **الإتجاه الثالث** وهو الذي يمكن أن نضعه وسطا بين الاتجاهين السابقين ، حيث يعتبر أن الهوية العربية أولا وإن كانت موجودة إلا أنها ليست شيئا يمكن معرفته بسهولة ، بل هي عملية استنتاجيّة ، ثم إنها ثانيا لا يعني ذلك إعادة إنتاجها كما كانت في الماضي ، بل محاولة تطويرها وفق مقتضيات العصر .

وهذا ما سنتناوله بتفصيل كل اتجاه على حدى فيما يلي :

1- الاتجاه المحافظ(. شكيب أرسلان[7] أنموذجا) :

يعتبر هذا الاتجاه من الوجهة التاريخية هو السابق على كل الاتجاهات الأخرى ، ذلك أن دعوة هذا الاتجاه جاءت في عصر كانت أغلب الشعوب الإسلامية تحت وطأة الاستعمار الأجنبي أو الحكم التركي الاستبدادي ، وكانت حالة الشعوب آنذاك سواء الثقافية أو السياسية في أسوأ وضعية لها ، فظهرت فئة ممن كُتب لها التعلم والقراءة ، تنادي بضرورة العودة إلى التعاليم الصحيحة للدين الإسلامي ، وليس الإسلام المشوّه بالعقائد المشركة ، وفي اعتقادهم أن الوهن والضعف الذي أصاب الأمة ما هو إلا نتيجة لتخليها وابتعادها عن أصولها ومقوماتها الأصلية ، فظهرت دعوة محمد بن عبد الوهاب في شبه الجزيرة العربية وجمال الدين الأفغاني في أفغانستان ومحمد عبده في مصر وابن باديس في الجزائر وأرسلان في لبنان والكواكبي في سوريا ، وسنقتصر هنا على أرسلان كأنموذج .

وهو صاحب كتاب " لماذا تأخر المسلمون ، ولماذا تقدم غيرهم ؟" وواضح من خلال صيغة السؤال أن " الغير " غير محدد في السؤال ، وقد نسب إلى هذا " الغير " التقدم ، ومقصود ذلك واضح : إنه يكفي أن تكون غير مسلم حتى يصبح التقدم نصيبك وحليفك ، فكأنما المشكلة في المسلمين دون غيرهم من الطوائف والنحل .

وهذه الصيغة للسؤال لتعبر بحق عن عمق الإحساس الذي يشعر به العربي المسلم في العصر الحديث ، بين ذات وثقافة متخلفتين وبين آخر متقدم ومتطور .

أما الإجابة عن هذا السؤال فيرجعها إلى أكثر من سبب ، منها أسباب أخلاقية كالجهل والعلم الناقص وفساد الأخلاق ، وأمرائهم بشكل خاص ، واليأس والقنوط ، والجبن والهلع بعدما كانوا أشهر الأمم في الشجاعة واحتقار الموت[8].

ويمثل الماضي . ماضي الأمة الإسلامية . بالنسبة لأرسلان و للاتجاه المحافظ بصفة عامة ، ماض مثالي ونموذجي ، فهو عصر ذهبي كما يقال ، وإن كان به أخطاء أو سلبيات فهي قليلة جدا ، وهكذا فهو يرى بأن الإسلام عَهَدَ إلى العلماء بتقويم ظلم الأمراء ، وكان قديما في الدول الإسلامية " الفاضلة " بمثابة المجالس النيابية في هذا العصر يُسّطرون على الأمة ويُسدّدون خطوات الملك ، ويرفعون أصواتهم عند طغيان الدولة ، لأن أكثر أولئك العلماء متحققين بالزهد متحلين بالورع " إلا أنهم بمرور الأيام خلف من بعد هؤلاء خلف اتخذوا العلم مهنة للعيش وجعلوا الدين مصيدة للدنيا ، فسوّغوا للفاسقين من الأمراء أشنع موبقاتهم وأباحوا لهم باسم الدين خرق الحدود"[9].

إن المتأمل لخطاب أرسلان في معالجته لمشكلة التخلّف . وأحيانا أخرى تسمى مشكلة التقدم . يتغنى دائما بالماضي ويَحِنّ إليه ، بل ويبرر ويسقط نجاحات الغرب على ما يشبهها في التاريخ الإسلامي ، كتشبيهه لديمقراطية الغرب الحديثة بشورى الخلفاء الراشدين .

إن التمسك بالأصالة والقومية والمحافظة عليهما في نظره ليست دعوة عربية فقط ، بل كل الشعوب تنزع إلى هذه الصفة ، " فالأنجليز يريدون أن يبقوا أنجليز ، والإفرنسيس يريدون أن يبقوا فرنسيسا،والألمان يريدون أن يكونوا ألمانا ..إلخ"[10].

والأمثلة التاريخية كثيرة التي تؤكد هذا فإيرلندا على الرغم من محاولات الأنجليز ضمّها ، إلا أن الإيرلنديين " لبثوا إيرلنديين بلسانهم وعقيدتهم وأذواقهم وعاداتهم "[11].

وهي الأمثلة نفسها تتكرر في سويسرا ، وبولونيا بالنسبة لروسيا والمجر بالنسبة للألمان ..إلخ[12].

وأما الدعوات التي تصدر من هنا وهناك التي تدعوا إلى اتباع الغرب وتقليده في كل صغيرة وكبيرة فهي دعوات جاحدة ، والجاحد هو" الذي يأبى إلا أن يُفرنج المسلمين وسائر الضرقيين[13] ويخرجهم عن جميع مقوماتهم ومشخّصاتهم ويحملهم على إنكار ماضيهم "[14].

ولعل الحجّة التي تؤكد خطر دعوة الجاحدين أو التغريبيين وبطلانها في نفس الوقت .كما يراها أرسلان . هي خطر الذوبان والاضمحلال وفقدان خصائص الهوية ، وهذه الحجة جاءت بصيغة تشبيه الثقافة ، أي ثقافة كانت ، بـ " الجزء الكيماوي الذي يدخل في تركيب جسم آخر كان بعيدا ، فيذوب فيه ويفقد هويته "[15].

ومنه يصل إلى تحديد عناصر الهوية وخصائصها في أي أمة كانت ، التي تميل " ميلا طبيعيا بمقوماتها ومشخّصاتها ، من لغة وعقيدة وعادة وطعام وشراب وسكن وغير ذلك إلا ما ثبت ضرره "[16].

وقبل أن نختم كلامنا حول التيار المحافظ ، فإن هذا الأخير لم يشك في وجود الهوية والشخصية العربية الإسلامية وتميزها ، ولذلك لم يبحث في هذه المسألة لأنه يعتبرها من المسلمات ومن الخطوط الحمراء التي لا ينبغي تجاوزها ، فهي ربما من توابع الإيمان والإسلام ، ولكن المشكلة الجديرة بالبحث عند هذا التيار هي : كيف يمكن أن نفهم هويتنا ومقوماتنا بشكل صحيح ؟ إذن السؤال المهم ليس : هل لدينا هوية ؟ بل هو في : كيف يمكن إدراك وفهم هويتنا حتى نواجه العصر !!؟

وهذه الوجهة من النظر لا يشاطرها الرأي المفكر علي حرب ، بل يقف منها على النقيض ، فما هو موقف علي حرب من مسألة الهوية ؟ وهل هناك شيء اسمه الهوية ؟ وإذا وجد فهل هو ثابت أم متغير ؟ وهذا ما سنحاول التطرق إليه في العنصر الموالي .

2 . الإتجاه الليبرالي التحرري (علي حرب[17] أنموذجا) :

إن موقع علي حرب التاريخي المعاصر جعله يطّلع على كل التطورات الفكرية التي حصلت في العالم العربي والإسلامي ، ويمكن القول أن أطروحته حول الهوية قد تجاوزت كل ما سبقها ، وانتقدت في كثير من جوانبها التصور العربي الجاهز للهوية ، لذلك كان مشروعه الفكري يتضمن محورين أساسيين : الأول انتقاد الاتجاهات والآراء السائدة ، والثاني إعادة تأسيس مفهوم جديد للهوية .

فبدأ علي حرب بشن هجوم على المحافظين الذين يدعون إلى ضرورة التمسّك بالقيم الثابتة والأصيلة قصد المحافظة على الهوية ، معتبرا إياهم أشد خطرا من أي شيء آخر يمكن أن يُشكّل تهديدا للهوية ، كالعولمة والأمركة ، وفي ذلك يقول :" إن مشكلة الهوية الثقافية عندنا إنما تكمن في المقام الأول ، لا في قوى العولمة ، أو غزو الأمركة ، بل لدى أهل الهوية وحماتها من النخب المثقّفة "[18].

ولعل المرء ليعجب ويتساءل من مثل هذا الموقف المنكِر على الذين دعوا إلى التمسك بالهوية العربية الأصيلة ، غير أنه يبرر ذلك بأن دعوات هؤلاء المحافظين أدّت إلى حروب واقتتال وكانت " تلك هي الثمرة الأوهام المطابقة والوِصايا : اختلافات وحشية ونزاعات دموية ... دفعت ولا تزال البشرية تدفع أثمان باهضة دما ودمارا قهرا وهدرا من جراء إعلانات الهوية والتشبث بالانتماءات الألفية أو الأسطورية "[19].

وواضح من كلام علي حرب أنه يقصد ما حدث من حروب سواء بين العالم الإسلامي وبين العالم الغربي أو حتى بين العالم الإسلامي نفسه فيما يمكن تسميته بالحرب الأهلية ، حينما كان الاقتتال والتناحر بين أفراد الشعب الواحد باسم المحافظة على الدين تارة وباسم المحافظة على اللغة تارة أخرى ، وباسم المحافظة على الطائفة تارة ثالثة .

ويمتد انتقاد علي حرب إلى الجانب المنطقي لفكر هؤلاء المحافظين . والأوصياء على الهوية والأمة بتعبيره هو . فيعلن أنه متناقض ، فمن جانب يقولون إن الهوية أو الثقافة ثابتة وهم يبحثون عن هذا الثبات ، ومن جانب آخر يخافون عليها من الأجنبي والعولمة ، فكتب يقول عن الثقافة :" لو كانت محصّنة كما يدعون لما حصل كل هذا الاختراق الذي يَشْكُون منه ويلعنونه في حديثهم المتكاثر عن الغزو الثقافي ."[20]

ولو أن هذا الاعتراض يمكن ردّه باعتبار أن التيار الإصلاحي لم يقل بثبات الهوية ، وإلا ما كان يدعو إلى التمسّك بها ، وإنما يؤمن بأن الهوية موجودة ، تضعف وتندثر بالإهمال والترك ، وتبقى وتقوى بالإحياء والتمسك بها .

وبعد ذلك كله فإن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو : ما هو البديل . إذن . من وراء هذه الانتقادات كلها ؟!

وهذا ما سيحاول علي حرب الإجابة عنه من خلال تأسيس مفهوم جديد للهوية ، حيث ينفي أن تكون الهوية جاهزة أو مُنزّلة من الأعلى ، فهو يقترح هوية قويّة وفعّالة دون أن يكون للإنسان امتلاكا قبليا أو توهب له[21].

ويعرّف علي حرب الهوية بأنها :" ثمرة الجهد والِمراس والاشتغال على المعطى الوجودي بكل أبعاده من أجل تحويله إلى أعمال وانجازات "[22].

وفي تعريف آخر له :" الهوية صناعة وتحويل ، بقدر ما هي اِنبناء وتشكّل ، والأحرى القول إنها بنية يعاد بناؤها باستمرار"[23].

ومن خلال هذين التعريفين يمكن أن نلمح بعض المعالم لتصور الهوية عند علي حرب فهي :

أولا : ليست لها لحظة تاريخية معينة تبدأ من خلالها .

وثانيا : ليست لها لحظة تاريخية تنتهي عندها أو تكتمل .

وثالثا : أنها في حركة دائمة وتشكّل مستمرين ، أي أنها متغيّرة .

ولذلك لما سُئل علي حرب عن هويته فأجاب :" أنا لا أرى هوية مسبقة ، بل إني أمارس هويتي "[24].

ويرتفع صاحبنا بمفهوم الهوية إلى درجات عليا من التجريد ، فكتب يقول " أنا وإن كنت عربيا مسلما ، فإني مسيحيٌ لاعتقادي بأن الحق يتجلّى في الخلق ، ويهوديٌ لأني أؤمن باصطفائي وأمارس نخبويتي ، وإغريقيٌ لأنني أمارس التفلسف ، وفرنسيٌ لأنني تثقفت بثقافة الفرنسيين ، وبوذيٌ لأنني أتوق إلى الفناء فيما أحب ، وقبل ذلك كله زنديقٌ لأن هذه الحياة الدنيا تستغرقني بقضّها وقضيضها ... فأنا أتردّد بين هويات مختلفة وأتوارى خلف أقنعة لا حصر لها "[25].

إنه ومن خلال وصف علي حرب لذاته بـ " الزنديق " ، فذلك يعني أننا أمام مفهوم جديد للهوية ، وأن الألفاظ " زنديق " ، " بوذي " ، " فرنسي " لا ينبغي أن تُحمل على معانيها التقليدية ، ذلك أن هذه الأوصاف تعني ما يمكن أن يشترك فيه العربي اليوم مع ثقافات أخرى مختلفة .

ولعلّ هذا ما يتضح أكثر حينما يُقرّر بأن الهوية ليست ذات بعد واحد ، فنحن نعيش في أجواء الحداثة الغربية ، ونفيد بمنجزاتها ، وننعم بخيراتها وثمراتها كما نكتوي بجحيمها ونحصد كوارثها ، وبهذا المعنى فإننا " كلنا غربيون ، كلنا صنيعة الحضارة الغربية ، أكنّا علمانيين متغرّبين أم فقهاء معمّمين "[26].

وهكذا نلاحظ أن دعوة علي حرب هي دعوة إلى التحرر من أي تقليد أو أي نموذج ، فما أنجزه البشر هو إمكانات متاحة لكل واحد ، لكي يُفيد منها ويُوظّفها فيما يساعده على ممارسة حريته ويحقق ذاته على نحو مبدع خلاق[27].

غير أن هذه الدعوة إلى التحرر ، واعتبار الهوية شيء متجدد ومتغير ولانهائي ، لا يعني ضياع الهوية وانحلالها ، فنحن " عرب مسلمون ولكن هويتنا لا تنحصر في ذلك وحده ، لأن في ذلك وحده وجها أو وجوها ، وثمة وجوه أخرى لنا تشدنا إلى سائر العوالم اللغوية والحضارية وبالأخص إلى الغرب "[28].

وخلاصة رأيه في الهوية أن اعتقاد المرء بإمكانه أن يبقى هو هو ، بالتطابق مع أصوله و المحافظة على تراثه هي وهم ، وهذا الوهم جعل المثقف يقيم في قوقعته ويتصرف كحارس لهويته و أفكاره ، الأمر الذي منعه من التجديد والإبداع[29].

وأما المفهوم الثاني الذي يخالف فيه علي حرب سابقيه ، وهو مفهوم له علاقة وطيدة جدا بمفهوم الهوية ، وهو مفهوم " الثقافة " ، فإن كانت الثقافة في المفهوم الأنثروبولوجي كما يعرفها تايلور[30] " هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع "[31] ، وهي أيضا كما يعرفها محمد عابد الجابري : " هي ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات التي تُحتفظ لجماعة بشرية تشكل أمة "[32].

إلا أن مفهوم الثقافة بالنسبة لعلي حرب سيتحوّل إلى خليط غير متجانس ، فهي ليست نظاما مُغلقا من المعتقدات ولا هي ماهية صافية أو أصلا ثابتا ، بل هي" أصلا مكوناته هي فروعه،أو تركيبة يعاد تشكيلها على سبيل التطعيم والتهجين"[33].

أما برهانه على أن الثقافة ليست كلاّ متجانسا أو متوافقا بإعطاء عدة أمثلة من الثقافة العربية ، كالتناقض بين " المأمون وبن حنبل ، أو بين بن رشد وبن عربي أو بين محمد عبده وعمائم عصره ، وبين طه حسين ومشايخ الأزهر... أو بين حكمتيار وحركة طالبان "[34].

وما نستنتجه من خلال ذلك أن الثقافة عنده مثلها مثل سابقتها (الهوية) متغيرة وغير ثابتة ، وهي مفتوحة على كل الاحتمالات .

وهكذا وبعد أن عرفنا مفهوم وتصور علي حرب للهوية ، يبقى السؤال الأهم : ما علاقة الهوية بالعولمة أو الكوكبة ؟ أو بمعنى آخر هل العولمة تُناقِض الهوية وتُهددها أم أنه لا تعارض بين الهوية والعولمة ؟

وتوضيحا لهذا السؤال فإننا نقول بأن : العولمة باعتبارها تعميم لثقافة واحدة بمختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية تطغى على جميع الثقافات الأخرى في جميع أنحاء العالم ، كأن تكون الثقافة الأمريكية مثلا ، فكيف يمكن للهويات الثقافية الأخرى أن تستمر في الوجود طالما أنه يوجد نموذج واحد و وحيد ، وهنا يبرز الإشكال ؟!!

وفي إجابته على هذا السؤال يرى علي حرب أن تأثير العولمة على الهوية . بالمعنى الذي يُعطيه إياها . يتخذ صورتين : صورة إيجابية وأخرى سلبية ، وهذا يتوقف على مدى قوة الهوية وتأثيرها ، وفي هذا الصدد يقول :" نحن منخرطون في واقعنا الراهن مندرجون في عالمنا ، سواء سميناه العولمة أو ما بعد الحداثة فإمّا أن نمارس علاقتنا بحاضرنا على نحو سلبي هامشي وعقيم أو بالعكس على نحو مُنتج غني وثمين ، أي بصورة راهنة وفعالة ، حتى نسهم في تكوين المشهد والحضور على المسرح "[35].

ومثل هذا القول يعني أن العولمة ليست حدثا تاريخيا عظيما حتى نخشى منه ، وإنما هي نتيجة طبيعية لمراحل تطوّر البشرية ، وعليه فالضعف في هذه المرحلة ليس بأقل ضررٍ من الضعف في العصور السابقة ، وكذلك التقدم والريادة في هذه المرحلة ليس بأكثر إنجاز من الريادة في عصور سابقة .

ومن هنا فإن علي حرب يعتقد بأن "العولمة ليست ملكا للأمريكيين ، وإنما هي إمكانات موضوعة للبشر "[36] ، ولذلك فإن مشكلة هويتنا الثقافية ليست في اكتساح العولمة والأمركة ، بل في " عجز أهلها عن إعادة ابتكارها وعولمة هويتهم وأعلمة اجتماعهم وحوسبة اقتصادهم وعقلنة سياستهم وكوننة فكرهم ..عجزنا حتى الآن عن خلق الأفكار وفتح المجالات أو عن ابتكار المهام وتغيير الأدوار لمواجهة تحديات العولمة "[37].

إذن أمر العولمة بين أيدينا ونحن وحدنا الذين نقرر ما إذا كنّا سنتعامل معها بشكل يُفيدنا ولصالحنا ، أم على العكس من ذلك ، بأن نتقوقع ونكون مجرد تابعين ومستهلكين للحضارة الغربية .

وهكذا فإن المتأمل لموقف علي حرب إلى العولمة يجده جِدّ متسق مع ما انطلق منه في البداية ، وبالضبط في نظرته للهوية ، فإن كانت الهوية غير ثابتة ومتجددة فإن العولمة لا تشكل خطرا عليها طالما الهوية تنمو وتتطور في تربة العولمة ، وبذلك تزداد الهوية قوة وخصوبة وتنوعا ..إلخ

إلا أن علي حرب يعود ويتساءل في تهكّم واضح : هل نحن قادرون حقا ، وفي الظروف الراهنة ، أن نُعولم ثقافتنا ونصدّرها إلى الخارج حتى يتقبّلها الآخرون ؟! وقبل ذلك ، هل ثقافتنا كما هي الآن تصلح لكي تُصدّر إلى العالم ؟! و" هل نحن حقا أصحاب رؤية إنسانية ؟ هل مؤهلون لإلقاء دروس في الإنسانية على الغرب ، أم أننا نحن الذين يجدر بنا أن نتعلم منه ونفيد من تجاربه وانجازاته ؟ "[38].

إن هذه الأسئلة التي يطرحها علي حرب لتمثل . من وجهة نظرنا . وبدون شك ثورة على كل ما سبقها من الأفكار والمواقف ، وهي دعوة لإعادة تأسيس الذات من جديد ، تنبذ من خلالها " جنون العظمة " لديها وتقضي على النزعة " النرجسية " ، ولذلك فهو لا يتردد في الإجابة على هذه الأسئلة السابقة بالنفي ، أي أن العرب المسلمين غير قادرين على تصدير حضارتهم خصوصا " بهذه العقلية وفي الظروف الراهنة ، ابتداء من رؤيتنا للمرأة ..."[39].

وهكذا تكون نتيجة تحليله لمسألة الهوية وعلاقتها بالعولمة ، نتيجة متشائمة كَوْن حلّها أصبح معدوما ، غير أنه سرعان ما يتراجع عن هذه النتيجة معتبرا أن " هذا النقد لا يعني الانسلاخ عن الهوية ، ولا نستطيع ذلك ، وإنما الرّهان هو التعامل مع التراثات والهويات بوصفها إمكانات متاحة ومفتوحة ، هي رؤوس أموال ... فلا يعني ذلك تصفية الحساب مع الماضي "[40].

وهذه الصيغة الأخيرة من خطابه محاولة للتخفيف من حدة اللهجة تجاه التراث والماضي ، وهي . في نظرنا . غير متناسقة مع الأطروحة الأولى ، فهي ليست بذات قيمة معرفية وبالتالي ليست مما يمكن أن يؤخذ به .

إنه يمكن القول إن الهوية عند علي حرب ليست أقنوما ثابتا نهائيا ، إنما هي هوية متغيرة متطورة مجتمعيا وتاريخيا بتغير المجتمعات والأوضاع والأحوال والخبرات والمنجزات والإرادات والقدرات ..إلخ وتجميد هذه الهوية وتحويلها إلى نسق ثابت هو تهميش للهوية ، بل طمسها موضوعيا وإنسانيا[41].

وتبقى نقطة أخيرة تجدر الإشارة إليها هنا بصدد تحليل موقف علي حرب من مسألة الهوية ، وهي أن هذا الأخير ليست لديه رؤية محددة لملامح الهوية و مقومات الشخصية العربية الإسلامية كما هو عند المفكرين الآخرين ، وذلك راجع دون شك من تصور علي حرب للهوية نفسها ، فهي متغيّرة ومتحوّلة وغير ثابتة ، إذ لا يمكننا الإشارة إليها بالإصبع فنقول : ها هي !! وبالتالي فإن علي حرب لم يبحث في تاريخ الأمة العربية الإسلامية ، قصد استخراج ملامح الشخصية العربية الإسلامية .

وخلاصة القول فإن علي حرب نظر إلى مسألة الهوية نظرة جديدة ، دعا فيها إلى التخلي عن الاعتقاد بثبات الهوية وقُدسيتها ، وضرورة استبدالها بـ "هوية " أخرى جديدة . إن صح التعبير . تقوم على التجدّد والتنوع والتفاعل المستمر .

وإذا كان موقف علي حرب هذا يعد كنقيض للاتجاه المحافظ ، فإن محاولات أخرى حاولت التوفيق بين الاتجاهين ، وهو ما سنراه في الاتجاه الإبستمولوجي النقدي عند الجابري في العنصر الموالي .

3 . الإتجاه الإبستمولوجي النقدي (محمد عابد الجابري[42] أنموذجا) :

يحتل المفكر المغربي محمد عابد الجابري مكانة في الفكر العربي المعاصر ، وذلك بفضل مشروعه النهضوي ، والذي هو بالأساس قراءة جديدة للتراث العربي الإسلامي مستعينا بذلك بمناهج علمية حديثة لاسيما المنهج الإبستمي .

وتبدو رؤية الجابري إلى موضوع الهوية رؤية تاريخية نقدية ، فيبدأ . شأنه شأن الكثير من الفلاسفة . بانتقاد السالفين وليفسح المجال لبناء صرح جديد من البناء الفكري.

وأما انتقاده فكان منصبا على الاتجاهات المحافظة السلفية من جهة ، وعلى الاتجاه التغريبي من جهة أخرى ، فالأول يمثل " ثقافة علماء التراث " والثاني " ثقافة النخبة العصرية ، وفي شرحه لهاتين الثقافتين يقول :" الأولى تحكمها مرجعية عربية إسلامية قروسطية ، أما الثانية فتنْشدّ انشدادا قويا إلى المرجعية الأوروبية المطبوعة بطابع الحداثة الغربية ، التي تعني أول ما تعنيه : القطيعة مع ثقافة الماضي ، أي ماض كان والتمسك بالعصر كلحظة حاضرة تكفي نفسها بنفسها "[43].

ويُفصّل الجابري بالحديث عن كل اتجاه على حدى مبرزا أصوله ، فهو يعتقد أن مذهب المحافظين لبس أول ما لبس حركة دينية (جمال الدين الأفغاني ، محمد عبده ...) كحركة تنادي بالتجديد وترك التقليد في عصر الانحطاط ، والحذر من السقوط فريسة للفكر الغربي ، غير أن " الماضي الذي أُعيد بناؤه بسرعة قصد الارتكاز عليه للنهوض ، أصبح هو نفسه مشروع النهضة ، وبالتالي فالقراءة السلفية هي قراءة لا تاريخية ، أو هي الفهم التراثي للتراث "[44].

وأما عن نظرة " الليبرالي العربي " . كما يسميه الجابري . إلى الحاضر الذي يحياه ، فهو حاضر الغرب الأوروبي ، فيقرأه قراءة أوروبية النزعة ، وهي القراءة الإستشراقية ، وملخصها " أن العرب كان لهم قوة عندما أخذوا من اليونان ، فكذلك نحن يجب أن نأخذ من الغرب "[45].

ويمتد نقد الجابري إلى اتجاه آخر ثالث وهو الاتجاه الماركسي في الفكر العربي ، الذي يتبنّى المنهج الجدلي كمنهج مُطبّق ، انعكاسا للصراع الطبقي من جهة ، وميدانا للصراع بين المادية والمثالية من جهة أخرى ، " والعلاقة الجدلية هنا هي : مطلوب من الثورة أن تعيد بناء التراث ، ومطلوب من التراث أن يساعد على الثورة "[46].

إن رؤية الجابري تتركز حول تجديد الثقافة العربية الإسلامية من داخلها ، أو " التماس وجوه من الفهم والتأويل لمسارها ، تسمح بربط الحاضر بالماضي في اتجاه المستقبل "[47].

وواضح هنا أننا أمام شخصية فكرية لا تلغي الماضي والأصول والمقومات ، بل تحاول تفعيلها في إطار عصري .

ينطلق الجابري من البحث في مشكلة الهوية من تحديد مكانتها أولا فـ " الهوية الثقافية هي حجر الزاوية في تكوين الأمم لأنها نتيجة تراكم تاريخي طويل "[48].

ثم يعرفها ثانيا بأنها " ردّ الفعل ضد الآخر ، ونزوع حالم لتأكيد الأنا بصورة أقوى وأرحب "[49].

وهذا معناه أن الهوية لا تُدرك ولا تُميز إلا مع إدراك الآخر وتميّزها عنه ، فالشخصية العربية لا يمكن فهمها على حقيقتها إلا إذا فهمنا الآخر (الحضارة الغربية) .

ثم يتساءل الجابري : ما المقصود من كلمة " عربي "؟

وبعد حصره لإجابتين عن هذا السؤال : الأول " العربي " في معناه القديم ، عرب عاربة : وهم سكان شبه الجزيرة العربية ، وعرب مستعربة وهم سكان البلاد التي فتحت بالإسلام كالعراق و مصر وشمال إفريقيا ...إلخ[50].

وأما الإجابة الثانية عن السؤال فهي معنى " العربي " في العصر الحديث والراهن ، وهم السكان الذين يدينون بالإسلام من المحيط إلى الخليج .

المعنى الأول اندثر وأصبح في حكم الماضي ، وأما الثاني فهو المعنى الشائع والمستعمل الآن ، فصفة " العربي " تعتبرها الأغلبية الساحقة من المحيط إلى الخليج جزء من هويتهم ، " فمن لم يكن عربيا بالعرق . وهل يمكن إثبات ذلك أو إثبات العكس . فهو يعتبر نفسه عربيا بالإسلام ، كما هو الحال بالنسبة إلى شعوب شمال إفريقيا التي لا ينفصل في وعيها

الإسلام عن العروبة ، وأما من لم يكن منهم مسلما كالمسيحيين في المشرق فهم يعتبرون أنفسهم عربا باللغة والثقافة والتاريخ والأصل "[51].

إن الجابري من خلال هذا النص يتضح أنه يفصل في إشكالية : هل نحن عرب أم مسلمون ؟ وذلك بالجمع بين الإسلام والعروبة ، ذلك أنه لا تناقض بين الاثنين كما أنه لا تكامل بينهما ! فكلمة " إسلام " تقابلها " مسيحية " أو " يهودية " ، وأما كلمة " عروبة " فتقابلها " أتراك " أو " استعمار غربي " ، وبالتالي فإنه " ليس هناك أي مفهوم للإسلام يمكن وضعه في علاقة ثنائية تعارضية أو تكاملية مع مفهوم العروبة ، وإنما هناك وراء هذه الثنائية قضية سياسية ، تتعلق برد فعل العرب على سياسة التتريك العثمانية "[52].

ولذلك فإنه لا معنى . بالنسبة للجابري . أن يوضع سكان المنطقة الممتدة من المحيط إلى الخليج أمام الاختيار بين العروبة والإسلام ، إنهم جميعا عربا وعروبيين بالفصاحة ولا بالنسب ولا بالدين ، بل باللغة والثقافة والتاريخ والمصير الواحد والمصالح المشتركة : كلهم عرب أو مستعربون ، منهم المسلمون وهم الأغلبية ومنهم مسيحيون وأتباع ديانات أخرى وهم أقلية ، " تماما مثلما أنه لا معنى لوضع سكان إيران أو باكستان أمام الاختيار بين أن يكونوا مسلمين ، وبين أن يكونوا إيرانيين أو باكستانيين "[53].

ومنه فإن " العربي ليس وجودا جامدا ولا هو ماهية ثابتة جاهزة ، إنه هوية تتشكل وتصير "[54].

وبعد أن حدد الجابري مفهوم الهوية ومفهوم " العربي المسلم " ينتقل الى تعريف الثقافة ، فهي " ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات التي تحتفظ لجماعة بشرية ، تشكل أمة أو ما في معناها ، بهويتها الحضارية في إطار ما تعرفه بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء "[55].

ومعنى ذلك أن الثقافة عند الجابري ليست كما هي عند علي حرب من أنها مقطوعة الصلة بماضيها أو (لقيطة) وإنما هي حصيلة تفاعل تلك الأصول مع المتغيرات الحديثة .

وهذا المعنى يتضح أكثر من تعريف آخر له للثقافة :" هي المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم ، عن نظرة هذه الأمة الى الكون والحياة والموت والإنسان ومهامه وقدراته وحدوده وما ينبغي أن يعمل وما لا ينبغي أن يعمل "[56].

ومن أجل التعرف على مكونات الثقافة فإن الجابري يقسمها الى منظومات :

1- **منظومات التفكير والتمثّلات** : وتضم مجموع التصورات والرموز التي يستعملها الأفراد والمجموعات داخل ثقافة معينة للتعرف على أنفسهم وإلى بعضهم بعضا ، وإلى العالم الذي من حولهم والتي يوظفونها بالتالي في إنتاج المعرفة وإخصابها .

2- **منظومات المعايير** : وتمثل كل ما يتعلق بالقيم الأخلاقية والدينية والجمالية التي يستند عليها الناس داخل ثقافة معينة في الحكم على الأفعال والسلوك .

3- **منظومات التعبير** : وتشمل الكيفيّات المادية والصورية (الرمزية) التي يتم بها الإفصاح عن التصورات والقيم والتعبير عن الإحساسات والأفكار .

4- **منظومات العمل** : وتشمل الوسائط التقنية التي تمكن من السيطرة بصورة ملائمة ، بدرجة ما على الوسط الذي يعيش فيه الناس داخل ثقافة معينة[57].

ويمكن ترجمة هاته المنظومات الأربع الى : عادات فكرية ، وأخرى قيمية وثالثة لغوية ، ورابعة عملية .

ويسقط الجابري هذا المفهوم للثقافة على الحضارة العربية الإسلامية فيصل إلى نتيجة خالف فيها . حسب علمنا . جميع المفكرين والمؤرخين ، من اعتبار عصر التدوين وليس العصر الجاهلي هو الدعامة الأساسية لما نسميه بالشخصية العربية ، حيث يقول : " إن البداية الفعلية للثقافة القومية العربية ، الثقافة العربية الإسلامية ، بوصفها المقوم الأساسي للشخصية العربية ، كما نتحدث عنها ، إنما هي عصر التدوين وليس العصر الجاهلي "[58].

ولعل السبب الذي أدى بالجابري إلى اعتبار عصر التدوين (أي العصر العباسي الأول) هو النواة الأولى للثقافة العربية الإسلامية ، كون هذا العصر كان عصر انتشار للإسلام وفيه تمت عمليات ترجمة للثقافات الأخرى ، وفيه أيضا نشأت علوم ارتبطت مع الدين الإسلامي وهي : علم الكلام والفقه والتفسير والحديث ووضعت قواعد اللغة والنحو والعروض .. إلخ ، وبالتالي فإن الرجوع إلى العصر الجاهلي لتحديد منطلق الشخصية العربية الإسلامية هو إقصاء لتأثير الدين الإسلامي.

إلا أن الجابري وإن كان يعطي أولوية لعصر التدوين ، فإنه مع ذلك لا ينفي دور اللحظات التاريخية سواء التي سبقته أو التي جاءت بعده ، إذ يقول : " إن الأصالة القومية في الثقافة العربية لا ترجع إلى العصر الجاهلي وحده ، و لا إلى ما قبله دون ما بعده ، ولا حتى إلى عصر التدوين بمفرده ، إن الأصالة القومية في الوطن العربي هي تلك التي صنعها ويصنعها العرب كل يوم بل كل ساعة "[59].

إن مفهوم الجابري للثقافة . وإن شئت قل هويتنا الثقافية . لا ترجع إلى لحظة معينة بالذات حيث يُقسّم التاريخ إلى ما قبلها وإلى ما بعدها ، وإنما هي بنية تُعيد تشكيل نفسها باستمرار ، وهذا هو وجه الاتفاق مع المفكر علي حرب ووجه الخلاف مع الاتجاه السلفي المحافظ " فالأصالة ليست كنزا و لا ركازا ، ليست معطى خاما ولا قطعة في متحف بل الأصالة سمة تطبع كل عمل فيه خصوصية وإبداع "[60].

وبالإضافة إلى الجانب الديني وهو المقوّم الأساسي في الشخصية العربية الإسلامية ، على اعتبار أن عصر التدوين هو تمثل وتفاعل للإسلام مع باقي الجوانب الأخرى ، فإن اللغة العربية . حسب الجابري . كلغة مستقلة عن باقي اللغات ، لها من إحساس العرب بالانتماء إلى ثقافة واحدة متميزة من الثقافات الأخرى الأثر الكبير[61]، وهذه حقيقة ربما يكون من السهل تأكيدها ، ذلك أن اللغات العالمية سواء كانت الفرنسية أو الإنجليزية أو الألمانية ...إلخ على اختلافها فهي تُكتب بحروف واحدة وتُنطق بحروف متشابهة في أغلب الأحيان ، فهي ترجع إلى أصل واحد (اللاتينية) أو اثنين ، وأما اللغة العربية فلها حروف متميزة ، ونطق فريد بالإضافة إلى نحو وتركيب خاصين[62] ، وهذا دليل على أن الجابري يعتقد بوجود سمات خاصة لدى الأمة العربية الإسلامية .

على أن الجابري لا يعتقد أن تقديس العرب للغتهم يحمل طابعا دينيا ، فمع أن القرآن نزل بلسان عربي مبين فإنه لا يمكن الجزم بأن الجانب الديني له دور في حب العرب للغتهم ، وحجته في ذلك أنه لو نظرنا إلى " الذين خدموا اللغة العربية وتعصّبوا لها ، فسنجدهم إما مسلمين غير عرب أو عرب غير مسلمين (مسيحيّين)"[63].

وهذه أيضا حقيقة تاريخية ، فعلماء اللغة والبلاغة ومؤلفي القواميس والمعاجم كانت غالبيتهم الساحقة من أصل غير عربي ، أما إذا نظرنا إلى العصر الحاضر فإننا نجد الذين خدموا العربية وعرّبوا الكتب كانوا من المسيحيّين العرب[64].

إلا أن الجابري وإن كان يعترف بوجود موروث ثقافي عربي إسلامي خالص ، فإنه مع ذلك لم يتعمق في البحث عن خصائص هذا الموروث أو عن مقوماته ، باستثناء الإشارة إلى كون الدين واللغة (الدين الإسلامي واللغة العربية) أحدا أهم مكوناته ، وإنما خصص كل اهتمامه بنتيجة هذا الموروث وكيفية تفاعله وتطوره فيما بعد ، وظهر ذلك في رباعيته عن التاريخ

الإسلامي وهي على الترتيب : " تكوين العقل العربي " ، " بنية العقل العربي " ، " العقل السياسي العربي " ، " العقل الأخلاقي الغربي ".

إن هذه المؤلفات هي بحق من أهم ما ألف الجابري من كتب ، وهي تلخص رؤيته للتراث العربي الإسلامي ، إلا أن الذي يعنينا هنا بصفة مباشرة هو كتابه الأول " تكوين العقل العربي " الذي يبرز فيه الجابري " دور الموروث العربي الإسلامي الخالص في تكوين العقل العربي "[65].

والعقل العربي الذي يعنيه الجابري في كتابه هذا هو العقل الذي تَكوّن وتَشكّل داخل الثقافة العربية ، وفي نفس الوقت الذي عمل هو نفسه على إنتاجها وإعادة إنتاجها[66].

ومعنى ذلك أن العقل الذي يتحدث عنه الجابري ، ليس عقلا مجردا ومغلقا وجاهزا ، بل هو عقل يقيم علاقة جدلية مع الثقافة التي يُنتجها ، فكأنما الجابري هنا يقيم برهانا بالخلف ، أي أنه حاول التعرّف على الموروث الثقافي العربي الإسلامي الخالص من خلال ما أنتج هذا الموروث من ثقافة وطريقة تفكير ، وربما كان هذا مدلول كلامه : " إذا كان الإنسان يحمل معه تاريخه شاء أم كره . كما يقال . فكذلك الفكر يحمل معه آثار مكوناته وبصمات الواقع الحضاري الذي تَشكّل فيه ومن خلاله "[67].

وعلى هذا الأساس يبدأ الجابري في تحليل هذه الثقافة العربية الإسلامية القديمة من خلال أفكار الفلاسفة والمؤرخين والنحاة والفقهاء والأصوليين والمتكلمين والمتصوفة ... إلخ لكي يستنتج كيف يُفكّر العقل العربي ويُقارنه فيما بعد بغيره من العقول (اليوناني والأوروبي) ، وهذا كله للبحث عن الأسباب التي جعلت الثقافة العربية تتقهقر وتصل إلى مآزقها في عصر الانحطاط وما بعده .

ويمكن حوصلة النتائج التي وصل إليها الجابري في مشروعه هذا في :

أولا : أن الثقافة العربية الإسلامية تَطلبُ من العقل أن يتأمل الطبيعة ليتوصل إلى خالقها (الله) ، وهناك في الثقافة اليونانية . الأوروبية يتخذ العقل من الله وسيلة لفهم الطبيعة أو على الأقل ضامنا لصحة فهمه لها[68].

ثانيا : أن العقل في الثقافة الأوروبية واليونانية يرتبط بادراك الأسباب أما العقل في اللغة العربية وبالتالي في الفكر العربي يرتبط أساسا بالسلوك والأخلاق[69].

ثالثا : أن العقل العربي تحكمه النظرة المعيارية إلى الأشياء ، ويقصد الجابري بالنظرة المعيارية ذلك الاتجاه في التفكير الذي يبحث للأشياء عن مكانها وموقعها في منظومة القيم التي يتخذها ذلك التفكير مرجعا له ومرتكزا ، وهذا في مقابل النظر و الموضوعية التي تبحث في الأشياء عن مكوناتها الذاتية وتحاول الكشف عما هو جوهري فيها ، ومعنى ذلك أن النظرة المعيارية نظرة اختزالية ، تختصر الشيء في قيمته ، وبالتالي في المعنى الذي يضفيه عليه الشخص (والمجتمع والثقافة) صاحب تلك النظرة ، وأما النظرة الموضوعية فهي نظرة تحليلية تركيبية ، تحلل الشيء إلى عناصره الأساسية لتعيد بناءه بشكل يبرز ما هو جوهري فيه[70].

ورابعا : أن المعرفة عند العرب تتأسس على الأخلاق ، بينما عند اليونان : الأخلاق هي التي تتأسس على المعرفة ، ويستدل الجابري على ذلك بلسان العرب لابن منظور ، وبالقرآن الكريم :" إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الذِينَ لَا يَعْقِلُونَ "[71].

ويُلخّص الجابري هذا كله في قوله : " إن الطابع الحسي اللاتاريخي للنظرة التي تحملها معها اللغة العربية عن العالم ، لكونها كانت وما زالت تجرّ معها عالم ذلك الأعرابي الذي كان يعيش ما قبل التاريخ العربي ، عالم خشونة البداوة و" سذاجة العروبة " بتعبير بن خلدون "[72].

وأما دراسة الجابري للأعمال العلمية العربية ، من نحو وفقه وكلام وبلاغة كانت لتؤكد أنها خطاب عربي يُؤسّسه فعل عقلي واحد ، أي آلية ذهنية واحدة قوامها ربط فرع بأصل لمناسبة بينهما ، وهو القياس بتعبير النحاة و الفقهاء ، أو الاستدلال بالشاهد على الغائب عند المتكلمين والتشبيه بتعبير البلاغيين[73].

وهكذا يستنتج من خلال دراسته للشافعي والغزالي إلى أن العقل العربي تَوقّف عن أداء واجبه المعرفي وهو ما يصطلح على تسميته بـ" استقالة العقل العربي " ، وهذا إشارة إلى عدم الاعتماد على العقل للوصول إلى المعرفة واستبداله بالتصوف أو العرفان[74] ، وهذا الحكم ينطبق أيضا على السهروردي وبن عربي .

وفي الأخير يصل من خلال دراسته للثقافة العربية القديمة إلى الإجابة عن السؤال القديم "المتجدّد" : لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ بقوله : " إن المسلمين إنما بدأوا يتأخرون حينما بدأ العقل عندهم يُقدّم استقالته ، حينما أخذوا يلتمسون المشروعية الدينية لهذه الاستقالة "[75].

ويبدو أن هذه الإجابة غير كافية من الوجهة العلمية ، التي تَعتبر أن لكل شيء سبب ، فإرجاع تخلف العرب المسلمين إلى " استقالة العقل " عندهم غير كافٍ ، إذ أن السؤال المنطقي والأهم هو : لماذا العقل العربي استقال من وظيفته ؟! ، لذلك نجد الجابري يحاول أن يستدرك ذلك بقوله : " أما أسباب إصرار العقل العربي على تقديم استقالته، فبعضها يرجع إلى الموروث القديم السابق على الإسلام ، وبعضها يرجع إلى الموروث الإسلامي الخالص ، وقد حاول العرب التخلص من الفترة الهرمسية ففعلوا ذلك جزئيا ، وجزئيا فقط بسب أحد معطيات الموروث الإسلامي الخالص ذاته "[76].

وواضح من هذا أن الجابري ومن خلال استفادته من المناهج العلمية لاسيما المنهج الإبستمي ، الذي يعتمد على التحليل الموضوعي للأشياء والظواهر ، وصل إلى نتيجة مفادها أن التخلّف الذي أصاب الأمة الإسلامية كان نتيجة لحتمية تاريخية " فلم يكن من الركود مناص و لا من التقليد مفر "[77].

ولكن إذا كان الأمر كذلك ، أي أن التخلف هو مسألة حتمية ، فلماذا نُلقي باللوم على المفكرين الذين مثلوا وجسدوا هذا التخلف مثل الغزالي وبن عربي ؟! ثم إنّه لو طبقنا هذه الفكرة . فكرة الحتمية . على واقعنا العربي المعاصر ، فسنجد الدعوة إلى النهضة والثورة على الرواسب التاريخية التقليدية هي دعوة لا جدوى منها ، طالما أن التاريخ تحكمه قوالب وأطر موضوعية لا طاقة للإنسان بتغييرها أو التحرّك خارج حدودها !!!

إن هذه الفكرة . فكرة الحتمية التاريخية . ترجعنا إلى الإشكالية التقليدية : هل الإنسان أمام الظروف التاريخية والاجتماعية والنفسية حرّ أم مجبر ؟! وهكذا نجد أنفسنا أمام المشكلة الميتافيزيقية المعروفة والمتمثلة في الحرية الإنسانية .

ومعلوم أن هذه المشكلة نفيها أو إثباتها ليس من مجال العلم ، وفي رأينا وللخروج من هذا المأزق هو إعطاء هامش أكبر من الحرية للإنسان ضمن الظروف المحيطة به ، حتى يمكن من خلالها قيام نوع من المسؤولية الفردية .

الخاتمة

وخلاصة القول فإن المفكرين العرب المعاصرين ، طُرحت عليهم مسألة التقدم كتحدي حضاري ، فتصدوا لهذا التحدي بالبحث عن العلة والداء ، فانكبّوا على تاريخ الأمة ومقوّماتها يلتمسون الأسباب ، فبينما رأى المحافظون أن الحل لمشكلة تخلّف العرب المسلمين هو العودة إلى أصولهم ومبادئهم السمحة ابتداء من الفهم الصحيح للدين إلى العمل والاجتهاد في أمور وشؤون الدنيا ، ولسان حالهم القول المشهور " لا يصلح حال آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها "[78] ، لكن البعض الآخر من الاتجاه الليبرالي التحرري كالمفكر علي حرب رفض هذا الطرح الأخير معتبرا أن وجود أصول ثابتة نهائية لا تتزعزع هو تصور خيالي للمسألة ، وهو منافي للسنن التاريخية ، وعنده العيش في الحاضر وحده كاف للتطور ومواكبة العصر ، دون الالتفاف و لو نظرة واحدة إلى الماضي المليء بالمتناقضات و النقائص ، وأما الاتجاه الثالث فهو . في رأينا . اتجاه

وقف موقفا وسطا ، محاولا التوفيق بين الاثنين وتقريب الهوة بينهما ، وهو الاتجاه الإبستمولوجي النقدي ممثلا بالمفكر محمد عابد الجابري الذي اعتبر الهوية كيان ثابت ومقدس[79]، له ما له وعليه ما عليه ، ولن تكون هناك نهضة ما لم تكن من داخل هذه الأصول نفسها وبالتالي أن نستورد قِيمًا أخرى أو نموذجا آخرا ليس حلا للمشكلة .

الهوامش :

1: ابن منظور ، لسان العرب ، مادة هوية ، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، لبنان ، الجزء 15، ط3، دون تاريخ ، ص 170.
2: رسول محمد رسول ، محنة الهوية : مسارات البناء وتحولات الرؤية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان،2000، ص17 .
3: علي الشريف الجرجاني ، التعريفات ، تحقيق : عبد المنعم الحفني ، دار الرشاد القاهرة ، مصر ، دون تاريخ ، ص 286 .
4: رسول محمد رسول ، محنة الهوية ، ص22 .
5: محمود يعقوبي ، معجم الفلسفة ، مادة مبدأ الهوية ، الميزان للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 1998، ص174.
6: المرجع نفسه ، ص174.
7: شكيب أرسلان (1869-1946) ، أديب ومؤرخ وسياسي لبناني .
8: شكيب أرسلان ، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ، موفم للنشر ، الجزائر ، 1990 ، ص71 ، 73 .
9: المرجع نفسه ، ص 72 .
10: المرجع نفسه ، ص 81.
11: المرجع نفسه ، ص 81 .
12: المرجع نفسه ، ص 82 .
13: الضرقيون هم المشرقيون .
14: شكيب أرسلان ، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ، ص 80.
15: المرجع نفسه ، ص 80 .
16: المرجع نفسه ، ص 81 .
17: علي حرب كاتب ومفكر لبناني ولد سنة 1943،من مؤلفاته نقد النص ، أوهام النخبة أو نقد المثقف ، حديث النهايات ، الممنوع والممتنع أو نقد الذات المفكرة.
18: علي حرب ، حديث النهايات : فتوحات العولمة ومآزق الهوية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2000 ، ص20 .
19: المرجع نفسه ، ص21 .
20: علي حرب ، حديث النهايات ، ص 35 .
21: رسول محمد رسول ، محنة الهوية ، ص 93 .
22: علي حرب ، حديث النهايات ، ص 23 .
23: المصدر نفسه ، ص 23.
24: علي حرب ، الممنوع والممتنع : نقد الذات المفكرة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1995 ، ص 108 .
25: المرجع نفسه ، ص 106.
26: المرجع نفسه ، ص 106 .
27: المرجع نفسه ، ص 112 .
28: المرجع نفسه ، ص 108 .
29: علي حرب ، أوهام النخبة أو نقد المثقف ، المركز القافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1996 ، 86.
30: صاحب هذا التعريف هو العالم الأنثروبولوجي الأنجليزي "ادوارد تايلور (1832-1971) ،من مؤلفاته " الثقافة البدائية".
31: محمد الجوهري حمد الجوهري ، الثقافة العربية والحضارة الإسلامية ، دار الأمين ، مصر ، ط1 ، 1998، ص 16.
32: محمد عابد الجابري ، المسألة الثقافية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1994 ، ص 213.
33: علي حرب ، حديث النهايات ، ص 50 .
34: المرجع نفسه ، ص 50 .
35: المرجع نفسه ، ص 34 .
36: المرجع نفسه ، ص 53 .
37: المرجع نفسه ، ص 25 .
38: المرجع نفسه ، ص 58 .
39: المرجع نفسه ، ص 83 .
40: المرجع نفسه ، ص 83 .

41: محمد أمين العالم ، الفكر العربي بين الخصوصية والكونية ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1996 ، ص16.

42: [1] : محمد عابد الجابري(1935-2010) مفكر مغربي معاصر من مؤلفاته : تكوين العقل العربي ، بنية العقل العربي ، نقد العقل السياسي ، نقد العقل الأخلاقي.

43: محمد عابد الجابري ، نحن و التراث: قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، لبنان،ط6، 1993،ص13

44: المرجع نفسه ، ص 13 .

45: محمد عابد الجابري ، المسألة الثقافية ، ص 14 .

46: المرجع نفسه ، ص 15 .

47: المرجع نفسه ، 227 .

48: محمد عابد الجابري ، مسألة الهوية ، العروبة والإسلام...والغرب ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الدار البيضاء،المغرب ، ط1 ، 1995 ، ص 11 .

49: المرجع نفسه ، ص 17 .

50: المرجع نفسه ، ص 32 .

51: المرجع نفسه ، ص 14 ، 15 .

52: المرجع نفسه ، ص 50 .

53: المرجع نفسه ، ص 44 .

54: المرجع نفسه ، ص 15 .

55: محمد عابد الجابري ، المسألة الثقافية ، ص 213.

56: المرجع نفسه ، ص 213 .

57: المرجع نفسه ، ص 214 .

58: المرجع نفسه ، ص 36 .

59: المرجع نفسه ، ص 38 .

60: محمد المرجع نفسه ، ص 39 .

61: المرجع نفسه ، ص 275 .

62: المرجع نفسه ، ص 275 .

63: المرجع نفسه ، ص 276 .

64: المرجع نفسه ، ص 276 .

65: محمد عابد الجابري ، تكوين العقل العربي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط4 ، 1991 ، ص 131 .

66: المرجع نفسه ، ص 5 .

67: المرجع نفسه ، ص 13 .

68: المرجع نفسه ، ص 29 .

69: المرجع نفسه ، 30 .

70: المرجع نفسه ، ص 31 ، 32 .

71: سورة الأعراف ، الآية 179 .

72: محمد عابد الجابري ، تكوين العقل العربي ، ص 131 .

73: المرجع نفسه ، ص 131 .

74: محمد عابد الجابري ، بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ، بيروت، لبنان، ط3 ، 1993، ص 560.

75: محمد عابد الجابري ، تكوين العقل العربي ، ص 347 .

76: المرجع نفسه ، ص 347 .

77: المرجع نفسه ، ص 343 .

78: محمد طهاري ، الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع،ط1999،1،ص106.

79: رسول محمد رسول ، محنة الهوية ، ص 73 .

البدانة ونمط الحياة:دراسة فارقية بين البدينين وغير البدينين من المراهقين

أ.كريمة مقاوسي
جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص

إن أهمية كل بحث علمي تتجلى بشكل خاص في كونه يعالج موضوعا أو قضية مهمة في حياة المجتمعات وخاصة حياة الأفراد. ولعل أهم ما يشغل بال أي فرد في أي مجتمع صحته سواء الجسمية أو النفسية وعموما كلاهما معا، فالعلاقة بينهما تأثير وتأثر لهذا جاءت هذه الدراسة بهدف محاولة الكشف عن العلاقة بين البدانة ونمط الحياة لدى عينة من المراهقين، وقد كان عنوان البحث"البدانة ونمط الحياة(دراسة فارقية بين البدينين وغير البدينين من المراهقين)"،حيث تكونت العينة من "80" مراهقا في كلا الجنسين موزعة إلى "40" مراهقا غير بدين(20 ذكرا – 20 إناث) و"40" مراهقا بدينا(20 ذكرا – 20 إناث)،وذلك بتطبيق استبيان نمط الحياة للتحقق من فرضيات عديدة،بيّنت وجود فروق في نمط الحياة لدى العينات المدروسة.

الكلمات المفتاحية: البدانة، نمط الحياة، النشاط البدني، العادات الغذائية، الضغط النفسي

Summary

The objective of this study is to try to reveal the relation between obesity and lifestyle with a sample of adolescents. The sample consists of 80 adolescents in both sexes are distributed to 40 non-obese adolescent and 40 obese adolescents, using the questionnaire lifestyle to verify the hypotheses

The study concluded that there are differences between masculine and feminine obese and non-obese in physical activity and eating habits and to stress

Keywords: Obesity, Lifestyle, Physical Activity, Eating Habits, Stress Management

مقدمة:

حياة الإنسان مليئة بالتّغيّرات، ففي تدرّجه في النمو يمر بعدة مراحل تشكّل كلّ واحدة منها أساسا تقوم عليه المرحلة التي تليها، وباعتبار الإنسان كائنا متفاعلا يسعى دوما إلى التكيّف، فإنّه يتأثّر بتغيّرات كلّ مرحلة، وتعدّ مرحلة المراهقة واحدة من أهم المراحل التي تبرز فيها التّغيّرات والتّبدّلات بصورة كبيرة سواء من الناحية الفيزيولوجية، أم النفسية و الاجتماعية، ونأخذ مثالا على ذلك: البدانة التي أصبحت مشكلا كبيرا في حياة البعض، وتعرّف على أنّها زيادة في الوزن بتراكم الشحم تحت الجلد، وعلى الرغم من أهمية تأثير العوامل البيئية، البيولوجية، الهرمونية والوراثية على صحة الإنسان إلا النمط الذي يعتمده الفرد في حياته، والعادات الصحية التي يمارسها تعد من المتغيرات الأساسية المؤثّرة في حالته الصحية خاصة في إصابته بالبدانة من بينها العادات الغذائية السلبية، مثل تناول الوجبات السريعة في المطاعم التي تحتوي على سعرات حرارية عالية، كما أن تناولها يقلّل من استخدام الأطعمة الصحية الغنية بالألياف وما يصاحبها من إكثار في تناول المشروبات الغازية، وكذلك عدم الاهتمام بتناول وجبة إفطار متكاملة وعدم تنظيم أوقات الأكل، إلى جانب ذلك فإنّ قلة النشاط البدني والركون إلى الراحة يقودان إلى جملة من الآثار السلبية على صحة الفرد والمجتمع على السواء، وكنتيجة حتمية للدلائل القوية والمؤشرات العلمية التي تشير إلى العلاقة الوثيقة بين ممارسة النشاط البدني من جهة وصحة الإنسان العضوية والنفسية من جهة أخرى، حيث من الثابت علميا في وقتنا الحاضر أن الممارسة المنتظمة للنشاط البدني المعتدل الشدّة على الأقل وارتفاع اللياقة البدنية للفرد تحملان في طياتهما تأثيرات ايجابية جمّة على وظائف الجسم المختلفة، وتعودان بفوائد صحية كثيرة على الإنسان، وقد أشارت العديد من الدراسات إلى تأثير ميزان الطاقة بشقيه المأخوذ والمستهلك بالضغط النفسي، حيث يشعر الفرد بالضغط ويلجأ للإفراط في الطعام للشعور بالراحة النفسية، أو يستيقظ ليلا نتيجة القلق وعدم القدرة على النوم نتيجة انشغاله بالأعباء اليومية ولا يجد وسيلة للتخلص من هذا القلق غير تناول الأطعمة التي عادة ما تكون جاهزة وغنية بالطاقة، والنتيجة الحتمية لذلك هو إصابتهم بالبدانة، والأمر يتفاقم أكثر إذا تعلّق بفئة المراهقين الذين في بعض الأحيان يكونون غير واعين بأنّ نمط الحياة لديهم يؤدّي إلى بدانتهم، ومن هنا جاء بحثنا هذا لكي نحاول فيه التّعرف على حالة المراهق البدين، وكيف يؤثّر نمط الحياة في حدوث البدانة أو عدم حدوثها .

– مشكلة البحث

في حياتنا المعاصرة، هناك عدة مواضيع وإشكاليات أخذت نصيبا كبيرا من الطرح والمعالجة والبحث لتأثيرها الكبير على الحياة النفسية والاجتماعية للناس، منها البدانة التي أصبحت مشكلا كبيرا في حياة البعض، والتي تعرّف على أنّها زيادة في الوزن بتراكم الشحم تحت الجلد، وتعدّدت الأسباب المؤدّية للبدانة من وراثية وعادات خاطئة في الأكل وعوامل نفسية ، وعدم ممارسة الأنشطة البدنية، فقد تتسبّب في حدوث أمراض عديدة مثل ارتفاع ضغط الدم، التهاب المفاصل ،البهر، السرطان، داء السكري، هذا إلى جانب الآثار السلبية على النواحي النفسية والاجتماعية، ومن الفئات العمرية التي يهمّها أمر الوزن بشكل واضح المراهقون والمراهقات، باعتبار فترة المراهقة أزمة تعبّر عن التغيرات الفيزيولوجية والنفسية، والتي يحاول المراهق أن يتأقلم معها ويفهم أبعادها لكي يكون صورة عن ذاته كفرد من أفراد المجتمع، ويفهم دوره ووجوده كفرد مستقل له كينونته الشخصية وإدراكاته ومفاهيمه وآراءه.

وتتزايد معدّلات انتشار البدانة في البيئات التي تحتضن أنماط الحياة الخمولية وتشجّع السلوكيات الغذائية غير المتوازنة ، ولهذا فإنّ هذا الاستهلاك لا يختلف كثيرا بين الأفراد، وبالتالي فإن التباين في استهلاك الطاقة بين الأفراد يكون نتيجة اختلاف الممارسات البدنية، وقد أدى التقدم الهائل في التقنيات الحديثة إلى تقليص حجم النشاط البدني، كما أن الشباب يقضون معظم أوقات فراغهم أمام التلفاز والكمبيوتر بدلا من ممارسة النشاط البدني ممّا يحدث هناك اختلال بين ما يتناوله الفرد وبين ما يستهلكه من طاقة فيؤدي ذلك إلى تجمع الدهون في الجسم فالبدانة، إلى جانب ذلك هناك العوامل النفسية، فنحن نعلم أنه قد يميل الإنسان تحت طائلة الضغط النفسي إلى الإكثار من تناول الغذاء، لذلك عمد العديد من العلماء لدراسة البدانة وذلك لأهمية هذا الموضوع مثل دراسة ديلفوكسDelvaux . وآخرون (1999)، ودريفولد droyvold وآخرون (2004) .(1).

لكن معظم هذه الدراسات ركزت على شريحة معينة مثلا الإناث فقط أو الذكور لكن شريحة المراهقين "إناث وذكور" لم تلق اهتماما كبيرا في هذه الدراسات إذ لم تركز على العلاقة بين البدانة ونمط الحياة لدى المراهقين الذكور والإناث. ومن هنا حاولنا في بحثنا هذا أن نسلط الضوء على هذه الشريحة وذلك بدراسة هذين المتغيرين لدى المراهق في كلا الجنسين الذكور والإناث ولتوضيح مشكلة البحث نصوغها في التساؤلات التالية: – هل توجد فروق بين البدينين وغير البدينين من الجنسين في الأنشطة البدنية؟ – هل توجد فروق بين البدينين وغير البدينين من الجنسين في العادات الغذائية ؟ – هل توجد فروق بين البدينين وغير البدينين من الجنسين في التعامل مع الضغط النفسي؟ – هل توجد فروق بين الجنسين البدينين والبدينات في الأنشطة البدنية والعادات الغذائية وفي التعامل مع الضغط النفسي؟ – هل توجد فروق بين غير البدينين وغير البدينات في الأنشطة البدنية والعادات الغذائية وفي التعامل مع الضغط النفسي؟

2 – أهمية البحث وأهدافه

2 – 1 – هدف البحث

– التعرف على العلاقة بين البدانة ونمط الحياة من خلال "النشاط البدني –عادات التغذية والتعامل مع الضغط النفسي". – التعرف على وجود فروق بين البدينين وغير البدينين من كلا الجنسين في تأثير نمط الحياة. – التعرف على كيفية تأثير نمط الحياة في حدوث البدانة لدى المراهقين من الجنسين. – أهمية البحث – إنّه يتناول ظاهرة البدانة التي ازداد انتشارها في المجتمعات المعاصرة سواء المجتمعات المتقدمة حضاريا وماديا أم المجتمعات المتخلّفة، فصار الأفراد والمجتمعات يعيشون في قلق من الآثار الصحية والنفسية المترتّبة عنها. – إنّه يتناول هذه الظاهرة لدى فئة من المراهقين، هذه الفئة الأكثر تأثرا بالظروف المحيطة بها ، والتي تزيد في تفاقم هذه المشكلة، كما يكتسي البحث أهمية من خلال تناوله هذه الشريحة في كلا الجنسين ،

حيث تناول العلاقة بين البدانة ونمط الحياة من خلال النشاط البدني وعادات التغذية، والتعامل مع الضغط النفسي لديهم سواء إناثا أم ذكورا.

– كما تبرز أهمية هذه الدراسة فيما تسفر عنه من نتائج ومعلومات تساهم في معرفة مدى تأثير نمط الحياة في حدوث البدانة عند المراهقين.

– فروض البحث

الفرضية الأولى:نتوقع أن توجد فروق بين البدينين وغير البدينين من الجنسين في الأنشطة البدنية.

الفرضية الثانية: نتوقع أن توجد فروق بين البدينين وغير البدينين من الجنسين في العادات الغذائية.

الفرضية الثالثة: نتوقع أن توجد فروق بين البدينين وغير البدينين من الجنسين في التعامل مع الضغط النفسي.

الفرضية الرابعة:نتوقع أن توجد فروق بين الجنسين البدينين والبدينات في الأنشطة البدنية ، والعادات الغذائية والتعامل مع الضغط النفسي.

الفرضية الخامسة:نتوقع أن توجد فروق بين غير البدينين وغير البدينات في الأنشطة البدنية ، والعادات الغذائية وفي التعامل مع الضغط النفسي.

– متغيرات البحث

– النشاط البدني : مجموعة من الحركات الجسمية الناتجة عن انقباض العضلات الهيكلية التي ترفع استهلاك الطاقة، ويظهر النشاط البدني في العمل والأعمال المنزلية، ويوضح هذا التعريف أن النشاط البدني لا يقتصر فقط على الرياضة والتمرينات ولكنه يمتد ليشمل الأنشطة الحياتية الأخرى. – البدانة: تعرف البدانة بأنّها زيادة نسبة الدهون بالجسم، ومن مؤشرات تحديد البدانة مؤشر كتلة الجسم، وهو ناتج قسمة الوزن على مربع الطول، ويعتبر الفرد بدينا إذا كان مؤشر كتلة الجسم يزيد عن 20.%

– نمط الحياة:هو نمط السلوكيات والعادات التي يتميّز بها الفرد، وتشمل العادات الغذائية، النشاط البدني، التعامل مع الضغط النفسي . هي الدرجة التي يحصل عليها الفرد على الاستبيان الذي أجاب عنه، ويعتبر نمط حياته ايجابيا إذا ارتفعت درجته أعلى من متوسط الجماعة التي أجابت معه على الاستبيان، ويعتبر نمط حياته سلبي ا إذا انخفضت درجته أقل من متوسط الجماعة التي أجابت معه على الاستبيان. – المراهق:هم الأفراد الذين تراوحت أعمارهم بين 15 إلى 22 سنة.

الدّراسات السابقة

1 – قام ليبمانLeibman وآخرون عام 2003 بدراسة هدفها تقويم العلاقة بين مؤشر كتلة الجسم ومتغيرات نمط الحياة المتعلقة بالنشاط البدني والتغذية الصحية، من خلال دراسة مقطعية ، وذلك باستخدام استبيان تم توزيعه على 8487 شخصا، وقد بلغت نسبة الذين لديهم مؤشر كتلة الجسم أكثر من 25 كغ/م265%، أظهرت الدراسة ارتباطا سلبيا بين مؤشر كتلة الجسم وممارسة الأنشطة البدنية، وارتباطا سلبيا بين مؤشر كتلة الجسم وتناول الأطعمة الغنية بالألياف.

2 – دراسة ديلفوكسDelvaux . وآخرون (1999) ، بدراسة هدفها فحص العلاقة بين الصحة والأنشطة البدنية والعادات الغذائية في دراسة تتبّعية على عينة من الرجال بلغ قوامها 132 رجلا، وقد قام الباحثون بقياس مؤشر كتلة الجسم ونسبة الدهون لدى العينة، كما تم توزيع استبيان حول العادات البدنية والغذائية لهم قبل وبعد 5 سنوات.

3 – دراسة قام بها العيسى عام (1997) هدفها مقارنة التغيرات التي حدثت في مستويات مؤشر كتلة الجسم في المجتمع الكويتي من خلال دراسة مقطعية مقارنة، وذلك بقياس مؤشر كتلة الجسم، وقد أظهرت الدراسة ارتفاع مستويات مؤشر كتلة الجسم بين الشباب وكافة المراحل العمرية الأخرى. (2)

4 – قام تامالينTammalin وآخرون عام (2004) بتقويم التغير في الممارسات البدنية أثناء وقت الفراغ من المراهقة إلى البلوغ، وعلاقته بمؤشر كتلة الجسم وذلك بتوزيع استبيان حول الأنشطة البدنية وقياس مؤشر كتلة الجسم لدى عينة البحث عند عمر 14 و 21سنة، وقد أظهرت الدراسة تناقص معدلات النشاط البدني من مرحلة المراهقة إلى مرحلة البلوغ مصحوبا بزيادة مؤشر كتلة الجسم.(3)

5 – دراسة قام بها دريفولدDroyvold وآخرون عام (2004) 5 بدراسة العلاقة بين الممارسات البدنية في أوقات الفراغ وتغير مؤشر كتلة الجسم في دراسة مستقبلية على مدى 11 عاما تضمّنت 6945 رجلا، تم توزيع استبيان حول الأنشطة البدنية وقياس مؤشر كتلة الجسم لديهم، وقد سجّلت هذه الدراسة ارتفاع مؤشر كتلة الجسم بين الممارسين للأنشطة البدنية المتوسطة بصورة أقل من باقي أفراد العينة.(4).

الإجراءات الميدانية:

منهجية وأدوات البحث: لتحقيق هدف البحث تم اتّباع الإجراءات التالية:

1 – منهج البحث: اتبعنا في بحثنا هذا المنهج الوصفي بأسلوب المقارنة، أما كونه منهجا وصفيا فقد تطلب اتصالنا بالعينة ميدانيا وجمع البيانات منها، أمّا كونه مقارنا فقد تمت المقارنة بين العينات في متغيرات البحث.

2 – عينة البحث: تكونت عينة البحث من مراهقين في الطور المتوسط والثانوي والجامعي من مدينة باتنة، وهذه المؤسسات هي متوسطة، ثانوية الصديق بن يحي، ثانوية البشير الإبراهيمي، ثانوية بن بولعيد، متوسطة النصر، ثانوية علي النمر، ثانوية خديجة، متوسطة سفح الجبل، مركز التكوين المهني، جامعة الحاج لخضر، منهم 40 ذكرا و40 أنثى، 20 ذكرا بدينا و20 ذكرا غير بدين وكذلك بالنسبة للإناث. تراوحت أعمار عينة الذكور البدينين بين 15 – 21 سنة، والذكور غير البدينين بين 15 – 22 سنة.

أمّا الإناث فتراوحت أعمار البدينات بين 17 – 22 سنة، أما غير البدينات فتراوحت بين 15 – 20 سنة. وقد تم استبعاد البدينين الذين لديهم مشاكل صحية.

3 – أدوات البحث من اجل تحقيق أهداف البحث استخدمنا الأدوات التالية:

3 – 1 – المقابلة:حيث اتبعنا في بحثنا هذا المقابلة نصف موجهة لأفراد من العينات (الذكور والإناث البدينين) الذين تحصلوا على درجات مرتفعة في مؤشر كتلة الجسم، أي مؤشر كتلة الجسم لديهم يفوق 35%. هدف هذه المقابلة استثارة أنواع معينة من المعلومات لاستغلالها في البحث.

3 – 2 – مقياس البدانة : لمعرفة ما إذا كان الشخص يعاني البدانة، استخدمنا الأجهزة التالية:

3 – 2 – 1 – ميزان الكتروني:يقوم بقياس الوزن مع ارتداء ملابس خفيفة.

3 – 2 – 2 – مقياس القامة:لقياس الطول بدون حذاء.

3 – 2 – 3 – مؤشر كتلة الجسم:BMI INDEX BODY MASS مؤشر كتلة الجسم هو مقياس متعارف عليه عالميا للتمييز بين البدانة والنحول والوزن المثالي، وهو يعبر عن كمية النسيج الدهني في الجسم من خلال العلاقة بين وزن الشخص وطوله. ويحسب مؤشر كتلة الجسم بتقسيم الوزن بالكيلوغرام على مربع طول القامة بالمتر كما يلي: مؤشر كتلة الجسم = الوزن بالكيلوغرام/مربع الطول بالمتر. (5)

3 – 3 – استبيان نمط الحياة:مكون من31 بندا موزعين على 3 محاور هي: العادات الغذائية (11 بندا)، الضغط النفسي(10 بنود)، النشاط البدني(10 بنود)، وقد تم وضع بنود الاستبيان بعد الرجوع إلى العديد من المراجع والدراسات السابقة التي دارت حول موضوع الدراسة، كما تمّ عرض الاستبيان على الأساتذة الذين أجروا بعض التعديلات التي تم الأخذ

بها، تضمّن الاستبيان معلومات حول الأنشطة البدنية وأوقات الفراغ، و مشاهدة التلفاز وكيفية التنقل، ودارت بنود العادات الغذائية حول ما يتناولونه من مشروبات وأغذية عالية السعرات وخضروات وفواكه، وتضمّن أيضا بنودا عن مؤشرات الضغط النفسي كالقلق وقلة التركيز.

الشروط السيكومتريةللاستبيان : تم حساب معاملات الصدق والثبات كما يلي:

صدق الاستبيان : تم حساب الصدق بطريقتين :

1 – صدق المحكمين:تم عرض البنود التي كان عددها "31" على مجموعة من أساتذة علم النفس كمحكمين، لإصدار أحكامهم عليها فيما إذا كانت تقيس ما وضعت لقياسه، فاقترحوا بعض التعديلات في صياغة بعض البنود، ولم يتم حذف أي بند من البنود.

2 – الصدق التمييزي:حيث تم سحب 27% من طرفي التوزيع للدرجات التي حصل عليها أفراد العينة في استبيان نمط الحياة بعد ترتيبها من أدنى درجة إلى أعلاها، ثمّ حسبت قيم "ت" لدلالة الفروق بين المجموعتين المتطرفتين أي قيم "ت" لدلالة الفروق بين متوسطي العينة الدنيا والعينة العليا حيث "ن=22" فجاءت قيمة "ت" تساوي "22.72" وهي دالة عند مستوى "0.05". ثباتالاستبيان: تم حساب الثبات بـ:

1 – طريقة التجزئة النصفية بأسلوب فردي/زوجي:قمنا بتصحيح إجابات أفراد العينة بطريقة استخراج درجتين لكل فرد، إحداهما على البنود الفردية، والثانية على البنود الزوجية فصار لكل فرد درجتان، ثم قمنا بحساب معامل الارتباط من الدرجات الخام لكارل بيرسون للعينة المتكوّنة من 80 مراهقا (ذكورا وإناثا) فجاءت قيمته تساوي "0.94" مما يشير إلى أن الاستبيان يتميّز بمستوى عال من الاتّساق بين البنود داخليا. – مفتاح التصحيح:يصحح الاستبيان بأن يحصل المجيب على (1)درجة واحدة إذا وضع علامة تحت(لا)، ويحصل على (2)درجتين إذا وضع علامة تحت (قليلا) ويحصل على(3) درجات إذا وضع علامة تحت (كثيرا). *تفسير النتائج: تفسّر نتائج الاستبيان وفق الجدول الآتي:

***تفسير النتائج**: تفسر نتائج الاستبيان وفق الجدول التالي:

نمط حياة سلبي	الدرجة من 3 – 30
نمط حياة معتدل	الدرجة من 31 – 60
نمط حياة ايجابي	الدرجة من 61 – 90

4 – إجراءات تطبيق أدوات البحث: تمّ تطبيق إجراءات الدراسة الحالية خلال الفترة من 2010/09/19 إلى غاية2011/02/01 المكان:تم تطبيق الاستبيان وأدوات البحث في أوقات الفراغ بالنسبة للمتمدرسين، والبعض في مكتبة الجامعة . 5 – الأساليب الإحصائية: لمعالجة البيانات التي أسفر عنها البحث الميداني، استخدمنا الأساليب الإحصائية التالية:المتوسط الحسابي ، الانحراف المعياري، عرض النتائج: 1 – وفق الفرضيات 1 – 1 –نتائج الفرضية الأولى : والتي نصها كالتالي: نتوقع أن توجد فروق بين البدينين وغير البدينين من الجنسين في الأنشطة البدنية.

الجدول رقم1 : يبيّن المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيم "ت" لدلالة الفروق بين متوسطات البدينين وغير البدينين في كلا الجنسين ذكورا وإناثا في الأنشطة البدنية.

	الأنشطة البدنية		
المتغير العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت
ذكور بدينين	18.91	3.35	4.21
ذكور غير بدينين	22.40	2.45	
إناث بدينات	17.60	2.03	4.85
إناث غير بدينات	20.80	2.06	

– يتبيّن من الجدول رقم (1) أنّ قيم "ت" تساوي "4.21"تعتبر أكبر بكثير من قيمة "ت" الجدولية عند درجة حرية "38"ودرجة معنوية "0.05 "حيث تساوي عند هذا الأخير "2.87"، وبالتالي نقول: إنّ قيمة "ت" المحسوبة دالة إحصائيا، بمعنى أخر توجد فروق ذات دلالة إحصائية عالية بين المجموعات محل الدراسة، أي بين البدينين وغير البدينين من الذكور في الأنشطة البدنية وذلك لصالح الذكور غير البدينين. – وكذلك بالنسبة للإناث البدينات وغير البدينات، وجدنا أنّ قيمة "ت" المحسوبة"4.85" أكبر بكثير من قيمة "ت" الجدولية" 2.87"، بمعنى توجد فروق بين البدينات وغير البدينات في الأنشطة البدنية، وذلك لصالح الإناث غير البدينات.

1 – 2 –نتائج الفرضية الثانية:والتي نصها كالتالي: نتوقع أن توجد فروق بين البدينين وغير البدينين من الجنسين في العادات الغذائية.

الجدول رقم2: يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيم "ت" لدلالة الفروق بين متوسطات البدينين وغير البدينين في كلا الجنسين ذكورا وإناثا في العادات الغذائية.

	العادات الغذائية		
المتغير العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت
ذكور بدينين	30.85	3.66	3.63
ذكور غير بدينين	26.50	3.07	
إناث بدينات	32	3.59	4.26
إناث غير بدينات	24.20	4.67	

– يتبين من الجدول رقم (2) أنّ قيمة "ت" المحسوبة تساوي "3.63"تعتبر أكبر من قيمة "ت" الجد ولية عند درجة حرية"38" ودرجة معنوية "0.05"حيث تساوي عند هذا الأخير"2.87"وبالتالي نقول: أنّ قيمة "ت" المحسوبة دالة إحصائيا، بمعنى آخر توجد فروق ذات دلالة إحصائية عالية بين المجموعات محل الدراسة، أي بين البدينين وغير البدينين من الذكور في العادات الغذائية وذلك لصالح الذكور البدينين. – وكذلك بالنسبة للإناث البدينات وغير البدينات، وجدنا أنّ

قيمة "ت" المحسوبة"4.26" أكبر بكثير من قيمة" ت" الجد ولية "2.87"بمعنى توجد فروق بين البدينات وغير البدينات في العادات الغذائية، وذلك لصالح الإناث البدينات. 1 – 3 –نتائج الفرضية الثالثة:والتي نصها كالآتي: نتوقع أن توجد فروق بين البدينين وغير البدينين من الجنسين في التعامل مع الضغط النفسي.

الجدول رقم3: يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيم"ت" لدلالة الفروق بين متوسطات البدينين وغير البدينين في كلا الجنسين ذكورا وإناثا في الأنشطة البدنية.

	الضغط النفسي		
المتغير العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت
ذكور بدينين	10.75	0.48	8.64
ذكور غير بدينين	13.60	1.39	
إناث بدينات	14.15	2.26	4.92
إناث غير بدينات	11.15	1.42	

– يتبيّن من الجدول رقم(3) أنّ قيمة" ت" المحسوبة تساوي "8.64 "تعتبر أكبر بكثير من قيمة" ت" الجد ولية عند درجة حرية" 38"ودرجة معنوية "0.05"حيث تساوي عند هذا الأخير"2.87 "،وبالتالي نقول: إنّ قيمة "ت" المحسوبة دالة إحصائيا، بمعنى أخر توجد فروق ذات دلالة إحصائية عالية بين المجموعات محل الدراسة، أي بين البدينين وغير البدينين من الذكور في التعامل مع الضغط النفسي وذلك لصالح الذكور غير البدينين. – وكذلك بالنسبة للإناث البدينات وغير البدينات، وجدنا أنّ قيمة" ت" المحسوبة"4.92 "أكبر من قيمة "ت"الجد ولية "2.87 "بمعنى توجد فروق بين البدينات وغير البدينات في التعامل مع الضغط النفسي وذلك لصالح الإناث البدينات. 1 – 4 –نتائج الفرضية الرابعة:والتي نصها كالآتي: نتوقع أن توجد فروق بين الجنسين البدينين والبدينات في الأنشطة البدنية والعادات الغذائية والتعامل مع الضغط النفسي.

الجدول رقم1: يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيم" ت" لدلالة الفروق بين متوسطات الذكور البدينين والإناث البدينات في الأنشطة البدنية العادات الغذائية والتعامل مع الضغط النفسي.

العينة المتغيرات	ذكور بدينين		إناث بدينات		ت
	م	ع	م	ع	
الأنشطة البدنية ،العادات الغذائية، التعامل مع الضغط النفسي	59.15	4.50	63.75	4.53	3.15

– يتبين من الجدول رقم (4) أنّ قيمة" ت" المحسوبة تساوي "3.15 "،وتعتبر أكبر من قيمة" ت" الجد ولية عند درجة حرية" 38"، بمعنى أن قيمة" ت" المحسوبة دالة إحصائيا، بمعنى توجد فروق بين الذكور البدينين والإناث البدينات في نمط

الحياة(العادات الغذائية،النشاطالبدني،الضغط النفسي) وذلك لصالح الإناث البدينات. م:المتوسط الحسابي ، ع:الانحراف المعياري ، ت:اختبار ت 1 – 5 –نتائج الفرضية الخامسة : والتي نصّها كالآتي: نتوقع أن توجد فروق بين غير البدينين وغير البدينات في الأنشطة البدنية والعادات الغذائية وفي التعامل مع الضغط النفسي.

الجدول رقم5:يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيم "ت" لدلالة الفروق بين متوسطات ذكور غير بدينين وإناث غير بدينات في الأنشطة البدنية العادات الغذائية والتعامل مع الضغط النفسي.

العينة المتغيرات	ذكور غير بدينين		إناث غير بدينات		ت
	م	ع	م	ع	
الأنشطة البدنية العادات الغذائية التعامل مع الضغط النفسي	61.30	5.36	56.25	4.62	3.12

– يتبين من الجدول رقم(5) أنّ قيمة "ت" المحسوبة تساوي "3.12"،وتعتبر أكبر من قيمة"ت" الجد ولية عند درجة حرية "38"، بمعنى أن قيمة" ت" المحسوبة دالة إحصائيا، بمعنى توجد فروق بين الذكور غير البدينين والإناث غير البدينات في نمط الحياة وذلك لصالح الذكور غير البدينين.

م:المتوسط الحسابي ، ع:الانحراف المعياري ، ت:اختبار ت

2 – وفق المقابلة: تمّ إجراء مقابلات مع بعض أفراد العينة، كان مؤشر كتلة الجسم لديهم مرتفع حيث يفوق 35٪: 2

– 1 – بالنسبة لعينة الإناث:الحالة الأولى:

– تتناول العصير بكثرة خلال الأسبوع ويتجلّى ذلك في قولها: "نشرب جي والقازوز في كلّ وقت والماء مانشربوش طول".

– أمّا بالنسبة للخضر والفواكه فهي تتناول الكثير منها، ويتجلّى ذلك في قولها: "أتناول الكثير منهم خلال الأسبوع".

– أما عن تناولها الحلويات أو المأكولات التي بها نسبة عالية من السكريات فكانت إجابتها كالآتي:"نموت عليهم ونكولهم في كل وقت".

– أما إذا كانت تعاني من القلق أم لا، فكانت إجابتها كالآتي:"أنا مانقلقش خلاص، ماعنديش القلقة في القاموس نتاعي".

– أما عند استفسارنا عن ما إذا كانت تمارس الأنشطة البدنية، فهي لا تمارس أي نشاط على حد تعبير قولها:"انا مانمارس والو، وما نمشيش وما نخدم والو في الدار"

– وفيما يتجلى عن الأعمال المنزلية فهي لاتقوهم بأي شيء "نتاع الدار هما ليديروا كولش"

– أما سؤلنا عن سبب البدانة فكانت إجابتها"انامعمباليش منين جاتني السمانة، انا مانكولشبزاف، انا تبانليمنفخة" .

– الحالة الثانية

– عند استفسارنا عن عدد مرات تناولها الطعام في اليوم خارج الوجبات الثلاث، فهي تتناول الأكل في كل الأوقات ويتجلى ذلك في قولها "نهار كامل وانا ناكل مانحبش خلاص، أي حاجة نلقاها قدامي ناكلها هذا في الدار، اما كي نروح نقرى نعمر ساكي بالحلوة والشيكولا".

– أما عن تناولها للعجائن، فهي تتناولها بكثرة ويتجلى ذلك في قولها "احنا ماكلتنا غير العجائن هذي شخشوخة، هذي بربوشة، مقرونة، سباقيتي، تليتلي...."

– وعن ما إذا كانت تعاني من القلق، فهي شديدة القلق وتتأثر لأبسط الأشياء ويتجلى ذلك في قولها "انا حساسة جدا وأي شيء يقلقني خاصة انا سنة رايحة نعقب الباك"

– أما عن كيفية مواجهتها للضغط فكانت إجابتها كالتالي"أنا ما عندي أي حل غير الماكلة وكل ماتواجهني مشكلة، الماكلة تخفف عليا"

– أما عن ممارستها للأنشطة البدنية كالرياضة مثلا في أوقات الفراغ، فهي لا تمارس أي شيء ويتجلى ذلك في إجابتها"انامانمارس والوا نخاف يعكيوا عليا لاني سمينة بزاف ودارنا ثاني محافظين بزاف ما يخلونيش ندير ندير الرياضة"

– أما عن استعمالها للمواصلات للذهاب إلى الدراسة فكانت إجابتها كالتالي"وين نقرى بحذى دارنا نروح على رجليا" .

– أما سبب بدانتها فقالت "انا سمينة لاني ناكل بزافومانخدم والوا ومنمشيش، وثاني دارنا اوكل سمان"

2 – 2 – بالنسبة لعينة الذكور الحالة الأولى

– عند استفسارنا عن تناول الوجبات السريعة في المطاعم، فهو مدمن عليها ويتجلى ذلك في قوله"انا مدمن على الماكلة نتاع برة خاصة البيتزا الهمبورغر، كي ماناكلشنسحس بلي مانيش نورمال ".

– أما عن المشروبات الغازية فهو يتناولها بكثرة ويتجل ذلك في قوله"انا كل نهار نشرب قرعة نتاع 2ل نتاع بيبسي" – أما عن تناوله للبطاطا المقلية فكانت إجابته "انا نموت عليهم لوكان نلقى نفطر بيهم الصباح ونتغدى بيهم ونتعشى بيهم ومنكرهش طول منهم"

– أما عن الضغط النفسي وقلة التركيز فهو يعاني بكثرة ويتجلى ذلك في قوله"انا ننفعل لاتفه الأسباب ولا استطيع التركيز وبالتالي نرد على الماكلة باش نرتاح"

– أما عن الأنشطة البدنية فعلى حد قوله"ندير غير نتاع المدرسة مرة في الأسبوع، وساعات ما يجيش الأستاذ"

– أما عن المشي فهو دائما يستعمل الحافلة، ويبقى ساعات طويلة أمام التلفاز أو الكمبيوتر ، وتناوله لكل أنواع المقر مشات.

– أما استفسارنا عن سبب بدانته:"أنا ناكل غير لحوايج ليسمنوا وما فيهم حتى فايدة ،حتى اني سييت باش نتبدل بصح ماقدرتش"

– الحالة الثانية:

– يتناول الأطعمة ذات المحتوى العالي من السكريات بكثرة، ويتجلّى ذلك في قوله:"أنا نشتي الماكلة الحلوة بزاف بزاف" – أما فيما يخص تناوله للعجائن "أنا مانكلهاش بزاف3مرات في الأسبوع"

– أما بالنسبة للفواكه والخضر فهو يتناولها بكثرة خلال الأسبوع.

– أما بالنسبة للمشروبات الغازية فهو يتناولها بصفة قليلة"أنا نشربها 2 إلى 3مرات في الأسبوع". – فيما يخص القلق فهو يعانيه بكثرة ، ويتجلى ذلك في قوله:"أنا نقلق بزاف"

– أما فيما يخص عدد مرات إفراطه في الطعام نتيجة للضغوط خلال الأسبوع فكانت إجابته:"خمس مرات في الأسبوع، نرجع الدمار في الماكلةومانقدرش نحبس"

– أما فيما يخص ممارسته للأنشطة البدنية، فهو لا يمارس أي نشاط:"أنا ماندير والو ماعنديش الوقت لاني نوجّد للباك، وأبي يديني ويجيبني في الطاكسي"

– أما عن سبب بدانته:"هذيماهيش سمانة هذي الصحة، وحنا دارنا اوكل هاك ".

ثانيا/مناقشة النتائج

1 – نتائج الفرضيات

أولا:مناقشة نتائج الفرضية الأولى :التي نصها كما يلي:

– نتوقع أن توجد فروق بين البدينين وغير البدينين من الجنسين في الأنشطة البدنية.

إن النتائج المسجلة في الجدول رقم (1) تبين تفوق الذكور غير البدينين في ممارسة الأنشطة البدنية على الذكور البدينين، يعني أن الذكور غير البدينين أكثر ميلا إلى ممارسة الأنشطة البدنية المختلفة ونفس الشيء بالنسبة للإناث حيث نجد أن الإناث غير البدينات أكثر ميلا إلى ممارسة الأنشطة البدنية المختلفة من الإناث البدينات، وتتفق هذه الدراسة مع دراسة قام بها دريفولدDroyvold وآخرون عام (2004) .(6).

وذلك في انخفاض مؤشر كتلة الجسم لدى الممارسين للأنشطة البدنية مقارنة بالذين لا يمارسون الأنشطة، لكن الفرق بين الدراسة الحالية هو تناولها للمراهقين إناث وذكور أما الدراسة السابقة فتناولت عينة الرجال.

إن هذه النتيجة تبين أنّ الأفراد غير البدينين يمثل النشاط البدني لديهم جانبا مهما من جوانب أنشطة الحياة اليومية، نظرا لما يتميز به من أنواع التفاعل التي تحقق للفرد العديد من المزايا المرتبطة بالنواحي الاجتماعية والعقلية و الانفعالية، فضلا عن النواحي المرتبطة باللياقة في الصحة البدنية وذلك حسب دراسة هولي و دون فرانكر 1992(7)

، كما يقلل من احتمال التعرض للمشكلات المرضية المتعلقة بصحة الشخص حسب دراسة "هدى حسن الخاجة 2001 ، و تختلف هذه الدراسة عن دراسة" ليبمان وآخرون" في أن هناك ارتباطا سلبيا بين كتلة الجسم و ممارسة الأنشطة البدنية، ولكن دراسة" ليبمان" لم تحدّد عمر العينة المستخدمة في الدراسة، لأنّ طبيعة مرحلة المراهقة تمتاز بالنشاط والحيوية، وكذلك النمو في جميع النواحي الجسمية، العقلية والاجتماعية، وفي المقابل نجد أن هناك نسبة من المراهقين لا يمارسون الأنشطة البدنية، وهذا راجع إلى التقدم الهائل في التكنولوجيا، وما ينجر عنه من زيادة ساعات جلوسهم، وازدحام الشوارع مما يثبط عزيمة الفرد في المشي العادي، حيث مهما كانت المسافة قصيرة فإنه يقطعها راكبا، وكذلك زيادة الفترات التي يقضونها أمام التلفاز والكمبيوتر ، والعاب الفيديو أثناء أوقات فراغهم، وهذا ينطبق على الدراسة التي قام بها تامالينTammalin وآخرون عام (2004)

التي كانت نتيجتها تناقص معدلات النشاط البدني من مرحلة المراهقة إلى مرحلة البلوغ مصحوبا بزيادة مؤشر كتلة الجسم.

ثانيا /مناقشة نتائج الفرضية الثانية:التي نصها كما يلي:

– نتوقع أن توجد فروق بين البدينين وغير البدينين من الجنسين في العادات الغذائية.

إنّ النتائج المسجلة في الجدول رقم(2)تبيّن وجود فروق في العادات الغذائية بين الذكور البدينين وغير البدينين، وذلك لصالح الذكور البدينين ونفس الشيء بالنسبة للإناث البدينات، وغير البدينات ودائما الفروق لصالح الإناث البدينات، ويرجع ذلك إلى انتشار بعض العادات الغذائية السلبية ، كما أن تناول هذه الأطعمة يقلل من استخدام الأطعمة الصحية الغنية بالألياف ، وما يصاحبها من إكثار تناول المشروبات الغازية، كذلك عدم الاهتمام بتناول وجبة إفطار متكاملة، وتتفق هذه الدراسة عن الدراسة التي أجراها ديلفوكسDelvaux واخرون (1999) .(8).

التي هدفها فحص العلاقة بين الصحة والأنشطة البدنية والعادات الغذائية لدى عينة الرجال، والتي كانت نتيجتها أن هناك ارتباطا ايجابيا مع تناول الدهون، ووجود ارتباط سلبي بين قياسات مؤشر كتلة الجسم وتناول الألياف، وكذلك تتفق مع الدراسة التي أجراها "الركبان" 2005 (9) التي تهدف إلى وصف السلوكيات الغذائية للمراهقين في مدينة الرياض وتبين من الدراسة أن 49% فقط منهم يتناولن الإفطار يوميا في المنزل، وأنّ 32.8% يتناولون المشروبات الغازية بصورة يومية، وأنّ20.4% و 28.2% نادرا ما يتناولون الحليب والخضروات والفواكه، فتوصلت الدراسة كذلك إلى وجود علاقة طردية بين وجود بعض الأمراض المزمنة وبعض السلوكيات غير الصحية ككثرة شرب المشروبات الغازية، وتناول الوجبات السريعة وقلة شرب الحليب ومشتقاته، وتناول الخضروات والفواكه، وإنّ كثيرا من المراهقين يعتمدون على وسائل الإعلام العامة(التلفاز،الراديو،الصحف والمجلات) في معلوماتهم الغذائية .

ثالثا/مناقشة نتائج الفرضية الثالثة:والتي نصها كما يلي:

– نتوقع أن توجد فروق بين البدينين وغير البدينين من الجنسين في التعامل مع الضغط النفسي.

إن النتائج المسجّلة في الجدول رقم (3) تبيّن وجود فروق بين الذكور البدينين وغير البدينين في طريقة التعامل مع الضغط النفسي ، وذلك لصالح الذكور غير البدينين، أمّا بالنسبة للإناث فتوجد فروق بين الإناث البدينات وغير البدينات وذلك لصالح البدينات، ويتفق هذا مع الدراسة التي أجراها باحثو جامعة مينسوتا، كانت نتيجتها اعتراف 44% من المفحوصين بأنّهم يزيد استهلاكهم للطعام لدى تعرضهم للإرهاق النفسي، وأنّ 47% من المراهقين التهموا الطعام بسبب الملل والكآبة، وقد شعروا بالندم بعد الأكل وتمنوا لو كانوا نحفاء(10)، وقد أشارت العديد من الدراسات حول العلاقة بين البدانة و العوامل النفسية و من بينها الضغط النفسي، حينما يشعر الفرد بالضعف ويلجأ للإفراط في الطعام للشعور بالراحة النفسية، أو يستيقظ ليلا نتيجة القلق و عدم القدرة على النوم نتيجة انشغاله بالأعباء اليومية، و لا يجد وسيلة للتّخلص من هذا القلق غير تناول الأطعمة، التي عادة ما تكون جاهزة و غنية بالطاقة، و تتفق هذه الدراسة مع دراسة "إيمان محمد فاضل وأحمد غلوم العمادي" أن هناك ارتباطا ايجابيا بين مؤشرات الضغط ومؤشر كتلة الجسم لدى طالبات جامعة قطر، وهذا الضغط مرتبط بمرحلة المراهقة نتيجة مختلف التغيرات التي تحدث في جميع الجوانب، لكن الشيء الملاحظ أن الذكور غير البدينين يكون لديهم الضغط مرتفعا، ويلجئون إلى الأكل، لكنّهم لم يصابوا بالبدانة ، ربما يرجع ذلك إلى العامل الوراثي، أو إلى وجود مشكل صحي، أو ربما حين ينتابهم القلق لا يلجؤون إلى الأكل، ولديهم أساليب للتغلب على الضغط كالمشي مثلا أو السباحة ...الخ.

رابعا/مناقشة نتائج الفرضية الرابعة:التي نصها كما يلي :

– نتوقع ان توجد فروق بين الجنسين البدينين والبدينات في الأنشطة البدنية والعادات الغذائية والتعامل مع الضغط النفسي .

إن النتائج المسجلة في الجدول رقم(4) تبين وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور البدينين والإناث البدينات وذلك لصالح الإناث، وهذا يتفق مع الجانب النظري حيث نجد أن الإناث أكثر عرضة للبدانة من الذكور، وبالتالي حرق السعيرات أثناء الراحة أعلى منه لدى الذكور من الإناث، ولذا يحتاج الذكور كمية سعرات أكثر للمحافظة على الوزن، مع الأخذ بعين الاعتبار زيادة نشاط وحركة الرجل عن المرأة.

إلى جانب ذلك نجد أن في مرحلة المراهقة يستهلك المراهق الكثير من الأغذية التي تحتوي على السعيرات الحرارية الكبيرة مثل الحلويات، والمشروبات التي تخل بالنظام الغذائي، إلى جانب قضاء أوقات طويلة أمام التلفاز مع غياب النشاط البدني المناسب، أو لاعتبارات اجتماعية، وهي أن الفتاة لا يحق لها أن تمارس الأنشطة البدنية في بعض الأسر المحافظة، وأنّ مكانها هو المنزل لتربية الأولاد وخدمة الأسرة، حيث تجد الفتاة نفسها أمام هذه الضغوطات فلا تجد أي سبيل للتنفيس أو للتفريغ أو التعبير عن مكنوناتها أو هواياتها سوى الأكل الذي تجد فيه العزاء الوحيد، وهذا يتفق مع الدراسة التي أجراها "المدني" 2005 (11) حيث أوضحت النتائج ارتفاع مستوى الإصابة بالبدانة عند الإناث 20% مقارنة بالذكور 10%، كما أظهرت الدراسة وجود نقص في مستوى الوعي الغذائي وكذلك الزيادة في كمية الطاقة المأخوذة خاصة الفتيان المصابين بالبدانة مع نقص مقدار الطاقة المنصرفة تبعا لدرجة البدانة عند الفتيان والفتيات، ويعتبر استمرار هذه الزيادة مؤشرا خطيرا للإصابة بأمراض القلب.

خامسا/مناقشة نتائج الفرضية الخامسة:التي نصها كما يلي:

– نتوقع أن توجد فروق بين الجنسين غير البدينين وغير البدينات في الأنشطة البدنية والعادات الغذائية وفي التعامل مع الضغط النفسي.

إن النتائج المسجلة في الجدول رقم (5)تبين وجود فروق بين الذكور غير البدينين والإناث غير البدينات في نمط الحياة وذلك لصالح الذكور غير البدينين ويعود ذلك إلى طبيعة الذكور الذين يتميزون بالنشاط والحيوية وذلك يتفق مع الدراسة التي أجراها "الركبان" 2004 (12) على عينة المراهقين الذكور حيث يتبين أن 96.5% منهم يمارسون الرياضة بدرجات مختلفة، حيث يمثل الرياضيون 26.4%، بينما بلغ عدد الذين لا يقومون بأنشطة بدنية منتظمة 37.1 %، أمّا الإناث فلم نجد أيّ دراسة تتعلق بذلك، كذلك الذين يمارسون الأنشطة البدنية لا يتعرضون إلى الكثير من الأمراض، ويتفق ذلك مع دراسة نشرتها صحيفة لوجورنال الفرنسية على 1000 طالب، حيث تقوم المجموعة الأولى بممارسة الرياضة والثانية لا تمارس أي رياضة، فكانت النتيجة أن من لا يمارسون الرياضة ويقضون أكثر من ساعتين أمام التلفاز ، ترتفع لديهم نسبة الأنسولين في الدم مما يزيد خطر الإصابة بمرض السكري النوع الثاني، وربما قد يلجئ الذكور إلى تناول الأغذية الصحية أو ربما يتناولون جميع الأطعمة لكن يمارسون الأنشطة البدنية التي تساهم في اللياقة البدنية. أمّا بالنسبة للضغط فهم يلجؤون إلى أساليب أخرى غير الأكل مثل المشي أو الجري أو القيام ببعض الأعمال التي تتطلب مجهودا كبيرا...الخ وهذا ما استنتجناه من خلال المقابلة التي أجريناها مع العديد من الذكور غير البدينين، أو ربما قد يكون العامل الوراثي له دور في ذلك، أما بالنسبة للإناث فقد يكون لوسائل الإعلام دور كبير في الترويج للرشاقة والمقاييس المثالية واللوحات الاشهارية عن الفنانات وعارضات الأزياء التي تتأثر بهم المراهقة ، وذلك لأجل جلب الانتباه، وبالتالي تسعى جاهدة بكل الطرق لكي تصبح مثل نجمتها المفضلة ، ولا تكون فريسة للسخرية والتعاليق المزعجة التي تتعرض له البدينات على حد تعبير المراهقات.

2 – مناقشة عامة

من خلال المقابلات التي أجريت مع العينات السابقة ونتائج الاستبيان، تبين أنّه من المعروف أن البدانة نادرة الحدوث لدى الأشخاص دائبي الحركة، والذين تتطلب أعمالهم النشاط المستمر، ولكن يجب أيضا أن نعرف أنّ قلة حجم النشاط للفرد ليس بالسبب الكافي لحدوث البدانة، لاشك أنّ النشاط أو الحركة لها فائدة كبيرة في تحسين صحة الإنسان بصفة عامة، حيث أن الدراسات التي أجريت في هذا المجال جاءت متضاربة لدرجة أنّه لا يمكن أن توصي للبدين بالرياضة كأساس لتخفيض وزنه، ولكن يمكنها أن تكون عاملا مساعدا وخاصة لتخفيض الترهلات من جسم البدين الذي أنقص وزنه، ومثالنا على ذلك لو أنّك مارست السباحة أو الجري لمدة ساعة كاملة دون توقف فإنّك ستصرف حوالي 170 سعرا حراريا، فإذا توقفت بعدها وشربت كوبا من البيبسي وقطعة صغيرة من الشكولاطة فإنها ستعطيك 500 سعرا حراريا، حيث أنّه من المؤكد أن التهام الطعام بسعرات حرارية عالية مع عدم صرف هذه السعرات يؤدي إلى تراكم الدهون في جسم الإنسان علما بأن الدهون لها كفاءة أعلى من الكربوهيدرات والبروتينات في التكتل في أنسجة الجسم الدهنية وأفضل مثال على ذلك انتشار ما يسمى بالوجبات السريعة الغنية بالسعرات الحرارية وكذلك المشروبات الغازية، إلى جانب ذلك يعترف الكثيرون ممن يعانون البدانة بأنّهم يلجؤون إلى تناول الطعام هروبا من بعض الضغوطات، أو الأمور السلبية التي قد تحدث في حياتهم اليومية، ويقرون أيضا أنّهم لا يستطيعون التحكم بالأمور التي تدفعهم إلى الأكل في كثير من الأحيان فبعض الأشخاص يفرطون في تناول الطعام عندما يعانون من الإجهاد والقلق والبعض الآخر يأكل في المناسبات الاجتماعية، إلى جانب ذلك قلة النشاط البدني بسبب التقدم الهائل في التكنولوجيا وتوفير سبل الراحة.

وحوصلة ما توصلنا إليه نجد أن من يكون نظامه الغذائي متوازن نجده في مجال ممارسة الأنشطة البدنية قليلة جدا وأسلوبه في التعامل مع الضغط النفسي يكون من خلال انغماسه في الأكل وهذه النقطة يشترك فيها معظم البدينين حيث يجدون حلا هروبيا من مشاكلهم في الأكل، هذا الأخير الذي لا يطلب منهم أي مقابل ويجد فيه الراحة الفورية، بمعنى آخر ليس هناك توازن بين العادات الغذائية والأنشطة البدنية والتعامل مع الضغط النفسي والنتيجة الحتمية لذلك هي البدانة.

– كذلك توصلنا إلى أن الذكور أقلّ تعرضا للبدانة من الإناث. وأنّ الذكور أكثر ميلا لممارسة الأنشطة البدنية من الإناث.
– أما الضغط النفسي فكلا الجنسين يعانيان منه والنتيجة هي انغماسهم في الأكل.
– كذلك ميلهم إلى تناول المشروبات الغازية بكثرة والعجائن والحلويات وغيرها من المأكولات التي تزيد من الوزن. – كذلك عدم اعترافهم بأنهم بدينون وإنما ذلك هو رمز للصحة.

إذن كلما كان نمط الحياة غير لائق ويتسم بسوء التغذية، أو عدم انتظام الأكل، قلة النشاط البدني والبقاء أمام الكمبيوتر أو التلفاز لمدة طويلة، كثرة الضغوط التي تفرزها الحياة الاجتماعية الصعبة، والحل المثالي بالنسبة لهؤلاء هو الأكل، هذه العوامل تؤدي إلى البدانة، وخصوصا إذا تعلق الأمر بفئة المراهقين الذين يمتازون بشدة الحساسية، وبالعديد من التغيرات سيما الجسمية، فإذا اجتمع نمط الحياة غير السوي أو السلبي مع فترة المراهقة أدى ذلك بالضرورة إلى البدانة، وذلك ما توصلت إليه دراستنا.

3 – الملمح العام لشخصية المراهق البدين خلال فترة المراهقة تنشط سلسلة من التغيرات والتحولات والتبدلات والتي تستلزم تحديدا جديدا للهوية الشخصية للمراهق ومن بين هذه التغيرات، التغيرات الفيزيائية والنفسية والاجتماعية والجسدية،كل هذه التغيرات يمكن أن تتفاقم في حالة غياب الإحساس أو الوعي بالذات الذي سار منذ الطفولة، هذه الفترة التي تسودها الكثير من الانفعالات، وتكثر الاحباطات السلوكية بسبب تعرض المراهق لكثير من المواقف الصعبة اليومية كالخوف من الامتحانات والمشكلات العاطفية وصعوبة المعاملة مع الوالدين، فيتجه المراهق إلى الإشباع والتعويض السريع والتنفيس عن المعاناة الانفعالية في تناول الطعام وخاصة الأغذية ذات السعرات الحرارية المرتفعة دون أن يقابلها أي نشاط لتفريغ الطاقة الزائدة، والبقاء ساعات طويلة أمام التلفاز و الكومبيوتر، في هذه الحالة يصبح الغذاء ملجأ أو تعويضا يعود إليه المراهق لكي يخفي فيه عجزا معينا أو شعورا بالنقص، فضلا عن ذلك ظهور اضطراب صورة الجسد التي تفجر حلقة مفرغة من التفكير العقيم الذي ينجر عنه عزلة، قلق، حصر، اكتئاب، اشمئزاز من جسده...الخ فلا يجد أحسن من الأكل الذي يرافقه في عزلته ويجعله يحس بالارتياح بعض الوقت.

يعتبر الأثر النفسي من أسوء الآثار على المراهق البدين بسبب المظهر الخارجي أو بسبب الأمراض الناجمة عن البدانة، ويواجه كذلك المراهق البدين تفرقة اجتماعية في المعاملة سواء في المدرسة أو خارج البيت، كما يتعرض للنقد والسخرية المستمرة فيكون الأكل رد فعل تلقائيا لأي إحباط نفسي أو عزلة، حيث يقضي الشباب معظم أوقات فراغهم أمام التلفاز والكمبيوتر وألعاب الفيديو وذلك تفاديا لأي سخرية، أو لأنّهم لا يستطيعون ممارسة الأنشطة البدنية التي تناسبهم، وذلك نتيجة المقارنة بينهم وبين النحفاء. فمرحلة المراهقة هي مرحلة البناء والنشاط لذا يزداد تناولهم للطعام وفي المقابل ليس هناك أي نشاط لصرف الطاقة الزائدة.

إذا فالبدانة بتأثيراتها الصحية والنفسية يمكن أن تؤثر بالسلب على تقدير الذات وصورة الجسم، وبالتالي صورة الذات، وهذا يتوقف على عدة معايير منها تكفّل الأسرة ونظرتها للمراهق البدين، وكذا نظرة المجتمع له، كذلك يتوقف على طبيعة شخصية المراهق في حد ذاته. إلى جانب ذلك يجب توعية المراهق البدين بالنتائج التي تنجم عن نمط حياة غير متوازن وغير متوافق وغير صحي على جميع الأصعدة.

4 – الاقتراحات

وفقا للنتائج التي توصّلت إليها الدراسة نقترح ما يلي:
– وضع الاستراتيجيات والبرامج التثقيفية لتغيير المفاهيم والسلوكيات السلبية لنمط الحياة للاهتمام بالممارسات البدنية والتغذية السلبية والتخلص من الأنشطة الخمولية والضغط النفسي.

– أن تكون برامج التمرينات جزء من الأنشطة اليومية للطلاب لتعويض نقص الممارسات البدنية لديهم.

– التكفل بالبدين من جميع الجوانب سواء الطبي أو النفسي وحتى الاجتماعي.

– توعية الأسرة بطبيعة البدانة والأضرار الصحية التي قد تتسبب بها.

– مراقبة النظام الغذائي، وتتبع حمية غذائية صحية، وعدم ترك البدين يتبع حمية من تلقاء نفسه، إذ يجب أن تكون باستشارة أخصائي تغذية

– نقترح إعادة دراسة البدانة بإضافة الجانب الاجتماعي لما له من أثار في نفسية البدين خاصة في علاقاته بالجنس الأخر.

– إجراء المزيد من الدراسات حول علاقة العادات الغذائية والأنشطة البدنية بالبدانة لدى كلا الجنسين

الهوامش:

(1):إيمان محمد فاضل واحمد غلوم العمادي(2005)"العلاقة بين السمنة ونمط الحياة لدى طلاب جامعة قطر من الجنسين"، مجلة علم النفس العربي المعاصر، المجلد1، العدد 2، يونيو،ص32 (2) : سليمة عبد الله السلطاني و طارق سوادي عبد السادة(2009) : "مقارنة نسبة القلق بين الطلبة الرياضيين وغير الرياضيين"، مجلة علوم الرياضة، العدد 1.

(3):إيمان محمد فاضل واحمد غلوم العمادي(2005):المرجع السابق،ص31-32 (4):إيمان محمد فاضل واحمد غلوم العمادي(2005):المرجع السابق،ص32 (5) : محمد الريماوي(2006) : سياسة التغذية في المدارس، شركة الجمال للطباعة والاستثمار،ص50

(6):إيمان محمد فاضل واحمد غلوم العمادي(2005):المرجع السابق،ص32

(7) : هدى حسن الخاجة(2001) : "اتجاهات طالبات جامعة البحرين نحو النشاط البدني"مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد2، العدد 1، مارس،ص83 (8):إيمان محمد فاضل واحمد غلوم العمادي(2005):المرجع السابق،ص32

(9) : تمهيدي دكتوارة(2008) : تغذية المراهقين الذكور،مكة،ص14

(10) : محمد بن عثمان الركبان(2009) : البدانة"الداء والدواء"، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض،17-18

(11) : خالد مرعشلي ومروان زيات(2000) : "البدانة بوصفها عامل خطر لحدوث ارتفاع الضغط الشرياني الحملي"، مجلة جامعة دمشق، المجلد16، العدد الثاني،ص30

(12) : محمد مصطفى عمار(2007) : أهمية الرياضة والأندية الرياضية للنساء، كلية التربية البدنية والرياضية. .(13): منى صالح الأنصاري(2003) : "تأثير النشاط البدني الهوائي في مؤشرات السمنة"، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد4، العدد4، ديسمبر.

البعد المقاصدي في فكر المجتهد وأثره في الفتوى

أ.حمد خويلدي

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص

يهدف المقال إلى بيان أهمية مراعاة مقاصد الشريعة أثناء عملية الاجتهاد سواء ما تعلق بالأحكام أو الفتوى ، وأن فهم المقاصد ومراعاتها يعد من الشروط التي ينبغي تحققها في المجتهد والمفتي ، إضافة لباقي الشروط الأخرى المعروفة لبلوغ درجة الاجتهاد ، وفي الوقت نفسه بيان الخطورة المترتبة عن إهمال مراعاة مقاصد الشريعة ، وما يترتب على ذلك من مفاسد .

الكلمات المفتاحية : الاجتهاد ، الفكر ، المقاصد ، الفتوى .

Summary

The article is aiming at showing the importance of the sharia (Islamic law) purposes with regard to Idjtihad (assiduity) whether concerning the legal status (according ti Islamic law) or Fatwa (advisory opinion) and that the understanding of the those purposes is of the main conditions to be for the Mudjtahid (diligent) and the Mufti (advisor) . At the same time shawing the major drawbacks resulting from not taking those sharia purposes into consideration .

مقدمة :

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله وسلم تسليماً، وبعد...

الفتوى أمر عظيم وخطير، وفي الوقت نفسه فيها أجر كبير؛ لأن المفتي وارث من ورثة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – ولكنه معرض للخطأ، لهذا كله كان السلف الصالح يتدافعونها، ولا يقدمون عليها إلا عند الحاجة الشديدة والضرورة أو إذا تعينت على أحدهم، كل ذلك استشعارا منهم لخطرها وهول الموقف بين يدي الله عز وجل، يذكر ابن القيم في كتابه أعلام الموقعين عن رب العالمين في فصل كراهة العلماء التسرع في الفتوى عن عبد الرحمان بن أبي ليلى قال:" أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أراه قال في المسجد، يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول " وفي رواية أخرى: ما منهم من يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه إياه ، ولا يستفتى عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا . فقد اعتبر ابن القيم المفتي موقع عن الله ، ولذلك أيضا وضع علماؤنا للفتوى جملة من الضوابط والشروط لتفادي الوقوع في الخطأ عند الإفتاء، ومن هذه الضوابط التي أشار إليها كثير من العلماء وعلى رأسهم الإمام القرافي، والشاطبي وغيرهما، مراعاة مقاصد الشريعة عند إجراء الفتوى ، وذلك لما للمقاصد الشرعية من أهمية بالغة في الحركة الفقهية بصفة عامة، وفي الحركة الاجتهادية والفتوى بصفة خاصة؛ لأن كل هذه الحركة الفقهية أو الاجتهادية فيما تهدف إليه من تقرير لأحكام الشريعة مستخرجة من النصوص أو مستحدثة بالاجتهاد ينبغي أن تكون مستهدية بالمقاصد مبنية وفق مقتضياتها، وذلك من شأنه أن يعلي من أهمية المقاصد في حركة التشريع، كما يكون للمقاصد الشرعية النصيب الكبير في الترجيح والتوجيه والتقرير لهذه الأحكام.

من هذا المنطلق أردت أن أساهم بهذا المقال لأبيّن فيه مدى أهمية مراعاة مقاصد الشريعة عند إصدار الفتوى من طرف المفتي. ومعالجة الموضوع تتم من خلال النقاط الآتية:

أولا : مفهوم مقاصد الشريعة .

ثانيا : أهمية مقاصد الشريعة للمفتي عند إصدار الفتوى .

ثالثا : علاقة مقاصد الشريعة بالفتوى .

رابعا : ما يترتب عن عدم مراعاة مقاصد الشريعة في الفتوى. مع إعطاء أمثلة توضح المقصود .

خاتمة: تشتمل على نتائج وتوصيات. والله ولي التوفيق .

أولا : تعريف المقاصد

يقول علماؤنا الحكم على الشيء جزء من تصوره ، من ثم كان البدء بالتعريف أول ما يقدم بين يدي الموضوع ، ومصطلح المقاصد يحمل معان متعددة يختلف المدلول منها بحسب المواضع التي تستعمل فيها ، فما هي هذه المعاني ؟

1– المقاصدُ لغة: جمع مَقْصِدٍ، والمقْصَدُ: مصدر ميمي مأخوذ من الفعل (قصد) القاف والصاد والدال أصول ثلاثة يدل أحدها على إتيان شيء وأمه ، والآخر على كسر وانكسار والآخر على اكتناز في الشيء1. يقال: قَصَدَ يقْصِد قصْداً ومقْصَداً. فالقصْدُ والمقْصَدُ بمعنى واحد.

إذا علم ذلك فقد ذكر علماء اللغة أن القصْد يأتي في اللغة لمعان منها :

1 – الإتيان بالشيء ، والاعتماد ، والتوجه ، تقول قصده ، وقصد له ، وقصد إليه إذا أمَّه .

2 – استقامة الطريق: ومنه قوله تعالى:{وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ}النحل:9

3 – العدل والتوسط وعدم الإفراط ، ومنه قوله تعالى : {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ }لقمان:19

وقوله صلى الله عليه وسلم :" القصد القصد تبلغوا "2

4 – الكسر في أي وجه كان ، تقول قصدت العود قصدا كسرته3

وبعد عرض المعاني اللغوية يظهر أن المعنى الأول هو المعنى الذي يتناسب مع المعنى الاصطلاحي إذ فيه الأمُّ، والاعتماد، وإتيان الشيء، والتوجه وكلها تدور حول إرادة الشيء والعزم عليه، مع أن المعنيين: الثاني والثالث غير خارجين عن هذا المعنى كما سبق.

وأيضاً مقاصد الشريعة ملاحظ فيها المعاني اللغوية السالفة الذكر: الاستقامة، والطريق القويم، والعدل والتوسط، والذي يستبعد هو المعنى الرابع.

مقاصد الشريعة في الاصطلاح :لقد تعرض الأقدمون لتعريف المقاصد ،كما تعرض لها المحدثون ، إلا أن تعريفات الأقدمين أوسع ، وأشمل وأدق من تعريفات المحدثين ، فهي أوسع باعتبارها معاني تتضمن كل ما أراده الشارع من خطاباته المتعلقة بأفعال المكلفين وتصرفاتهم ، بمعنى كل ما يمكن للعقل إدراكه ؛لأن بعض المقاصد استأثر الله بعلمها .

من تعريفات الأقدمين ، وكذلك المحدثين الكثيرة ، والتي لا يتسع المقام لذكرها كلها والتعليق عليها، اخترت التعريف الذي اعتقد أنه يتناسب مع الموضوع الذي أتكلم فيه . وهو استحضار المقاصد في فكر المجتهد عند النظر في النوازل . قولهم:" مقاصد الشريعة هي الغرض الأساسي من تشريعات الإسلام ، تحقيقا لمصالح العباد في الدنيا والآخرة ، لجلب المنافع لهم ، ودرء المضار عنهم ، وإخلاء المجتمع من المفاسد حتى يقوم الناس بوظيفة الخلافة في الأرض وتحقيق العبودية لله ."**4**

هذا التعريف قصد به توضيح مراد الشارع من وضع الشريعة ، سواء على مستوى متابعة الجزئيات المقترنة بحوادث الناس ونوازلهم في مختلف الأزمنة والأمكنة ، أو على مستوى إقامة الكليات الحافظة للجزئيات هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فهذا التعريف لا يلتفت إلى المفهوم الحدي للمقاصد ، وإنما يتوجه إلى التطبيق ، أي باعتبارها معاني مناسبة لاستنباط الأحكام الشرعية فهي تشمل الغاية والسر والحكمة إضافة للمحافظة على المبدأ والركن من حيث أنها كليات لا يعلوها كلي5. فهذه الأسرار والغايات التي وضعت الشريعة لأجلها من حفظ الضروريات وإصلاح لأحوال العباد في الدارين معرفتها ضرورية ، فالمجتهد يحتاج إليها عند استنباط الأحكام وفهم النصوص ، وغير المجتهد للتعرف على أسرار الشريعة6 .

ثانيا : أهمية مقاصد الشريعة للمفتي عند إصدار الفتوى :

بعد بيان مفهوم المقاصد من الناحية اللغوية والاصطلاحية أشرع في بيان أهميتها للمفتي في استنباط الأحكام للنوازل التي تقع للناس في مختلف الأزمنة والأمكنة .

المقاصد الشرعية التي يعتد بها في عملية الاجتهاد، حجة شرعية يقينية ، من أجل ذلك تأكد في حق الناظر المجتهد في أحكام الشريعة أهمية استحضار تلك المقاصد وتذكر عللها ومناطاتها وحكمها ، حتى يتم النظر في المستجدات على أحسن وجه ، وحتى تفهم الأحكام وتستنبط على وفق ما ارتبطت به من علل وأسرار ومعاني معتبرة . ومما لا ريب فيه أن في هذا العمل إحياء للفقه وبعث لفاعليته حتى يشمل كل متطلبات الحياة المعتبرة ونوازلها المستجدة ، يقول الأستاذ علال الفاسي :" إن في قلة الفقهاء المجددين ضمانا للسير بالفقه الإسلامي إلى شاطئ النجاة حتى يصبح مرتبطا بمقاصد الشريعة وأدلتها ومتمتعا بالتطبيق في محاكم المسلمين وبلدانهم وليس ذلك على الله بعزيز ، ولا كذلك على همة المجتهدين من العلماء "7 و من هنا يتبين لنا الدور الذي ينبغي أن يقوم به المفتي الناظر للتعرف على أحكام النوازل وفق مقاصد الشريعة من خلال الآتي :

1 – هو في حاجة إلى معرفة مقاصد الشريعة على وجه الكمال كما بين ذلك الشيخ الطاهر بن عاشور حيث قال :" أن تصرف المجتهدين بفقههم في الشريعة يقع على خمسة أنحاء8 " وبعد ذكره لهذه الأنحاء الخمسة9 قال :" فالفقيه بحاجة إلى معرفة مقاصد الشريعة في هذه الأنحاء كلها ، أما النحو الرابع فاحتياجه فيه ظاهر وهو الكفيل بدوام أحكام الشريعة للعصور والأجيال التي أتت بعد عصر الشارع والتي تأتي إلى انقضاء الدنيا "10

2 – معرفة المفتي لمقاصد الشريعة يعين ويساعد في معرفة الحكم الذي يصدره في الواقعة المعروضة عليه ، من خلال إدراكه مقاصد الشريعة وأسرارها التي تكمن وراء النصوص التي وضعها الشارع الحكيم لمعالجة وحل مشاكل الناس الواقعة أو المتوقعة ، و من هنا نجد الإمام الشاطبي يشترط في المجتهد في المجتهد الذي يحق له النظر في مشكلات الناس والتصدي للفتوى واستنباط الأحكام شرطين :" أحدهما : فهم مقاصد الشريعة على كمالها والثاني : التمكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها "(11)ثم يقول رحمه الله تعالى :" فإذا بلغ الإنسان مبلغا فهم عن الشارع فيه قصده في كل مسألة من مسائل الشريعة ، وفي كل باب من أبوابها ، فقد حصل له وصف هو السبب في تنزيله منزلة الخليفة للنبي صلى الله عليه وسلم في التعليم والفتيا والحكم بما أراه الله "(12) .ومن هنا أيضا تظهر أهمية المقاصد وفائدتها بوضوح في الاجتهاد والنظر واستنباط الأحكام الشرعية، وهذا كما رأينا جعل الإمام الشاطبي يربط الاجتهاد بالمقاصد الشرعية ، حيث اشترط شرطا واحدا . على أساس أن الشروط الأخرى معلومة . للتأهيل للنظر والاجتهاد والتأهل للفتوى وبيان الحلال والحرام، هو فهم مقاصد الشريعة على كمالها والتمكن منها ، وهذا يبين مدى إدراكه لخطورة موقع مقاصد الشريعة في التشريع الإسلامي . مثل الفتوى في كثير من القضايا الأسرية كمسألة عدم وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد(13) وعدم لزوم الطلاق إذا صدر من إنسان على وجه الحلف وقصد به الحث والمنع أو التخويف دون إيقاع الطلاق(14). يقول الشيخ الطاهر بن عاشور :" وحق العالم فهم المقاصد ، والعلماء كما قلنا متفاوتون على قدر القرائح والفهوم "(15)

3 – تمكن المفتي من الإلمام بمقاصد الشريعة وإدراكها إدراكا قويا يؤهله إلى معرفة الأحكام وفهم مراد الله عز وجل من تشريع كل حكم ، وهذا ما يجعله يمتلك فراسة عند إصدار الأحكام حسب أحوال السائلين ،وهو منهج استنبطه العلماء من تتبع فتاوى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهذا رسول الله صلى الله غليه وسلم يفتي رجلين في مسألة واحدة بجوابين مختلفين ، فعن عمرو بن العاص قال :" كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء شاب، فقال يا رسول الله أقبل وأنا صائم ؟ قال: لا فجاء شيخ ، فقال : يا رسول الله أقبل و أنا صائم ، قال :نعم ، فنظر بعضنا إلى بعض، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد علمت نظر بعضكم إلى بعض ، إن الشيخ يملك نفسه(16)". وهكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأتيه جملة من الصحابة رضي الله عنهم في أوقات مختلفة فيسألونه سؤالا واحدا ، لكن إجابته صلى الله عليه وسلم ، كانت تختلف

باختلاف أحوال السائلين ، كل واحد بما يراه مناسب له ، فيعالج فيه الجانب الذي يرى أنه قصر فيه ، فكان بعض الصحابة كما قلت يسأله عن وصية جامعة فيقول له : لا تغضب ، وآخر يقول له قل: آمنت بالله ثم استقم ، وآخر يقول له :كف عليك لسانك ، وهكذا يصف الدواء الشافي لكل واحد منهم . وهذا أصل في تغير الجواب أو الفتوى بتغير أحوال السائلين(17).

وقد بين الإمام الشاطبي هذه المسألة فقال :" أنه يجيب السائل على ما يليق به في حالته على الخصوص إن كان له في المسألة حكم خاص " هذا من جهة ، ومن جهة ثانية :" أنه ينظر قي المآلات قبل الجواب عن السؤالات "(18)

4 – إن فهم مقاصد الشريعة وانقداحها في فكر المجتهد يجعله يراعي أمورا منها : ترتيب الأدلة حسب الأولويات والقواعد حسب قوتها عند تعارضها فقد ذكر الإمام الجويني رحمه الله أن المصالح الضرورية إذا جاء القياس بخلافها ترك ، وقدمت عليه القواعد العامة التي تقتضي حفظ الضروريات، ومثل لهذه المسألة بقتل الجماعة بالواحد؛ فإنه خلاف القياس الذي يقتضي المماثلة (النفس بالنفس) ولكن حفظ النفس من أهم مقاصد الشريعة وأعلاها فهو أمر ضروري، فقد اقتضى قتل الجماعة إذا اشتركوا في قتل واحد؛ لأنه لو لم يقتلوا لكان ذلك دافعا للاشتراك في القتل هروبا من القصاص ، وهذا بين لنا أن المقاصد الضرورية مقدمة على القياس الجزئي حتى ولو كان جليا "(19). وكذلك يعتبر الإمام الجويني العلم بمقاصد الشريعة وقواعدها العامة هي المخرج الذي يغاث منه الناس في زمن التياث الظلم ، وتجري مجرى الأس والقاعدة والملاذ المتبوع الذي إليه الرجوع ، وهي معتمد المفتي في الاسترشاد بها عند النظر في النوازل، كما اعتبر أن من لم يتفطن لوقوع مقاصد الشرع في الأوامر والنواهي ليس على بصيرة في وضع الشريعة(20) وهذا تلميذ الإمام الجويني ، أبو حامد الغزالي رحمه الله أيضا اعتبر مقاصد الشريعة قبلة المجتهدين من توجه إلى أي جهة منها أصاب الحق(21).

والعز بن عبد السلام رحمه الله تعالى يبين هذه المسألة فيقول :" من تتبع مقاصد الشرع في جلب المصالح ودرء المفاسد حصل له من مجموع ذلك اعتقاد أو عرفان أن هذه مصلحة لا يجوز إهمالها ، وأن هذه مفسدة لا يجوز قربانها ، وإن لم يكن فيها إجماع ولا نص و لا قياس خاص، فإن فهم نفس الشرع يوجب ذلك"(22)، كما ذكر أن معرفة المصالح والمفاسد والترجيح بينها لا يكون إلا لمن مارس الشريعة وفهم مقاصدها(23) .

5 – فهم المقاصد و مراعاتها يقلل من الزلل في الفتوى والخطأ ؛ فقد جعل الإمام الشاطبي زلة العالم في الاجتهاد ناتجة عن غفلته في استحضار المقاصد واعتبارها عند استنباط الأحكام عند النوازل وغيرها ، فقال:" زلة العالم أكثر ما تكون عند الغفلة عن اعتبار مقاصد الشرع في ذلك المعنى الذي اجتهد فيه "(24) بل ربما يحدث ذلك حتى في الخطأ في تقدير المقصد المناسب ، مثل ما حدث ليحي بن يحي الليثي لما أفتى حاكم الأندلس عبد الرحمان الناصر لما انتهك حرمة رمضان بمباشرة إحدى جواره وهو صائم ، بصيام شهرين متتابعين، ولم يفته بالعتق أو الإطعام، وبرر فتواه هذه . لما استنكر عليه علماء عصره وأنها مخالفة لما يقول به المذهب . ؛ بأن العتق أو الإطعام لا يزجره ولا يردعه عن انتهاك حرمة رمضان مرة ثانية ،حيث قال :" لو فتحنا له هذا الباب لسهل عليه أن يتصل كل يوم بجواريه ثم يعتق رقبة لكن حملته على أصعب الأمرين لئلا يعود "(25) وكذلك العلماء الذين جاؤوا بعده قالوا أخطأ يحي في فتواه للحاكم، فإن مقصد الشارع من هذه الكفارات بالدرجة الأولى تحرير الرقاب ، فالشرع متشوف لهذا الأمر ، وأن القربة المتعدية أفضل من القربى القاصرة على النفس .

ثالثا : علاقة مقاصد الشريعة بالفتوى :

بعد بيان أهمية المقاصد الشرعية للمفتي عند إصدار الفتوى أو عند النظر في النازلة يمكن أن نحدد العلاقة بين الفتوى ومقاصد الشريعة .

إن الهدف من الفتوى تنزيل النصوص على الوقائع ، وتحقيق مقاصد الشارع في آحاد المستفتين ، والمقاصد واحدة لجميع المستفتين ، وفي مختلف الظروف ، وكان مدى تحقيق هذه المقاصد يخضع لحالة المستفتي ، وظروف الفتوى ، وكان من اللازم على المفتي أن يتصرف في فتواه بما يحقق تلك المقاصد الثابتة والمشتركة ، ومن ثم وجب مراعاة المرونة في الفتوى . فالمقصد ثابت ومشترك بين جميع الناس ، والذي يتغير بتغير الشخص أو الظرف هو الفتوى ، ويكون تغيرها بما يحقق ذلك المقصد .وقد كان السلف الصالح يراعون هذه المسألة وعلى رأسهم الصحابة رضوان الله عليهم، فهذا ابن عباس رضي الله عنهما جاءه رجل يستفتيه في القاتل:فقال :ألمن قتل مؤمنا توبة ؟قال : لا ، إلا النار .فلما ذهب قال جلساؤه : أهكذا كنت تفتينا ؟ فقد منت تفتينا أن لمن قتل توبة مقبولة . قال : إني لأحسبه مغاضبا يريد أن يقتل مؤمنا . قال فبعثوا في أثره فوجدوه كذلك .(26)

فهذا المثال يوضح لنا كيف كان السلف الصالح يراعون المقاصد في فتواهم ، لما كان مقصود الشارع من الحث على التوبة والترغيب فيها تطهير النفس البشرية من جميع الذنوب والمعاصي ، وردها إلى الحق رأى ابن عباس رضي الله عنهما أن الرجل يبحث عن رخصة ليتوسل بها لنقيض ما قصد الشارع منها فأفتاه بأن لا توبة لعل ذلك يردعه ويجعله يرجع عما قصد الإقدام علية ، وبهذا تحقق الفتوى المقصود منها . ويؤكد هذا المعنى أيضا الإمام القرافي فيقول :" لا يعتبر الشرع من المقاصد إلا ما تعلق به غرض صحيح محصل لمصلحة أو دارئ لمفسدة "(27)فالإمام القرافي يبن لنا أن على المجتهد أن يعرف المقصد الصحيح والغرض المترتب على أفعال وتصرفات المكلفين حتى يصدر حكمه أو فتواه في النازلة فتكون موافقة لمقصد الشارع وليست معارضة له، هذا من جهة، و من جهة أخرى أن الحوادث التي تقع للناس إما أن يكون لها دليل ينص على حكمها ، فينظر المجتهد في الدليل بما يحقق مصلحة الشرع والمقصد منه ، ثم يصدر فتواه ، أو تكون داخلة تحت قاعدة فقهية أو أصولية فتعطى حكم جزئياتها بعد تحقيق المناط والتأكد من اندراجها تحت القاعدة ، يقول الإمام الشاطبي :" فمن الواجب اعتبار تلك الجزئيات بهذه الكليات عند إجراء الأدلة الخاصة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، فمحال أن تكون الجزئيات مستغنية عن كلياتها ، فمن أخذ بنص في جزئي معرضا عن كلّيه فقد أخطأ ، وكما أن من أخذ بالجزئي معرضا عن كلّيه فقد أخطأ ، كذلك من أخذ بالكلّي معرضا عن جزئيه "(28) ومما يعطي مقاصد الشريعة أهمية أخرى في ضبط الجزئيات مع الكليات؛ لأن الجزئيات لا يمكن حصرها يبين ذلك الإمام الشاطبي فيقول أيضا :" ولما كان قصد الشارع ضبط الخلق إلى القواعد العامة..."(29) ويتأكد هذا الكلام عند ملاحظة بعض الفتاوى التي لم تراع فيها المقاصد الشرعية تمام المراعاة وخاصة عند قصر النظر على الجزئية المراد إصدار الفتوى فيها وعدم ربطها بكليات الشريعة، مثل ما ورد عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله من أن القتل بالمثقل، كالحجر أو الخشبة الكبيرة لا يوجب القصاص على القاتل، ولا يعتبر قتلا عمدا حتى لو كان عدوانا، إذ العمد عنده هو الضرب بالسلاح، كالسيف والرمح، أو ما جرى مجرى السلاح ...؛ لأن العمد هو القصد ولا يوقف عليه إلا بدليله وهو استعمال الآلة القاتلة ، ويوضح الإمام السرخسي هذا الأمر الذي ذهب إليه الإمام أبو حنيفة في أن من قتل إنسانا بحجر كبير، أو خشبة عظيمة لم يلزمه القصاص عند أبي حنيفة .

فنلاحظ أن هذا الرأي على إطلاقه يؤدي إلى التصادم مع مقاصد الشريعة ، فمن مقاصدها حفظ النفس ، والقول بأن القتل بالمثقل لا يعتبر عمدا ولا يوجب القصاص رغم توفر عنصر العدوان يؤدي إلى المآل الممنوع ، ومن ثم يفتح الباب على مصراعيه لمن أراد أن يرتكب جريمة قتل بالمثقل الذي يقتل غالبا ، لعلمه أنه لن يقتص منه، وفي هذا إهدار للنفس الإنسانية التي تعتبر المحافظة عليها من أعظم المقاصد الضرورية ، التي لا تقوم الحياة إلا بها(30) . فاستبعاد المقاصد من فكر المجتهد وعدم مراعاتها أثناء النظر في النصوص الشرعية أو القواعد الكلية تكون نتيجته تعارض الأحكام في الشريعة ، و من هنا يتوجب على المجتهد ألا يغفل هذا الجانب المهم ، وإذا كانت المسألة محل النظر غير منصوص على حكمها ، أي ليس لها

دليل يتضمن الحكم ، فهنا يأتي دور المفتي في استنباط حكم النازلة وفق ما قرره العلماء ، من المصالح والمقاصد، فقد ثبت بالاستقراء أن الله تعالى ما شرع حكما إلا وفيه مصلحة تعود على العباد في العاجل أو الآجل ، إما أن يشهد لها الشرع بالاعتبار وهي المصلحة المعتبرة شرعا مثل المقصد من توثيق العقود فقد ثبت بالنص في قوله تعالى :" ولا تسئموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا " البقرة : 282 فقد بينت الآية المقصد من التوثيق ، فمثل هذه المقاصد يجب على المفتي مراعاتها فهي حجة بالاتفاق ، والناظر في النوازل في أمس الحاجة إلى مراعاتها عند فهم النصوص لتطبيقها على الوقائع(31)، أو يشهد لها الشرع بالإلغاء والرد كالمنافع التي ذكرت في معرض الكلام عن حكم الميسر والخمر في قوله تعالى :" ...قل فيهما إثم كبير ومنافع وإثمهما أكبر من نفعهما " لأنه قد غلب عليها مفسدة تضييع العقل ، وما يترتب عليه من مفاسد أخرى ،(32) فهذا النوع من المصالح مردود و لا يمكن قبوله ، ولا خلاف بين علماء المسلمين في عدم اعتباره أو مراعاته تحت أي ظرف أو ذريعة ومن ثم يتحتم على المفتي رده .

وقد يلاحظ المفتي مصلحة لكن ليس لديه دليل اعتبار يشهد لها فيعمل بها أو بالإلغاء فيردها ، بل وجد فيها أمرا مناسبا لتشريع الحكم على وفقه ، بمعنى أن إصدار الحكم في النازلة يحقق نفعا أو يدفع ضررا ، هنا يجب على المفتي أن يعتمد هذه المصلحة ويصدر الفتوى وفق ما يحقق تلك المصلحة ، قال الإمام الزركشي رحمه الله :" المصلحة المحافظة على مقصود الشرع ، بدفع المفاسد عن الخلق(33)"وبهذا تتبين لنا العلاقة بين المقاصد الشرعية وإصدار الفتوى ، فلا يحق للمفتي أن يصدر فتواه في النازلة كيف ما كان ، بل عليه أن ينظر في مدى تحقق مقصود الشرع من تلك الفتوى التي صدرت منه ، يقول الإمام الشاطبي رحمه الله :" النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعا كانت الأفعال موافقة أو مخالفة "(34)

وأريد أن أزيد هذه المسألة تأكيدا أي العلاقة بين الفتوى ومقاصد الشريعة التماس الدليل عليها من منهج السلف الصالح عند استنباطهم للأحكام للحوادث التي كانت تقع في زمانهم ، فقد كان مدار الاجتهاد عندهم . في القرون المشهود لها بالخيرية . على مراعاة المقاصد ، فقد كانت المقاصد هي الضابط عندهم في تنزيل الأحكام على الحوادث والوقائع ، أو عدم تنزيلها عندما لا تتوفر الشروط ، حتى أصبح هذا الأمر . مراعاة المقاصد . عندهم نوع من اليقين لشدة الترابط بين الفعل والمقصد منه ، فالفتوى تصبح ضربا من العبث إذا خلت عن المقصد والغاية منها ، فالأمور مرتبطة بغاياتها وثمراتها(35).

ومن الأمثلة على ذلك إيقاف تنفيذ حد السرقة على الجندي في الحرب إذا كان سيؤدي إلى هروبه إلى العدو . و من الأحكام أيضا التي روعيت فيها المقاصد وتغير حكما بتغير المصلحة فيها مسألة إبقاء الأراضي في أيدي أصحابها في الفتوحات الإسلامية لتستفيد منها الأجيال اللاحقة وهي نظرة مصلحية صدرت من سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإجماع الصحابة على ذلك لما في رأيه من تحقيق مصالح كبيرة للمسلمين(36).

مثال آخر على نظرة الصحابة المقاصدية ما فعله سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه من توريث المرأة المطلقة في مرض الموت معاملة بنقيض قصد زوجها .

ثم جاء التابعون وكذلك الأئمة المجتهدون فساروا على النهج نفسه ، واستنبط العلماء عن طريق هذا المنهج قواعد مقاصدية يستنير بها من يأتي بعدهم فيسلك مسلكهم ، من ذلك قول الإمام القرافي وهو يبين ما ينبغي على المجتهد معرفته قبل أن يصدر فتواه ، أن يعرف المجتهد المقصد الصحيح والغرض المترتب على أفعال المكلفين وتصرفاتهم فيقول :" لا يعتبر الشرع من المقاصد إلا ما تعلق به غرض صحيح محصل لمصلحة أو دارئ لمفسدة "(37) .

من الأمثلة على مراعاة المقاصد الإجهاض : بحث علماء الشريعة الإجهاض فتبين لهم الأثر المقاصدي في فكرهم النوازلي فيما يأتي :

1 – اتفاقهم على تحريم الإجهاض بعد نفخ الروح ؛ لأنه قتل لنفس بغير حق ، وحفظ النفس من الضروريات التي جاءت الشريعة للمحافظة عليها .

2 – اختلافهم في جواز أو عدم جواز الإجهاض قبل نفخ الروح ، أو قبل الأربعين بين الإباحة المطلقة ، والإباحة لعذر ، والكراهة ، والتحريم المطلق(38) ، وعلة اختلافهم مقصود للشارع كذلك ، لقيامه على أمرين اثنين :

– هل قذف المني في رحم المرأة هو بداية التخلق أو أن بداية التخلق هو نفخ الروح ؟

– هل المحافظة على حياة الأم المحققة آكد من المحافظة على حياة الجنين المشكوك فيها أم لا ؟

3 – اعتماد المالكية والشافعية التحريم احتياطا لدين الله ، ولحياة من شاء الله له الحياة ، بجعله مضغة مخلقة وإقراره في الرحم ما شاء إلى أجل مسمى .

مما سبق من أقوال العلماء في مسألة الإجهاض نستنتج أنهم كانوا يراعون مقصد الشارع في حفظ الدين بالتوكل على الله في الأرزاق ، وفي حفظ النفس المتوقع وجودها بمجرد إلقاء المني في رحم المرأة في كل زمان ومكان(39).

رابعا : ما يترتب على عدم مراعاة مقاصد الشريعة في الفتوى :

بعد بيان أهمية المقاصد الشرعية ، ثم علاقة المقاصد بالفتوى نبين في هذه النقطة الموالية ما يترتب على عدم مراعاة مقاصد الشريعة أو بمعنى آخر خطر إهمال مراعاة المقاصد عند النظر في النوازل .

تبين مما سبق أن مقاصد الشريعة هي المنبع المعين الذي يستقي منه العالم المجتهد ، وأنها سبب سعادة البشرية في الدارين، ومن ثم فإن إهمال هذه المقاصد يشكل خطرا عظيما على هذه الشريعة من ذلك :

– أن إهمال المقاصد وعدم مراعاتها عند إصدار الأحكام الشرعية في النوازل قد يدخل في الشريعة ما ليس منها وهذا من أعظم المخاطر التي بينها الإمام ابن القيم في كتابه أعلام الموقعين فجال وصال فيه ، فيقول ردا على من قدم القياس على النصوص والعكس ، مبينا أخطاءهم : الخطأ الثاني : تقصيرهم في فهم النصوص ؛ فكم من حكم دل عليه النص ولم يفهموا دلالته عليه بسبب هذا الخطأ ، حصرهم الدلالة في مجرد ظاهر اللفظ دون إيمائه وتنبيهه وإشارته وعرفه عند المخاطبين ، فلم يفهموا من قوله تعالى :{ فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ }الإسراء 23 ضربا و لا سبا و لا إهانة غير لفظة أف ، فقصروا في فهم الكتاب كما قصروا في اعتبار الميزان"(40) ، ولا شك أن هذا يشكل على كثير من الناس لعدم علمهم بالنصوص ودلالتها على المقاصد ، "ومن هنا يقصر بعض العلماء ويجانبهم الصواب عندما يقتصرون في استنباطهم لأحكام الشريعة في اعتصار الألفاظ ويوجه رأيه إلى اللفظ مقتنعا به"(41)

– إن إهمال مقاصد الشريعة وعدم مراعاتها في استنباط الأحكام والتوقف عند ظاهر اللفظ والجمود عليه يجعل الشريعة محل استهزاء من طرف أعدائها ويلحق بها النقائص مثل بعض المسائل التي قال بها الظاهرية ، من ذلك ما قاله ابن حزم في حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن البول في الماء الراكد :" لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ، الذي لا يجري ، ثم يغتسل منه "(42) وفي رواية :" ثم يتوضأ منه "(43).

فابن حزم يرى أن البائل في الماء الراكد . الذي لا يجري . حرام عليه الوضوء من ذلك الماء والاغتسال به لفرض أو لغيره ، وحكمه التيمم إن لم يجد غيره ، وذلك الماء طاهر حلال شربه له ولغيره (إن لم يغيّر البول شيئا من أوصافه) وحلال الوضوء به والغسل به لغيره .

رفض ابن حزم أن يقيس الشرب على الوضوء والغسل ، فأباح الشرب ، وحرمهما على البائل ، ورفض أن يقيس غير البائل على البائل . بل ذهب إلى أكثر من ذلك أنه ربط الحكم بالبول المباشر في الماء ، فلو بال خارجا منه ثم جرى البول فيه فهو طاهر ، يجوز الوضوء منه والغسل ، له ولغيره . بل ذهب إلى أغرب من ذلك كله فقد قال ابن دقيق العيد في شرحه للحديث

في كتابه الإحكام شرح عمدة الأحكام :" مما يعلم بطلانه : ما ذهبت إليه الظاهرية الجامدة ؛ من أن الحكم مخصوص بالبول في الماء حتى لو بال في كوز وصبه في الماء لم يضر عندهم ...والعلم القطعي حاصل ببطلان قولهم لاستواء الأمرين في الحصول في الماء ، وأن المقصود : اجتناب ما وقعت فيه النجاسة من الماء ، وليس هذا من مجال الظنون ، بل هو مقطوع به "(44)

إذا تبين من المثال كيف أن الاقتصار على الأخذ بظاهر النص يؤدي إلى آفة خطيرة وهي الإستهزاء بالشريعة وأحكامها ، وقد العلماء هذا المنهج الجمود على ظواهر النصوص وعدم الأخذ بالمعاني والمقاصد منها آفة وقصور في هذا المنهج(45).

– من المخاطر أيضا المترتبة على عدم مراعاة المقاصد عند النظر في النوازل والقضايا المستجدة تعريض الشريعة لتهمة عدم صلاحيتها لكل زمان ومكان واتهامها بالقصور ؛ فمراعاة المقاصد في الاجتهاد واستنباط الأحكام ضروري للمجتهد كما سبق بيانه حتى يحقق خلود الشريعة وشمولها لكل جوانب الحياة على امتداد الزمان وفي كل مكان ، وتخليص الفقه من النظرة الجزئية للقضايا ومن عقلية الجمود والتقليد والبعد عن فقه الواقع .

فقد ظهر في العصر الحديث أناس يرفضون التجديد في الدين والاجتهاد في الفقه ، ويرون أن تبقى الحياة كما كانت عليه في عصور السلف مظهرا ومخبرا ، وقد أنكروا على المجتهدين كثير من القضايا المعاصرة التي لم ترد فيها نصوص قطعية ولا ظنية ، من ذلك رفض تحديد مدة الولاية لرئيس الدولة ، ولا بد من أن تكون لمدى الحياة ، وينكرون على من أجاز التحديد ، بأنه تقليد للكفار وهم يرفضون الاقتباس من غيرنا معتبرين ذلك من الإحداث في الدين بله، لماذا نغوص في قضايا كبيرة ، بل نذكر مسألة فقهية بسيطة يمكن لكثير من عامة الناس أن يدركها المقصد منها ببساطة ناهيك عن العلماء المجتهدين وهي مسألة الترخيص في إخراج القيمة في زكاة المال أو زكاة الفطر والكفارات بدلا من الطعام ، فهؤلاء اعتبروا إخراج القيمة باطلا ومردود ولا يجزي ، مع أن النص يقول في ما يخص زكاة الفطر أغنوهم عن السؤال في هذا اليوم ، يقول الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله :" رأينا من يحمل على من يرخص في أخذ القيمة في زكاة المال ، وزكاة الفطر والكفارات رغم الحاجة إلى الرخصة وموافقة ذلك لغرض الشارع ، ومصالح الناس ، ويبالغون في تخطئة من أجاز ذلك من الأئمة السابقين ، ومن تبعهم من العلماء المعاصرين "(46) وهذه نظرة بعيدة عن الواقع ، فقد ترتب على هذه الفتوى ، وهي التقيد بحرفية النص وعدم مراعاة المقصد ظاهرة غريبة هي أن الفقير الذي تعطى له زكاة الفطر طعام رؤي وهو يذهب إلى التاجر الذي اشترى المزكي من عند ذلك الطعام بسعر البيع يشتريه مرة أخرى من الفقير بسعر الشراء ؛ لأنه لم يعد في حاجة إلى الطعام بل هو في حاجة إلى الدراهم لتلبية حاجياته الأخرى ، فالمستفيد الأكبر هو التاجر وليس الفقير . فعدم إعمال المجتهد الفقيه للمقصد أدى إلى تكريس مفهوم التعبد ، بمعنى التحنث المحض ، وإبعاد مبادئ الوحي عن مجالات الحياة الواسعة .

من المساوئ أيضا المترتبة عن عدم مراعاة مقاصد الشريعة في استنباط الحكام للنوازل : فتح باب الارتخاء والكسل أمام العقل المسلم من خلال التأكيد على المنحى التعبدي لأحكام الشرع ، وعدم فائدة البحث عن حكم وعلل وأسرار من ورائها .

هذا وننبه إلى أن الأستاذ طه جابر العلواني قد أشار في كتابه مقاصد الشريعة إلى كثير من المساوئ المترتبة عن التقصير في إعمال المقاصد الشرعية في العملية الاجتهادية عند النظر في النوازل المستجدة وغيرها ، وكذلك أشار إلى الأثر السلبي لإغفال المقاصد والأولويات على العقل المسلم فقها وفكرا .(47)

الخاتمة

وفي الأخير أصل إلى ختام هذه المداخلة والتي أحسب أنها غطت جانبا مهما من الجوانب التي يحتاج إليها المفتي في اجتهاده وهو الحاجة إلى المقاصد معرفة وفهما وتنزيلا عند إصدار الفتوى ، فأذكر بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث ثم أردفها ببعض التوصيات .

1 – العلم بمقاصد الشريعة ضروري وله أهمية كبيرة بالنسبة للفقيه المجتهد لفهم النص ثم معرفة دلالته واستنباط الأحكام الشرعية للمسائل والنوازل التي لا نص فيها .

2 – فهم المقاصد والتمكن منها يعين المجتهد من استنباط الأحكام وفق روح الشريعة بعيدا عن الغلو والشطط

3 – استحضار المقاصد في ذهن المجتهد يقلل من الاختلاف والنزاع الفقهي والتعصب المذهبي .

4 – استحضار المقاصد في العملية الاجتهادية في النوازل يؤكد صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان وقدرتها على مواجهة المستجدات في كل عصر ومصر هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ينفي عنها الجمود والتمسك بظواهر النصوص التي قد تؤدي إلى الوقوع في التناقض كما سبق بيانه .

5 – استحضار المقاصد الشرعية في فكر المجتهد وسيلة للتوفيق بين الأخذ بظاهر النص ، والنظر إلى روحه ومدلوله على وجه لا يخل فيه المعنى بالنص أو العكس لتجري الشريعة على نظام واحد لا اختلاف فيه ولا تناقض ، وهذا ما يؤكده كثير من العلماء .

6 – أن من شروط الاجتهاد والإفتاء فهم مقاصد الشريعة على كمالها ، والتمكن من الاستنباط بناء على هذا الفهم كما يقول الإمام الشاطبي .

7 – من خلال البحث تبين لي أن معرفة مقاصد الشريعة لها أهمية بالغة في بيان الإطار العام للشريعة وتحديد أهدافها السامية ، والمعاونة على الدراسة المقارنة والترجيح ، والاستنارة بها في الاجتهاد والاستنباط سواء في الأحكام أو الفتاوى للنوازل ، لا فرق .

8 – معرفة مقاصد الشريعة يساعد في إعطاء حكم صحيح لما يستجد من مسائل ، ويجلب للأمة اليسر ويدفع عنهم الحرج والمشقة .

9 – معرفة المقاصد الشرعية يساعد على فهم النصوص الشرعية وتفسيرها بشكل صحيح عند التطبيق.

10 – علم المقاصد يسهم في دفع التعارض الظاهري بين النصوص في نظر المجتهد في كثير من القضايا

أما التوصيات :

1 – ضرورة إدراج مادة المقاصد في مناهج التعليم الجامعي ، في جمع التخصصات علوم إنسانية أو علوم تكنولوجية .

2 – عدم الاكتفاء بالجانب النظري في علم المقاصد وإنما الانتقال إلى الجانب التطبيقي وبيان كيف يكسب الطالب المتخصص في الشريعة ملكة الاستنباط وفق المقاصد عند انعدام النص في القضايا المستجدة 3 – فتح تخصص في مقاصد الشريعة في الجامعات والكليات الإسلامية عبر التراب الوطني .

4 – العمل على إيجاد آليات لتوحيد الفتوى في الوطن عبر وزارة الشؤون الدينية كإنشاء مجالس للإفتاء في الولايات تضم ثلة من الأساتذة المتخصصين في مختلف المجالات العلمية، يرغبون في المشاركة في هذا الميدان ولهم قدرة على ذلك .

5 – تخصيص دورات علمية أو تربصات مغلقة للأئمة في المقاصد عبر كافة التراب الوطني وجلب أساتذة وعلماء متخصصين في هذا المجال ولهم خبرة كبيرة للاستفادة منهم وتخصيص ميزانية كافية لهذا الأمر.

6 – تشجيع الطلبة الباحثين في مرحلة الماجستير والدكتوراه على ولوج ها التخصص لتفعيل مقاصد الشريعة

وآخر دعوانا:"سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين "

الهوامش:

1 -معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ص 859 . لسان العرب ، لابن منظور ، 3 / 355 .

2 -رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب القصد والمداومة على العمل ، 1 /239 .

3 -معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، ص 860 . لسان العرب، لابن منظور، 3 / 355 .مختار الصحاح ، الرازي ، ص 341 .

4 -أصول الفقه ، محمد مصطفى شلبي ، ص 511 .

5 -فقه المقاصد وأثره في الفكر النوازلي ، عبد السلام الرفعي ، ص 25 .

6 -منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة دراسة تأصيلية تطبيقية ، مسفر بن علي بن محمد القحطاني ، ص 328 .

7 -مقاصد الشريعة ومكارمها ، علال الفاسي ، ص 165

8- الأنحاء الخمسة هي : النحو الأول : فهم أقوالها واستفادة مدلولات تلك الأقوال بحسب الاستعمال اللغوي وبحسب النقل الشرعي بالقواعد اللفظية التي بها عمل الاستدلال الفقهي وقد تكفل بمعظمه علم أصول الفقه . النحو الثاني : البحث عما يعارض الأدلة التي لاحت للمجتهد والتي استكمل إعمال نظره في استفادة مدلولاتها ليستيقن أن تلك الأدلة سالمة مما يبطل دلالتها ويقضي عليها بالإلغاء والتنقيح . فإذا استيقن أن الدليل سالم عن المعارض أعمله وإذا ألفى له معارضا نظر في كيفية العمل بالدليلين معا أو رجحان أحدهما على الأخر . النحو الثالث : قياس ما لم يرد حكمه في أقوال الشارع على حكم ما ورد حكمه فيه بعد أن يعرف علل التشريعات الثابتة بطريق من طرق مسالك العلة المبينة في أصول الفقه . النحو الرابع : إعطاء حكم لفعل أو حادث حدث للناس لا يعرف حكمه فيما لاح للمجتهدين من أدلة الشريعة ولا له نظير يقاس عليه . النحو الخامس : تلقي بعض أحكام الشريعة الثابتة عنده تلقي من لم يعرف علل أحكامها ولا حكمة الشريعة في تشريعها . فهو يتهم نفسه بالقصور عن إدراك حكمة الشارع منها ويستضعف علمه في جنب سعة الشريعة فيسمي هذا النوع بالتعبدي .

9 -مقاصد الشريعة ، الطاهر بن عاشور ،ص 15 .

10 -المرجع السابق نفسه ، ص 15 .

11 - الموافقات للإمام الشاطبي ، 5 / 41 – 42 .

12 -المرجع نفسه ، 5 / 43 .

13 -مجموع الفتاوى ،لابن تيمية ، 3 / 91 – 92 .

14 -المرجع نفسه ، 33 / 44 – 61 .

15 -مقاصد الشريعة ، للشيخ الطاهر بن عاشور ، ص 18 .

16 -رواه الإمام أحمد في مسنده ، باب أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ، 2 / 442

17 -الفتوى بين الانضباط والتسيب ، للشيخ يوسف القرضاوي ، ص 93 – 94

18 -الموافقات، للإمام الشاطبي ، 5 / 233 .

19 -البرهان ،للإمام الجويني ، 2 / 927 .

20 -أهمية مقاصد الشريعة ف الشريعة و أثارها في فهم النص واستنباط الحكم، ص 119 .

21 -مقاصد الشريعة عند ابن تيمية ، ص 107 وما بعدها .

22 -قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، لابن عبد السلام السلمي ، 2 / 123 .

23 -مقاصد الشريعة عند ابن تيمية ، يوسف أحمد محمد البدوي ، ص 107 .

24 -الموافقات ، الشاطبي ، 4 / 531 .

25 -ظهر الإسلام ، أحمد أمين ، 3 / نقلا عن الفتوى بين الانضباط والتسيب ..

26 – أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ، كتاب الديات ، باب من قال للقاتل توبة ، 5 /435

27 -الذخيرة ، للقرافي ، 5 / 478 .

28 -الموافقات ، للإمام الشاطبي ، 3 / 7

29 -المرجع نفسه، 3 / 236 .

30 -قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي عرضا ودراسة وتحليلا ، عبد الرحمان إبراهيم الكيلاني ، ص : 104 – 105 .

31 -منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة ، ص 328 .

32 -مقاصد الشريعة الإسلامية ، زيان محمد أحميدان ، ص : 264 .

33 -البحر المحيط ، للزركشي ، 6 / 76 .

34 -الموافقات ، للإمام الشاطبي ، 5 / 124 .

35 -الاجتهاد المقاصدي ، 1 / 21 .

36 -المرجع نفسه .

37 -الذخيرة في الفقه ، للإمام القرافي ، 5 / 478

38 -فقه المقاصد وأثره في الفكر النوازلي ، عبد السلام الرفعي ، ص 213 . مصلحة حفظ النفس في الشريعة الإسلامية ، محمد أحمد المبيض ، ص 203 وما بعدها

39 -فقه المقاصد وأثره في الفكر النوازلي ، عبد السلام الرفعي ، ص 214 .

40 -أعلام الموقعين ، لابن القيم ، 1 / 255 .

41 -مقاصد الشريعة ، للشيخ الطاهر بن عاشور ، ص 27 .

42 -رواه البخاري رقم (239) ومسلم رقم (272) و أبوداود رقم (69) و النسائي رقم (57 ، 58) عن أبي هريرة .

43 -رواه الترمذي والنسائي عن أبي هريرة .

44 -أنظر المسألة (136) من المحلى ، لابن حزم ، 1 / 135 وما بعدها .

45 -أنظر السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها ، يوسف القرضاوي ، ص 221 .

46 - المرجع نفسه ، ص 223 .

47– مقاصد الشريعة ، طه جابر العلواني ، ص 126 و ما بعدها

REVUE EL-BAHITH

En Sciences Humaines et Sociales

Revue périodique académique Editée par Faculté des Sciences Sociales et Humaines

Directeur d'honneur
Pr. FARHATI Omer
(Directeur de l'université)

Directeur de la Revue:
Dr.TERKI Abderrahmane
(doyen de Faculté des Sciences Sociales et Humaines)

Rédacteur en chef
Dr.CHAFOU radhouane

Comité Editorial
Dr.machri soulaf
Ismahan djbali
Amrani mouad

Numéro 4 / decmber 2014
ISSN 2170-0370 ردمد